



www.ayyub.com

الجزء الثاني
.. عشق الذئاب ..

روزمات

الذئب

إخراج: علي

روضت الذئب

للكاتبة إسراء علي

إعداد و تعبئه داخلية



الجزء الثاني من عشق الذئب

المقدمة

عشق الفريسة وأصبح به هواها مُتيم... سلمها مقاليد قلبه ف
أصبحت الأمرة والناهية... ذئب تحول إلى فريسة به عشقها ف
أصبحت مُعلمة... أدرك أنها ليست ك باقي النساء.. بل هي شُعلة
مُتقدة تُعمل على ترويض الوحش به داخله... ليستجيب إلى
ترويضها ويخضع كبرياء الذئب لمكر الفريسة...

الفصل الأول

دائمًا البدايات هي أصل الحكاية...

وهي أصل حكايته...

أول همزة وصل ب السطور ونقطة الوقف ب نهاية السطور...

تلاعبت ب خصلات شعره البنية والتي ورثها عن أبيه..نائم ب هدوء ملائكي

غريب عليه عقب عاصفة الشقاوة التي إفتعلها قبل أن ينام..للتنهيد ب راحة

ثم نهضت تتجه إلى نفس الشرفة كما تعودت منذ سنتين وهي تنظر إلى

المشهد الساحر أمامها ب مدينة "غلاسكو" البريطانية

ضمت مئزها إلى جسدها وهي تنتظره..ميعاده الذي لا يخلفه يأتي سريعًا

ليلحق معها مشهد الغروب..إبتسمت زهرة وهي تتذكر حياتهما لمدة عامين

كاملين أغدق فيهما عليها ب الحب والأحاساس ب الأبوة الذي تفتقده ولكنه محي

كل ما له علاقة بما مضى..دائمًا ما يُخبرها ب بساطة

-الماضي لو هيكون شوكة ف ضهرك إمحيه يا زهرة...

ضحكت ب قوة وهي تتذكر أنه لا يُناديها إلا ب هذا الاسم ف هو

"عشقه"..يعشق اسمها هذا أكثر من اسمها الحقيقي ف هو ذات نغمة خاصة

له..حتى أنه لا يسمح لها أن تتفوه به بينها وبين نفسها "هكذا أنا مُتجبر ب

عشقي لك" كانت هذه إجابته التي جعلتها تبتسم ب إتساع

لم تشعر إلا ب تلك اليدين الرجوليتين التي تلتف حول خصرها تجذبها إليه

وتلك القُبلة التي لا يتنازل عنها ثم همسة ب جانب أذنها ب صوتٍ أجش

-وحشتيني يا زهرة

-إبتسمت ثم قالت ب نعومة: وأنت كمان وحشتني مووت

-أدارها إليه وتساءل: بجد!!...

أومأت ب رأسها عدة مرات ليجذبها إلى صدره ثم هتف ب خفوت خطير

-خارجة من غير حجابك ليه!!

-وضعت يدها على رأسها ثم تشدقت بـ ذهول: بجد!..والله مأخذتش بالي..إبنك

مش سايب ذرة عقل بيا

-رفع أحد حاجبيه وتساءل: هو فين؟

-وضعت يديها اسفل وجنتها وقالت: راح فـ سابع نومة...

نزعت عنه سترته ثم همست بـ رقة

-تحب أحضرك العشا!

-نفى بـ رأسه قائلاً: لأ مش جعان..أنا بس هاخذ شاور وأدخل أصلي

-إبتسمت إحدى إبتسامتها الرائعة ثم قالت: تقبل الله مقدمًا...

لثم جبينها بـ عمق وهو لا يزال يتذكر أولى ذكرياتهم هنا..بـ شهرها التاسع وهي

تجلس على فراشها لتجده يدلف إليها بـ إبتسامته تنم عن مدى ترده لتبتسم

هي له قائلة بـ مزاح

-الإبتسامة دي وراها حاجة..تعال أقعد...

تقدم منها ثم جلس وقال ب توتر طفيف ناظرًا إلى بنيتها

-صليتي!...

عقدت حاجبها لهذا السؤال الذي يسأله لأول مرة ولكنها حافظت على

إبتسامتها وهي تقول ب عدوبة

-الحمد لله صليت

-وضع يده خلف عنقه وتساءل ب خفوت مُضطرب: طب..أنتي بتحسي ب إيه لما

بتصلي!...

أمسكت يده وقد أدركت ما في نفسه وقد علم أنها أدركت..ف أحيانًا يشعر ب

تلك الطفلة ما هي إلا امرأة بالغة النضوج تستطيع الولوج إلى داخله ب كل

سهولة..لتقول ب رزانة وصدق

-بحس إني أقرب لربنا خاصةً وأنا بسجد..بحس إن مفيش حاجز بيني وبين
ربنا ف بدعي..الراحة اللي بحسها بعد أما بخلص صلاة عمري ما حستها مع

حد من البشر

-زي راحتي معاكي!

-إبتسمت قائلة ب بساطة: تؤ..أحسن منها ب كثير..النوع دا من الراحة
متقدرش تحسه مع بشر أبدًا..كل صلاة بتصلها بتقربك لربنا أكثر...

تثاقلت أنفاسه قليلاً وقد بان عليه خيبة الأمل..إلا أنه قال وهو يُخفض
رأسه

-تفتكري أقدر أقرب لربنا!..تفتكري ربنا ممكن يتقبل مني!..يتقبل من واحد
زي!!...

إقتربت منه ثم نظرت إلى بحر عيناه ب خاصتها مُجبرة إياه على النظر إليها ب
عمق ثم هتفت ب قوة

-إياك تقول كدا..ربنا بيتقبل توبة أي حد مهما كانت ذنوبة..باب ربنا مفتوح
ومبيتقفلش..باب التوبة والغفران عمرهم ما إتقفلوا ف وش حد..ربنا بيكافئنا
على أصغر أعمالنا سواء كويسة أو لأ عشان يقربنا منه..كل محنة مريت بيها
ما هي إلا اختبار من ربنا ليك..يا ترى ناوي تسقط فيه!

-لمهدر هو ب قوة أكبر: لأ طبعًا..كنتي سبب ف رجوع عقلي ليا..كنتي سبب ف
رجوعي ل الطريق الصح

-ربنا جعلني سبب لتوبتك يا رائف...

وقتها إبتسم إليها ب عشق جعل دقات قلبها تتصارع وكأنها ب سباق ماراثوني..ثم
نهض دون حديث ليتجه إلى المرحاض وقبل أن يدلف هتف ب صوت عميق ك
عمق عيناه

-أنا شوفتك وأنتي بتصلي وبتدعيلي ب الهداية..وقتها حسيت إن فيه حاجة
ناقصة وأنتي هتكملها...

تنفس ب قوة ثم قال وكأنه يقر واقعًا

-وفعلًا كان عندي حق..كل النواقص أنتي بتكلميها..أنا هتوضي وهصلي معاكي

تاني..وهكون إمامك من هنا ورايح...

ولم يخلف وعده مُنذ ذلك اليوم..ف هو يستيقظ فجرًا و يُوقظها معه

ليصليان ويتحدثان قبل أن يناما..وكم بدت عليها السعادة وهي ترى وجهه

يزداد إشراقًا..ف تلك هي أولى خطوات ترويضه

عادت من شرودها على صوت رائف الذي دلف خارج الغُرفة وهو يُجفف

خُصلاته ليقول ب عبوس

-بقالي ساعة بقول يا زهرة وأنتي ولا هنا

-إبتسمت وقالت: معلش سرحت شوية

-غمزها قائلاً: أتمنى أكون أنا اللي سرحتك

-ضحكت قائلة ب دلال أذابه: ومن أمتي رائف الأسيوطي محتلش كياني..حتى
خلاني ف وقت قصير أدوب فيه...

تنحج ب صوتٍ أجش قبل أن يقول وبحر عيناه يتحول إلى مُحيط عنيف
-هصلي وأجي أسمع الكلام الحلو من شفايفك دي يا زهرتي..منك لله وضوئي
هيفسد

-ضحكت وهي تقترب منه قائلة ب عبث: طب إحق نفسك قبل ما وضوئك
يُنقض يا شيخنا...

إرتفع حاجبيه ب عبث أكبر من عبثها ثم همس ب مكر
-حاضر..بس بعد الصلاة..متلوميش غير نفسك يا سكر...

ثم دلف قبل أن يرتكب ما يُنقض وضوئه ولسان حاله لا يكف عن السب
لتضحك زهرة ب قوة وهي تراه أضعف ما يكون أمامها

ب تلك العُرفة الواسعة كانت سُعاد مُستلقية ب تعب ظهر جليًا على وجهها
بعد رحيل حفيدها والتي تمنى أن يُسامحها..لولا شيطانها الذي يتلبسها ما
كانت لتتركه أبدًا..أطلقت زفير مُحمل ب هموم أثقلت كاهلها وهي تقول إلى
مُحي ابنها

-أنا عاوزة أشوف رائف قبل ما أموت يا مُحي

-أمسك مُحي كفها ثم قال ب جفاء: أنتي عارفة أنه مش هيرضى يشوفك يا
سعاد هانم..سبيه ف حاله

-هزت رأسها نافية ثم همست ب مرارة: حتى أنت بتقولي سعاد هانم!

-إبتسم مُحي ب سخرية مريرة قائلاً: معملتيش حاجة حلوة تخليني أقولك
الكلمة دي...

زفر ب غضب قبل أن يربت على كفها قائلاً ب جمود

-نامي..نامي ولا قضي وقتك تستغفري ربنا ع اللي عملتيه فيا وف ولادي

-أنت مش فاهم..أنا حاسة ب أجلي قرب

-تنهد ب ثقل ثم هتف: وحدي الله ونامي..أنا رايع شغلي...

ثم نهض وتحرك بعيداً عنها..ب الرغم من مرور تلك السنين وقد بدأت حياتهم تستقر عقب الصدمات المدوية التي سقطت على رؤوسهم إلا أنه لم يستطع مُسامحتها..حاله ك حال الجميع وب الرغم من ذلك لم يطاوعه قلبه ب تركها ف هي والدته ومهما أساءت وأرتكبت من ذنوب تبقى والدته

تحرك خارج الغُرفة ثم أغلق الباب من خلفه وهبط الدرج ليجد رحمة جالسة و إبنتهما توأم رائف تلك الزهرة التي ذبلت على يد والدته تنام على ساقها ورحمة تُراقبها ب شرود وهي تتلاعب ب خصلاتها البنية التي ماثلت لون شقيقها ولكن ب درجة فاتحة..تنهد ب قوة ثم توجه إليهما ليجد زوجته تبتم ب

إشراق هامسة

-رايع الشغل!

-أوماً ب رأسه وقال ب خفوت: أها..وخليكي النهاردة مع نهلة...

إقترب منها وهو يبتلع غصة مُسننة ب حلقه ليجثو ويربت على خصلاتها ثم

لثم وجنتها ب عمق هامسًا ب حسرة

-معادها مع الدكتور بكرة!؟

-أومات رحمة ب شرود: أيوة..ربنا يشفيها

-أمين...

نطق بها مُحي ب حرارة..ليعود ويُلثم جبينها ب عمق ثم جبين زوجته ويرحل إلى

عمله..توجه إلى سيارته ثم صعدها وأمر السائق ب التحرك..وضع يده على

جبينه وهو يتذكر إنهاء طفلته ذات يوم

"عودة إلى وقتٍ سابق"

ركض مُحي ب سرعة البرق وهو يتجه إلى غُرْفَة إبنته التي ضمها إلى كنفه حديثاً و صوت صرخاتها يصم أذنيه..حينها حطم الباب ليجدها تتكور على نفسها ب أحد الزوايا وتبكي صارخة ب عنف

-إبعدوهم عني..مش عاوزة أشوف حد...

كان إنهيار غير متوقع..ف عندما تواجهت مع الجميع بدت هادئة ومستكينة ولم يكتشف إلا بعد أن ذهب بها إلى طبيب نفسي وأمره ب إجراء بعض التحاليل الطبية والتي أظهرت أنها كانت تتعطى مواد مُهدئة حد الإدمان ولم تكن سوى ب فترة خمول حتى بدأ يستعيد عقلها أحداث حياتها

إتجه مُحي إليها إلا أنها إنكلمت على نفسها أكثر ليتوقف هو للحظات ثم هتف ب إطمئنان

-متخافيش يا حبيبتي أنا مش هعمل فيكي حاجة..أنا أبوكي..أنا أبوكي
متخافيش...

سكن صُراخها الذي تحول إلى شهقات وجسدها الذي يتحرك إلى الأمام
والخلف ب حركات رتيبة لتقول ب خفوت مُتعجب

-أبويا!!

-أوما ب لهفة قائلاً: أيوة أبوكي

-رفعت عينيها الميتين إليه ثم هتفت ب نبرة جامدة: بس أنا معنديش أب..ولا
أم..هي كانت بتقولي كدا

-عقد حاجبيه وتساءل ب الرغم من علمه ب الجواب: هي مين!

-ردت ب بساطة أصابت قلبه ب الصميم: سعاد هانم...

أغمض عيناه ب ألم ليقرب منها ب خطوات صغيرة جدًا تكاد تكون غير مرئية
ليقول بعدما إبتلع ريقه ب صعوبة

-مممكن تنسيها دلوقتي..خليكي معايا أنا..أنا أبوكي

-صرخت ب شراسة: قولتلك معنديش أب..مكنش موجود لما أجبرتني أعمل
 كدا..بقيت شبه بني أدمة..كنت زي اللعبة ف إيديها لحد أما دمرتني..كنت
 حاسة إني زي كلب أليف هي بتريه عشان ينفذ أوامرها وبس...

رفعت رأسها إليه ثم هتفت وعينها الزرقاء تلمع ب عبرات أبت أن تناسب

-ولما خدماتي خلصت..رمتني وكأني وباء..أنا تعبانة أوي...

وب لحظة كان يجذب رأسها إلى صدره الذي إستكانت عليه ب هدوء غريب

وبقيت تبكي فقط

بعدها أخذها إلى طبيب نفسي الذي أمر ب ضرورة وضعها ب مصحة نفسية

حتى تستعيد إتزانها..الذي أخذ منها سنة ولكن تلك الكوابيس التي تأتيا ليلاً

وصرخاتها جعلته يعود ويذهب بها مرةً أخرى إلى الطبيب وأخبره أنها تحتاج

إلى أن تخضع إلى جلسات العلاج النفسي والذي تقدمه شبه معدوم ف هي لا

تتحدث..حتى الآن

"عودة إلى الوقت الحالي"

تهند مُحي وهو يعود من ذكرياته ليقول ب نبرة ظهر عليها العمر

-أنت فين يا رائف وساييني لوحدي شايل الهم لحد أما ضهري إتقطم...

-باب...باب...

هتف بها ذلك الصغير غيث وهو يتجه إلى والده ب خطوات غير مُتزنة حتى

تلقفه رائف يُقبله ب عمق هاتفاً ب حنو

-صباح الخير يا سي غيث..كل دا نايم وسايب بابا لوحده...

ثم قام ب دغدغة الصغير ب معدته ليقهقه ب قوة إثر ما يفعله أبيه..سمعا من

خلفهما صوت زهرة تهتف ب إبتسامتها المُشرقة ك العادة

-حبيب ماما صحي أخيراً...

-مام..زهه...

ضحكت زهرة وهي ترى يداه تمتد إليها لتأخذه من بين أحضان رائف الذي

قال ب إمتعاض

-طول عمرك ابن أمك

-ضحكت زهرة قائلة: بتغير يا رائفتي!

-قبّل جانب حاجبها هامسًا: عليكي...

نظرت إليه ب خجل وكاد أن يُقبلها إلا أنها تنحنحت مُحذرة وهي تنظر إلى

الصغير ليمس ب عبث

-مش فاهم حاجة

-رائء...

تلقف آخر حرف من اسمه بين شفيتها يُقبلها غير عابئ ب وجود الطفل الذي
 ينظر إليهما ب تعجب والذي قرر أن يُشاركهما القُبلة..لتسقط شفتيه
 الطفوليتين على جانب شفتي والدتها..ليُزجر رائف ب غضب مُبتعدًا عنهما
 وأبعد صغيره قائلاً ب غضب

-ولا!!..أمك دي بتاعتي أنا بس...

ولكن أحاط الطفل عنق والدته لهتف ب حنق طفولي

-تعاتي (بتاعتي) بس

-إتسعت عينا رائف وهو يهدر: لا يا حبيبي أنا اللي لاقمها الأول

-زمر غيث ب طفولية: الأول...

كاد أن يرد ولكن وضعت زهرة يدها على شفتيه ثم قالت ضاحكة

-أنت هتعمل عقلك ب عقل إبنك!

-وأغير من أبوه كمان...

إرتفع حاجبها ب عدم تصديق..لتشعر ب يداه تلتف حول خصرها يجذبها إليه

لهمس وهو يدفن أنفه ب عنقها

-قولتلك أنت مُتجبر ب عشقي ليك...

أغمضت عيناها وهو يُقبل عنقها ب بطاء ليُكمل ب حرارة

-ومنها ملكيتي ليك..أنتي ليا لوحدي..ومهما بقى عندي ولاد..هتفضلي أنتي

طفلتي الأولى...

رفع رأسه ليتحسس وجنتها ثم أكمل همسه وهو يُقبل فكها

-أول بنوته ربطلها الشوز بتاعها..وأول طفلة أضفرلها شعرها

-ضحكت ب حنين إلى تلك الذكرى وهمست: كانت أفشل ضفيرة ف عمري كله

-نظر إلى عينيها ب عمق نفذ إلى روحها: وهتفضل أحلى ضفيرة ف حياتي..هتفضل المفضلة ليا...

وضعت يدها على صدره تتحسس نبضاته الهادرة ثم همست ب أذنه

-بحبك

-إزداد تشبث يدها ب خصرها ليمس هو الآخر: وأنا بعشقتك..وبعشق كل تفصيلة صغيرة منك..حتى عنيكي اللي ورثها إبننا...

كانت عينا الطفل بنية ك عيني والدته تمامًا ك خصلاته..ليربت على خُصلات غيث الذي ضحك ب نعومة ثم تشدق ب صوتٍ أجش

-بدأت أحسده أنه أخذ حاجة منك

-وضعت رأسها على صدره وقالت: بس أنت أخذت حاجة أحسن...

عقد حاجبيه ب تساؤل إلا ما لبثا أن إرتفعا ب سعادة وهو يستمع إلى ردها الخافت والذي بدا وكأنه دوي قصف أذنيه

-أخذت قلبي...

صدقت حينما هتفت بها..ف هو إمتلك قلبها وكيانها..أصبحت لا تستطيع
إكمال حياتها دونه..لتشعر ب أنفاسه تتعالى وتتحشرج ثم همس ب صوتٍ ظهر
عليه عواطفه

-تعالى نتفرج على الغروب عشان مش همسك نفسي قدام إبنك

-ضحكت وهى تقول: طب يلا

-ليُحذرها ب صرامة: متضحكيش

-أوامرك مُطاعة يا سيدي...

إنحنى على قبرها وهو يبكي لأول مرة ب حياته ب قوة..قوة دمرته فقد رحلت
بعدها أهدته قطعة منها..ربما كانت تعلم ولم تُخبره..ها هي الذكرى الأولى

لموتها..صرخ ب صوتٍ مجروح

-ليه سبتيني ورحتي!..ليه؟..علقتيني بيكي ورحتي..لما روجي أخيرًا بدأت تهدى
تسبيني أنتي وتمشي...

سارت يده على تراب قبرها ثم همس وهو يضع جبهته عليه

-مكنتش أعرف إنك أنانية كدا..كنتي ديمًا بتكلميني عن حياة جديدة ليا
وليكي بعيد عن المُستنقع دا..وأنا كنت برفض عشان إنتقامي..اااا يا سوزي
وحشتيني بجد..مكنتش مُتخيل إني أحبك كدا...

وضع رأسه على قبرها وكأنه يضعها على ساقها كما تعود..بعد مرور سنة على
تلك البداية الجديدة والتي أراحت روحه المُرهقة..بدأت تتلاشى ب رحيلها ف
بعد وضعها لجنينهما ماتت بعدها ب شهر..الجميع يُخبره أنها أمانة وتسلمها
الله ولكنه يعلم تمام العلم أنها قُتلت لما إقترفه هو ورائف..وها هو أول من
يدفع الثمن وربما يلحقه رائف

نهض عن القبر وبدأ ينفض قميصه من الأتربة وأزال عبراته لیتجه إلى عربة
صغيرته..كانت تحمل ملامح والدتها وكأنها تعمدت أن تُذكره بها..عدا عينيها
الواسعتين السوداويتين ك عيناها..ملس على وجهها الأبيض ثم همس ب خفوت
-يلا نروح يا ملك..إطمنت على ماما..وأه هي بتسلم عليكى وبتقولك متعيطيش
عشان أنتي كدا بتزعلي بابا...

تحركت يديها الصغيريتين ب الهواء ليقبض عليها ب أنامله لينحني ويُقبلها ثم
همس

-يلا قولي باي لماما...

حرك يديها وكأنه يلوح لها ثم تحرك بعيداً عن القبر..وضع النظارة الشمسية
على ملامحه ثم توجه إلى عمله وهو يصطحب إبنته معه إلى المشفى الخاص
ب عائلة الأسيوطي ف هو يعمل بها ك طبيب جراحي بعدما إبتعد عن ذلك
العالم وكم أسعد ذلك رائف الذي لم يفقد إتصاله به..رغم أنه أصر أن

يعود ويبقى بـ جانب أحمد إلا أنه رفض كي لا يتعرضان إلى مخاطر خاصةً
بعد وفاة زوجته

وصل إلى المشفى بـ نفس وقت وصول مُحي..لمهبط بـ هدوء وكأنه لم ينهار مُنذ
قليل ثم إتجه إلى مقعد إبنته المثبت بـ الخلف يحملها و توجه إلى مُحي
الأسيوطي الذي إبتسم ما أن أبصر أحمد والصغيرة ملك..ليصافحه بـ حرارة
قائلاً وهو يُداعب وجنة الصغيرة

-صباح الخير يا أحمد..وصباح الخير للأميرة ملك

-صافحه أحمد بـ هدوء ثم هتف: صباح النور يا دكتور مُحي..أخبار سعاد
هانم إليه!

-تهند مُحي وقال بـ جمود: لسه على حالها..لحد أما ربنا يكتبلها الرحمة

-أوماً أحمد بـ تفهم ثم قال: إن شاء الله تتحسن

أخذ نفسًا عميق ثم قال بـ عملية

-يلا يا دكتور..عندنا شغل كثير

-إبتسم مُحي ب إعجاب وقال: يلا يا دكتور...

كان أحمد قد بدأ العمل بُناءً على ما طلبه من مُحي..وقد أظهر تفانيًا ب

العمل وقد شجعه مُحي على التخلص من كل عاداته السيئة ومُساعدته ب

بدء حياة نظيفة كما فعل رائف

وجدته يدلف خارج غُرفة غيث ثم همس ب إرتياح

-نام أخيرًا...

أومأت زهرة ولم ترد وقد ظهر على وجهها الشرود..ليقترب رائف ب قلق ثم

تساءل

-خير يا زهرة!!..وشك مش مضبوط...

جلس أمامها ثم أمسك يدها لتنظر إلى يده وبعدها إلى عيناه ثم هتفت

-هقولك على حاجة وأوعدني تسمعني للآخر

-تضخم صدره وقال: قولي يا زهرة..متخافيش...

شدت على قبضته ثم همست وهي تنظر إلى زرقاوتيه العميقتين

-مش بتفكر ترجع مصر!...

إرتفع حاجبيه ب صدمة..وفتح فاه كي يرد ولكن علق الحديث ب حلقه..حاول

أن يتحدث مرةً أخرى دون أن يغضب إلى أنه عجز وقد بدا هذا واضحًا ب

عينيه التي تحولت لأخرى عاصفتين تحملان أعاصير وذراعيه اللتين برزت

عروقهما النافرة لمهدر ب جمود أفزعها

-لأ

-حاولت الحديث معه: طب إسمعني بس

نفض يدها ب قوة أدت إلى تألمها تعلم تمام العلم حساسية ذلك الموضوع ب النسبة إليه ولكنه حديث يجب الخوض فيه خصوصًا ب تلك الأوضاع الخارجة عن الإرادة.. ف نهضت وهمت الحديث إلا أنه قاطعها ب شراسة

-متقوليش حاجة.. أنتي عارفة إني مانع الكلام ف الموضوع دا...

ثم نهض وإستدار ليخطو خطوتين قبل أن يسمع صوتها الخفيض يقول ب

تردد

-جدتك إتوفت النهاردة...

الفصل الثاني

حين تظلمنا الحياة بـ أسوء الطرق...

إما يضطر الإنسان المواجهة بـ كل شراسة...

أو ينحني لها تاركًا إياها تتقاذفه كما تهوى...

صرخ بـ غضب دالفًا خارج المرحاض وهي تتبعه لتقول بـ غضب يُماثل غضبه

-مش تطنشني يا طارق وتمشي..أستنى هنا...

ألقى المنشفة من يده ثم إستدار إليها غير آبهه لنظرة الألم المرتسمة على

وجهها ليقول بـ قسوة

-لأ هطنشك يا هايدي..هطنشك لما ترجعي للكلام ف الموضوع دا للمرة

المليون..إرحميني بالله عليكى...

لم ترد عليه بل إنسابت عبرتان على وجنتيها الناعمتين ليتأفف طارق ب نفاذ
صبر ثم إقترب منها يُحاوط ذراعها ثم همس ب يأس

-على الأقل دلوقتي وإحنا بنمر ب الظرف دا..جدتي لسه ميتة النهاردة وأنتي
بتتكلمي ف الموضوع دا

-تحشرجت نبرتها وهمست: عشان كدا بتكلم فيه..مفيش وقت نضيعه
..عشان خاطري

-جذبها إلى أحضانها ثم همس: عشان خاطري أنتي إسمعي كلامي...

أبعدها عنه قليلاً يُزيل عبراتها ب حنو ثم تشدق ب رقة وهو ينظر إلى عيناها
الرائعتين

-خشي إلبسي يا هايدي..خشي إلبسي وإطردي الشيطان دا من راسك

-حركت رأسها نافية قائلة: مش هقدر وأنا حاسة ب الذنب ناحيتك

-قست عيناه قليلاً وهو يقول ب قوة: ذنب إيه بس!..ذنب إيه بس!..خشي
إلبي يا هايدي عشان مينفمش أسيب بابا لوحده...

أزالت عبرتين هبطتا دون أن تشعر ثم أبعدت يده عنها واتجهت ناحية
الخزانة وأخرجت ثياب مُكونة من بنطال قُماشي أسود وقميص نسائي أسود
اللون أيضاً يصل إلى ما بعد خصرها ب قليل..أما عن خُصلاتها ف قد عقدتها
على هيئة كعكة مُنمقة وإستدارت إليه لتجده يُغلق آخر زرّين من قميصه ف
إتجهت إليه تُساعده على إرتداء سترة حلته السوداء..جذب هو يدها ثم قبّل
باطنها هامساً ب صدق

-وجودك ف حياتي بيغنيني عن أي حاجة تانية وعن أي طفل..عشان أنتي
طفلتي يا هايدي..عارفة يعني إيه!..يعني أنتي مسئولة مني..عليا أحميكي حتى
لو من نفسك لو هتضريها..هي دي الأبوة

-ردت بعدما إبتلعت غصتها قائلة: طب وأنا!..مش محتاجة أكون أم!..أحس إن فيه حد مسئول مني والمفروض أحميه حتى من نفسي!...

حينها إبتسم ب رقة يجذبها إلى أحضانه هامسًا ب نبرة عميقة غائرة من الألم عليها

-أنا إبنك..ومش هسمح يكونلي أخ أبدًا..هكون أناني وأستأثر ب أمومتك ليا..أنا وبس يا ماما...

أحس ب إرتجافة جسدها بين أحضانه ليتيقن أنها تبكي..ليُشدد من عناقها ثم همس مرةً أخرى ب نبرةٍ أكثر عمقًا

-متعيطيش..أوعي تسمحي لحاجة تهزمك..دي إرادة ربنا ولو كان إختبار..ف مقدمناش حاجة غير الصبر..تمام!...

نطق ب كلمته الأخيرة وهو يُحاوط وجنتها ب يده لبيتسم ب حنو ف أومات ب
ضعف غير قادرة على شئ حاليًا سوى الإستسلام..ف أمسك ب كف يدها
وهمس

-يلا يا هايدي..جدتي ماتت وإحنا بنحب ف بعض...

تحركا حتى خرجا من الغُرفة لتسأله ب خفوت

-أنت بطلت تحب جدتك مش كدا؟...

توقف لثانية ثم عاود السير مُجددًا وقد أحست ب حزنه ف مُند طلاق والدته
وتلك القُنبلة التي تفجرت وأخته الغير شقيقة التي ظهرت فجأة جعلته يحقد

على سُعاد ف هي السبب الرئيسي لما حدث معهم لذلك أجابها ب صوتٍ جاف

-يمكن عشان هي السبب ف اللي إحنا فيه..عمتًا ربنا يرحمها هي ميجوزش

عليها غير الرحمة وهي بين إيدين ربنا

-تمتمت هايدي ب صوتٍ خفيض: ربنا يرحمها...

وصلا إلى السيارة لتصعدھا هايدي أولًا ثم طارق الذي تجهمت ملامحه بـ
 شدة..لولا ما فعلته له سابقًا لما حضر عزائها وقد إعتكف عنها لسنتين
 كاملتين كما فعل رائف..ولكنه كان يزورها من وقتٍ إلى آخر لا لشيء سوى
 تأنيب ضميرها هذا إن تواجد..دائمًا ما كان ينطق بـ تلك العبارة بـ اخر حديثه
 ثم يرحل..وبالرغم من ملامح الألم والغموض التي تجتاحها ولكنه لم يأبه ولو
 لثانية..تنهد وهو يُتمتم بـ قنوط

-ربنا يرحمك يا سعاد هانم..ربنا يرحمك يا جدة عيلة الأسيوطي...

تصلب رائف بـ مكانه وكأنه تحول إلى تمثال لتنهض زهرة بـ حذر وهي تتجه
 إليه ولكنها جفلت حين إستدار إليها على حين غُرة يسألها بـ جفاء قاسي
 -وأنتي عرفتني منين!...

إبتلعت ريقها ب صعوبة وهي تعلم مدى حساسية الموضوع ب النسبة إليه..لم
تُخبره ب أنها تتواصل مع عائلته طوال تلك الفترة وقد حذرها كثيرًا أن
تفعل..ولكنها إن أرادت ترويض الذئب يجب أن تتحمل إفتراسه لها
أجفلت ب قوة وهو يقترب منها ينتظر إجابتها ب ترقب..لتبتلع ريقها الذي جف
من الأساس..تراجعت خطوة وهي تستجمع شجاعة واهية..ثم هتفت
-أنا آآآ..باباك كلمني...

إنتهت وساد الصمت..ليتوقف لحظة وإثنان قبل أن يعود ويقترب ليمس ب
خفوت خطير

-وعرف رقمك منين!..ها ردي!

-إنتفضت من صرخته لتصرخ ب المثل: لأني بتواصل معاهم من زمان...
صمتت تتأمل ملامح الصدمة على وجهه قبل أن تتحول إلى خيبة أمل ثم
غضب وهو يهدر

-أنا مش مانع التواصل معاهم!..ردى عليا ليه تعملي كدا وأنتي عارفة إني مش هعدي الموضوع دا...

أخذت نفسًا عميق ثم إتجهت إليه تلك الخطوة الفاصلة لتضع يدها على ذراعه قبل أن يبتعد مُنتفضًا وكأن حية لدغته..لتبتهت ملامحها لثوان قبل أن تقول ب خفوت

-أنا عملت كدا عشان خاطرك مش عشان خاطرهم..أنا كل اللي بعمله لمصلحتك

-ضرب على صدره ب عنف وقال: وأنتي تعرفي مصلحتي منين!..أنتي مش عارفة هما عملوا فيا إيه!؟

-أجابته ب قوة: وعشان كدا بحاول أعمل اللي فيه مصلحتك..أنت بتغذي حقد يا رائف مش هيقتل غيرك وغيري..إحنا الأثنين أول اللي هيتأذوا من حقدك دا..تمشيش وراه ف تخسر نفسك قبل ما تخسرنا...

ضيق عيناه ب غضب وقد تحولت عيناه الزرقاوين إلى عاصفتين تُهددان ب
 إقتلاع الجميع..تهتت مرة وأثنان ف هي باتت تعلم نوبات غضبه كلما ذكرت
 العائلة..لتعود وتضع يدها ب حذر على وجنته للحظات ظنت أنه سيبتعد
 ولكنها وجدته جامد..لتملكها شجاعة هاتفة ب نبرة حاولت كل جهدها أن
 تكون مُقنعة

-حاول مرة متفكرش ف اللي هما عملوه..فكر إنك من غيرهم مش هتكون غير
 لوحذك

-هدر ب عنف: أنتي وغيث معايا

-حاوطت وجهه قائلة: وعشان خاطر غيث خليه يتعرف على عيلة
 أبوه..متحسسوش أنه لما يكبر ميلاقيش عيلة يتباهى بيها..متحرمش أهلك من
 إنهم يشوفوا حفيدهم...

أدار وجهه عنها وهو يُحاول نزع يدها عنه إلا أنها تشبثت به لتعود وتُدِير
رأسه إليها ثم هتفت بـ إبتسامة رقيقة

-طب طارق موحشكش!..أهو طارق كمان ضحية يا رائف..ليه تعاقبه بـ ذنب
غيره!

-رد عليها بـ نبرة قاتمة: أنا مبعاقمهوش..ولا عمري فكرت

-نفت بـ قوة قائلة: لأ فكرت..بـ دليل إنك مش بتتواصل معاه إلا كل فين
وفين..ولما زهق كلمني وقالي خلي رائف يرجع وكفاية غُربة..طارق
محتاجلك..محتاجلك أكثر مني ومن إبنك كمان...

نظر إليها وعيناه تشتد بـ قساوة تعرفها إلا أنها لم تتدخر وسعها كله وهي
ترتفع على أطراف أصابعها لتصل إلى وجنته تُقبلها بـ نعومة قائلة

-ع الأقل إحضر العزا..مش طالبة منك حاجة غير كدا..عشان خاطري يا رائف..أنا الفترة دي كلها بحترم رغبتك ف بعدك عنهم..لكن دا ظرف خارج عن إرادتهم

-همس ب قنوط وجفاء: بس هي ظلمتني..ومش قادر أسامحها

-زفرت نفسًا حار وقالت: مش بطلب منك السماح..أد أما بطلب منك إنك ترجع مصر وتقف جنب والدك ع الأقل...

ب الرغم أنها لا تشعر ناحية جدته ب أي تعاطف لما سببته له ب أذية قاسية جعلت منه ذاك الشخص الذي نفرت منه مُسبقًا..إلا أنها عشقها له يُجبرها على ذلك..من أجله لا أجل أحدًا آخر ف رائف لا يزال يحمل جانبًا مُظلمًا يُخفيه عنها..مهما بلغ حنانه إلا أن ماضيه عائق يقف أمامه وأمام مُستقبلهم إبتسمت ب إرتجاف وهي تتذكر ليالٍ إبتعد فيها عنها من كثرة الأحلام البغيضة التي تأتيه..ف في أحد الأيام راوده حُلم عن حياته التي قضاها خلف القَضبان

وذكرى تلك الليلة المريرة لا تزال محفورة بقلبه وعقله.. تُخبرها أنه لا يزال يشعر أنه ضعيف لذلك تأتيه نوبات العنف..ك تلك التي أصابته يوم أن ساومته على حبها

حركت إبهامها وهي تستشعر شروده فلم يستشعر شرودها ثم هتفت بـ
إبتسامة حاولت قدر الإمكان أن تجعلها ثابتة

-وبعدين أنا وحشني أهلي وعاوزة أشوفهم

-رد عليها بـ نبرة جافة: نبعثهم يجوا زي كل مرة

-لوت شدقها وهي تقول بـ ضيق: بس أنا وحشتني مصر..وحشتني أرضي اللي
إتربيت عليها

-رد عليها بـ جمود أفزعها: وأنا موحشتنيش..أنا مشوفتش منها غير الوجع
والقهر..بـ التالي مفيش سبب يخليني أرجعها

-قبّلت وجنته مرّةً أخرى وهمست بـ يأس: عشان خاطري.. إتغلب على حقدك
وكرهك لمرة واحدة.. نخلص أيام العزا ونرجع تاني...

لم يرد عليها بل أبعد يدها عن وجهه ليتهاج إلى غرفة الصغير يصفع الباب
خلفه بـ رفق.. لتجلس هي على أحد المقاعد تفر بـ حزن وقهر.. لما عليها أن
تتحمل كل ذلك لأجل عائلة لم تُقدم له سوى الألم الظلم الذي ذاقته هي
الأخرى.. مرة عندما أبعدوها وهي صغيرةً عنه والأخرى لما تسببت له تلك
العائلة من أذى فطالها الأذى منه

وقف مُحي بـ مُقدمة سُرداق العزاء يستقبل الوفود وعلى وجهه ملامح لا
يُمكن قراءتها إن كان حزينًا أو أنه لم يأبه لموت والدته!.. إقترب أحدهم منه
ليُصافح يده قائلاً

-البقاء لله

-ليرد عليه مُحي ب خفوت: ونعم بالله...

توقف الرجل قليلاً ليرفع مُحي وجهه ينظر إليه ب حيرة عندما توقف أمامه

ليسأله ب خفوت

-خير فيه حاجة!

-تنحج الآخر هاتفاً: نسيت أعرفك ب نفسي..أنا الدكتور سالم العراقي

-أوماً ب رأسه قائلاً: تشرفنا..بس برضو مفهمتش..حضرتك عاوز إيه!

-عقد سالم حاجبيه وتساءل ب حيرة: هي سُعاد هانم الله يرحمها مقالتش

حاجة!

-رفع مُحي حاجبيه وقال: لأ

-حك سالم جهته إلا أنه قال ب هدوء: يبقى حضرتك هتعرف يوم فتح

الوصية

-رد عليه مُحي ب صدمة: وصية!..وصية إيه؟..أنا مش فاهم حاجة

-ربت سالم على منكبه قائلاً: هتعرف إن شاء الله يوم فتح الوصية زي ما

قولت لحضرتك..بعد إذنك...

ثم تركه ورحل ليجلس ب أحد المقاعد ب الداخل ومُحي يُراقبه ب تدقيق..ليأتي

طارق ويسأله ب توجس

-خيريا بابا في إيه!

-مط شفتيه قائلاً ب حيرة: معرفش والله يا بني

-طب فهمني...

قص عليه مُحي ما قاله سالم مُنذ قليل ليُقول ب تعب

-تصرفاتها عمرها ما كانت سليمة..أنا مبقتش فاهم أي حاجة

-ربت على ساعده قائلاً: خلاص يا بابا..بعد العزا نتكلم...

تهد مُحي بـ تعب..ليُصافح أحدهم قبل أن يتساءل دون النظر إلى طارق

-متعرفش رائف هيحي ولا لأ!

-رفع طارق منكبيه بـ قلة حيلة وتشدق: والله أنا لسه سائل مرات حضرتك

وقالتلي إن إسراء متصلتش بيها

-ذم مُحي شفتيه بـ خيبة أمل وإحباط ثم هتف: يبقى مش جاي

-أو يمكن جاي ومش حابب يعرف حد

-زفر مُحي نفسًا حار وقال: يارب يا طارق..الجمل كسر ضهري

-ربت طارق على منكب والده وقال: ما عاش ولا كان اللي يكسر ضهرك يا

دكتور مُحي...

ربت مُحي على يده دون أن ينظر إليه ثم وجه نظره إلى سالم الذي يجلس بـ

مقعده يحتسي القهوة وعيناه شاردة وكأنه يُفكر بـ ذلة لسانه أمام مُحي

كانت تجلس بـ جوار النافذة لا تنظر إليها بل تنظر إلى وجه رائف النائم أو الذي يدعي النوم..لتنهد بـ حزن وهي تتذكر بعد ساعتين فقط من حديثهم أنه أيقظ الصغير وأبدل ملابسه ليقول بـ نبرة قاسية سوداء تحمل حقد لم تستطع الأيام أن تتغلل عليه

-قومي جهزي نفسك..قدامك ساعة بس عشان نلحق الطائرة...

على الرغم من سعادتها ولكنها تشعر مقدار الألم الذي ستسبب به تلك الزيارة وربما أيضًا سيفتح جراحًا أخرى لن تقدر الأيام ولا هي على مداواتها..تنهدت مرةً أخرى ثم أغمضت عيناها

فتح عيناها ما أن أحس أنها توقفت عن تحديقها به لينظر إليها بـ جمود قاسي..أحيانًا يخاف عليها من نوبات غضبه وذلك الحقد الذي ينهش قلبه وجسده فيُغرقه بـ هوةٍ سوداء غير قادر على تحملها

تذكر ذات يوم ما أن أبصر بـ كابوس.. كان ينتفض ويصرخ مثل ذلك اليوم بـ
السجن القاصي الذي عانى به الكثير.. يومها ما أن حاولت إيقاظه لم يشعر
إلا وأنه يقبض على عنقها وعيناه تلمع شراسة ولم يفق إلا على صرخة
مدعورة صرخت بها

-رائف.. أنا زهرة...

إبتعد عنها كـ الملسوع وحاول الحديث إلا أنه لم يستطع.. كانت العبارات
تتوقف بـ حلقه وهو يراها تسعل وقد تحول وجهها إلى لون أزرق نتيجة قلة
الأكسجين.. يومها نظر إلى يده بـ ذهول ثم نطق بـ صدمة ونبرة متوترة

-أنا آآ.. أنا...

ولكنه لم يجد ما يقوله ف إندفع خارجًا من الغُرفة.. ومُنذ ذلك اليوم وهو
يتجنب النوم بـ جانبها ما أن تحوم تلك الذكريات فوق رأسه ف تكون هي

الضحية..لا يزال يشعر بضعفه وأنه لن يتغلب على تلك الذكرى السوداء
والتي حُفرت بذاكرته ب أقسى الطُرق

شدد على ذراع مقعده دون أن يدري..ليشعر بكفها الصغير يتحسس ظاهر
كفه ونبرتها الناعمة تهمس ب خفوت وإطمئنان وكأن كل شئ على خير ما يُرام
-هون على نفسك يا رائف..وخليك فاكر إني جنبك ومش هسيبك...

دون أن يدري وجده كفه يُحاوط كفها الصغير ويُشدد عليه وكأنه يستمد
منها القوة..لتُشدد هي الأخرى ب قبضتها على قبضته لتوصل له أنها ستدعمه
دائمًا وأبدًا

كان أحمد قد وصل إلى منزل عائلة الأسيوطي ليتجه من فوره إلى مُحي قدم
تعاذيه الحارة ثم طلب منه أن يُدخل صغيرته إلى المنزل ثم يعود

توجه إلى الداخل وما كاد أن يتحرك إلا وأبصر نهلة..صاحبة العشق القديم
والتي بسببها كاد أن يخسر صديقه..لم يكن يدري أنه يتفحصها..كانت تسير
وكأنها جثة ميتة عيناها غائرتان لا تعي ما يحدث حولها ولكنه لاحظ إنقباض
ملامحها وكأنها تبغض ما يحدث هنا

رُغماً عنه شعر ب الأسف تجاهها ف هي لم تكن سوى أحد ضحايا سُعاد
الأسيوطي ف هو لم يُصدق للحظة أن تكون جدة رائف ب مثل تلك القسوة
والحقارة..لدرجة تصل بها إلى إيذاء أحفادها..تهمد ب قنوط ثم دلف واتجه
إليها ليتنحى قائلاً ب نبرة مُتحرجة

-البقاء لله يا نهلة...

نظرت إليه نهلة ب شرود لتُحرك رأسها ب لا معنى ثم تركته ورحلت..كانت
تُشبه رائف إلى حد كبير عيناها وبشرتها إلا خُصلاتها الشقراء والتي تزينت ب
خطوط بُنية رائعة..عينها التي فقدت حماس وشغف كان يراه بها حتى لو

كانت كاذب..يبقى بها شيءٌ ميت..وكأنها فقدت روحها وهي غير قادرة على

إستعادتها

يعلم ب حالتها وأنها تمر ب حالة نفسية سيئة مُنذ ما يقرب عامين..حتى يوم

مواجهته لها لم تكن ب هذا الضعف والموت أبدًا..ف أخبره مُحي كل شيئًا ب

التفصيل لتغيم عيناه ب أسى ولكنه رفض أن يُظهره أو يُظهر تعاطفه معها..ف

قد قتل عشقها ب قلبه ولم يبقى سوى عشق والدة ملك التي قرر القدر أن

يسلمها منه على أعماله

تحرك وهن يربت على ظهر إبنته النائمة ليتجه إلى رحمة التي قابلته ب

إبتسامة خفيفة ليقول ب نبرة هادئة يشوبها بعض التعاطف

-البقاء لله يا مدام رحمة

-ونعم بالله يا أحمد..أزيك وأزي ملك!

-كويسين الحمد لله..أنا جاي أديها لحضرتك عشان أقف مع الدكتور بره

-أخذتها من بين ذراعيه وقالت: هات يا حبيبي..متخافش...

أوماً ب رأسه قبل أن يميل ويُقبل ظهر طفلته ليتساءل ب إهتمام

-هو رائف مش جاي!

-غامت عينا رحمة ب الحزن إلا أنها قالت: معرفش يا أحمد والله..أنا كلمت

مراته وهي مكلمتنيش..يظهر كدا أنه مش جاي...

ربت أحمد على ظاهر يدها ثم قال ب هدوء ورزانة إكتسبها مع الأيام

-معلش يا مدام رحمة..برضو هو مشفش قليل من اللي حصله هنا..أكيد

مش سهل عليه يرجع وهو بدأ حياة جديدة هناك

-ردت عليه رحمة ب نبرة مُتَحَشِرَجَة: ربنا يريح قلبه...

همهم وهو يُؤمن على دُعاءها ليقول بعد لحظات ب تردد

-وأخبار نهلة إيه!

-تمهد رحمة وهي تقول ب حزن: الحمد لله على كل شئ

-الحمد لله..بتحسن يعني!

-أومات ب خفوت قائلة: يعني حاجات مش محسوبة..اللي شافته مش قليل

-أوما هو الآخر ب شرود: ربنا يشفيها...

في اليوم الموالي وصلت الطائرة من الأراضي البريطانية إلى الأراضي

المصرية..خرج رائف من الطائرة يحمل غيث بين يديه الأخرى حول زوجته

وهبط الدرج..لم يخفَ عليها تشنج جسده أو القساوة التي زادت ب عيناه حتى

ملامحه أضحت مُخيفة..لتبتلع ريقها ب صعوبة هامة ب دعر

-يارب عديها ب الستر...

أنهى المعاملات الخاصة ب وصولهم ليدلوا إلى الخارج نظر إلى زهرة ليرى عينها

التي غامت بهما الراحة والسعادة ليبتسم ب قسوة قائلاً

-مكنتش أعرف إنها وحشتك كدا!!..مع إن برضو ليكي فيها ذكريات بشعة...

أجلفت من قساوة إبتسامته ونبرته المتهمكة إلا أنها هتفت ب بساطة

-بس فيها ذكريات أحلى

-رد عليها ب تهكم: زي إيه مثلاً!

-تجاهلت سُخريته لتُجيبه ب دُفئ: إني قابلتك مثلاً...

لحظة واحدة لمحت بها عيناه التي رقت وشبه إبتسامته إرتسمت على شفثاه

قبل أن يُخفيها ب براعة..ليضع يده على ظهرها ثم دفعها رادفًا ب جمود

-طب يلا ولا غيرتي رأيك!

-لأ يلا...

إستقلا سيارة أجرة لتتجه بهم إلى منزل الأسيوطي..وكلما إقتربا إلى المنزل كُلما
 قست عيناه أكثر ولكنه يجد كفها يحضتن كفه يبثه الهدوء والأمان ف يهدأ
 ويحتضن كفها ب تملك أرمها

وصلا بعد مدة ليست ب قصيرة ليرجل رائف تبعته زهرة..ظل ينظر إلى المنزل
 وعيناه تشتد بهما الظلمة وجسده يتصلب ب شدة..لتهتف هي ب حنو بعدما
 لاحظت حالته

-يلا..وصلنا ومفيش حاجة تمنعنا...

لم يبدُ عليه أنه سمعها من الأساس ولكنه أجبر ساقيه على التحرك..ويده
 تحتضن كفها ب قوة أكبر حتى سمعت صوت إحتكاك عظامها بين يديه ولكنها
 لم تعترض

وصلا إلى الباب ف طرق عليه ب خفوت وكأنه يخشى أن يسمعه أحد.. إلا أنه
 قد أتى أحد الخدم وفتح الباب.. لتتسع عين الفتاة لبرهة قبل أن تدارك
 نفسها قائلة

-إتفضل يا رائف بيه...

أوما ب رأسه ودلف.. كانت عيناه تطوفان ب المكان بحثًا عنها وكأنه يستنكر نبأ
 موتها ولكن إطار صورتها موضوع عليها شريطًا أسود أخبره أنها غادرت عالم
 الأحياء.. سمع صوت زوجته من خلفه تهمس

-ربنا يرحمها...

تشنجت عضلات جسده ولكنه لم يستدر إليها بل تابع طريقه حتى وجد
 الجميع يجلس على طاولة الطعام.. يتلاعبون ب أطباقهم.. قبل أن تقول زهرة ب
 نبرة هادئة تفتن إلى هالة المنزل الكئيبة على الرغم من جمود ملامحهم

-السلام عليكم...

ساعدتها تلك السيدة على إرتداء ملابسها الشبه عارية ثم قالت ب جم وهي
تُغلق السحاب

-متبويض الليلة النهاردة..أنتي بقالك أسبوع راقدة ف السرير بسبب ضرب
الريس ليكي...

لم ترد عليها بل ظلت ملامحها الباهتة تنظر إلى صورتها ب المرأة..تري صورة
فتاة جامعية تحولت إلى فتاة ليل تعمل ب ذلك النزل الذي ما هو إلا أحد
البيوت المشبوهة ولكن ب صورة أرقى..ف هنا لا يأتي سوى رجال الأعمال
والوزراء وأصحاب النفوذ على أنهم يقومون ب بعض الصفقات ولكن هناك ب
جزء غير معلوم ب النزل يظهر الجزء القدر له

صالة رقص تتمايل بها الفتيات ب أجسادهن لتحصل على "زبون"..ف يقع فخاً
لمقوماتها ويقترب لتأتي أحد المسئولات عن تلك الفتيات تتم الصفقة ف يأخذ
الفتاة لأحد الغرف الخفية ويبدأ ب إتمام صفقته

وهي لم تكن سوى ضحية فخ العمل..جذبتها أحد صديقاتها إلى ذلك النزل
على أنهم يحتاجون إلى نادلة وهي الأجدر بها..و شاء القدر أن تدلف هذا المكان
غيرُ قادرة على الخروج

هي فتاة تبلغ من العمر عشرون عامًا..عينها بُنيتان باهتتان وبشرة
خمرية..تدرس ب كلية الصيدلة و شاء القدر أن تُعيل عائلتها الفقيرة بعدما
توفى والدها إثر حادث مأسوي ب عمله الخاص ورفض صاحب العمل أن
يدفع التعويض فلم يكن منها سوى البحث عن عمل وتلك الفرصة التي أتتها
على طبقٍ من ذهب لم تستطع رفضها..ولكنها وقعت أسيرة لفخ أسود حطم
حياتها إلى أشلاء يصعب جمعها

تهددت ب حزن وقهر على ما أصابها ولكنها دوّمًا تهتف ب صبر

-قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا..لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظالمين...

وكان الدُعاء دومًا رفيقها ف تستطيع التملص من تلك الحياة البغيضة التي
 تحياها حتى تستطيع الهرب..ولكن ب أحد الليالي قررت الهرب ولكن صاحب
 المكان أوقف مُخططها وبقي يُعذِّبها حتى سقطت ك الذبيحة ف أمسك فكها
 هامسًا ب شراسة

-لولا أنك ب تجيبي فلوس كثير..كنت قتلتك وإرتحت منك...

وها هي تتزين من أجل العمل ليته قتلها ذلك اليوم..إستفاقت على صوت
 السيدة وهي تهتف ب جمود

-يلا إلبسي الجاكيت فوق هدومك وإتحركي...

وإمتلثت ك جثة هامة ترتدي ثيابها لتُساق إلى مصيرها الذي لم يكن إلا
 إلقاء حتفها

هبطت الدرج حتى وصلت إلى تلك الصالة..نزعت عنها السترة ثم توجهت إلى
 ساحة الرقص وتمايلت ب جسدها تُغمض عيناها عن تلك النظرات المُقززة

إلى جسدها..حتى شعرت ب يد تلتف حول خصرها ف إنتفضت مُبتعدة

ليضحك السكير قائلاً ب شهوة وهو يتفحص قوامها الجذاب

-جرى إليه يا مزة مالك!..إنتفضي كدا ليه!!...

أدارت وجهها عنه لتلحظ المسئولة عنها ذلك الشخص والذي يبدو عليه

الثراء لتتجه إليه وترحب به قائلة

-أهلاً يا باشا نورت..أأمر

-أشار إليها وقال: عاوزها

-هتفت ب حماس: عنيا...

تقلصت ملامحها ب تقزز وكأنها على وشك الغثيان..إلا أنها تماسكت..كادت أن

تبكي وهي تستمع إليهما يتقفان على ثمنها وكأنها سلعة..بل هي سلعة تعرض

جسدها لمن يدفع أكثر

إتفقا على الثمن ليسير بها إلى إحدى الغرف..دفعها أولاً ثم هو..وما كاد أن يدلّف حتى هجم عليها يُقبلها ولكنها تملصت منه ب نفور قائلة ب نبرة أودعت بها دلال زائف

-مش لما نشرب كاسين الأول

-نزع سترته ثم رد وهو يُحدق بها ب شهوة: عندك حق..اللي زيك محتاجله دماغ عشان يتبسط...

تقززت من نبرته التي يسيل بها لُعابه عليها إلا أنها أجبرت نفسها على المضي..توجهت إلى طاولة وُضع عليها جميع أنواع الخمور..لتبدأ ب سكب كأس له..وكأس تبعه آخر وآخر حتى ثمل لدرجة أصبحت رؤيته مشوشة..حينها أمسكت يده وسحبته إلى الفراش..دفعته وهي تبتم ب نعومة..وما كاد أن يسحبها حتى غطّ في سُبَاتٍ عميق

إبتعدت عنه وظلت تبكي إلا أنها أجبرت نفسها حتى النهاية..حاولت نزع ثيابه
عنه ب صعوبة..ثم شعثت الفراش وأبعدت حمالة الثوب..بعدها قامت بعمل
كدمات على أنحاء جسدها وهي تتأوه بقوة باكية

بعدها إنتهت جلست على طرف الفراش تستند عليه بكفيها تدعي بتضرع
-يارب الخلاص..يارب خلصني من هنا..كل دا ذنبي عشان إحنا فقرا..يارب
إحميني ونجيني...

الفصل الثالث

وهل تتحول مرارة الماضي وعلقمه إلى ورود تتفتح؟

رُبما الماضي لم يكن سوى تنبيه لما إقترفتاه ب أيدينا..ليقتل حلاوة الحاضر
والتطلع إلى المُستقبل...

نهض طارق سريعًا ما أن أبصر أخيه رائف ليندفع إليه ويحتضنه ب قوة
هاتفًا ب نبرة مُشثاقَة صادقة

-حمد لله ع السلامة يا رائف..نورت مصر

-ربت رائف على ظهره قائلاً: الله يسلمك يا طارق...

كان نظره مُعلق على رحمة التي ترقرت عبرات الإشتياق ب مُقلتها ولكنه

تجاهلها لينظر إلى مُحي الذي يُحدق به ب ثبات

إبتعد طارق عنه ليتجه رائف إلى مُحي وتشدق ب جمود ودون أن يُكلف نفسه

عناء المُصافحة

-البقاء لله

-أوماً مُحي ب رأسه رادفًا: و نعم بالله..حمد على سلامتكموا

-الله يسلمك...

تقدمت إسراء من رحمة وضمتهما ب قوة قائلة ب إشتياق صادق

-وحشتيني يا إسراء أوي

-هدر رائف من خلفهما: اسمها زهرة..مش عاوز أسمع اسم إسراء خالص...

إلتفتت إليه إسراء ب ذهول وعينان مُتسعتان تكاد تبتلع وجهها كله..وكذلك

رحمة التي لم تستطع الحديث..لتبتسم إسراء ب إهتزاز قائلة

-خلاص محصلش حاجة يا طنط رحمة..مشيها زهرة...

أومات رحمة ب خفوت ولم ترد بل تطوع طارق رادفًا ب هدوء وكأن شيئًا لم

يكن

-تعال يا رائف إستريح فوق

-إلا أن رائف رد عليه ب صلابة: أنا حاجز ف أوتيل هقضي فيه أيام العزا

وبعدين هرجع غلاسكو مرة ثانية

-تنفس طارق ب عمق وقال: ومع ذلك إطلع إستريح من السفر

-لأ...

صمت طارق ب إمتعاض لتتقدم إسراء منه وتهتف ب صوتٍ خفيض

-رائف مينفعش كدا..وبعدين غيث تعبان من السفر ولازم يستريح شوية...

نظر إليها رائف ب شرر يتطاير من عيناه إلا أنها هتفت ب قوة

-عشان خاطري..وكمان أنا تعبانة ورجلي مش شيلاني..عشان خاطري...

زفر رائف ب ضيق ثم قال وهو ينظر إلى طارق

-تمام يا طارق..فين الأوضة!

-إبتسم طارق وقال: فين ابن أخويا الأول...

تنحت إسراء قليلاً ليظهر غيث الهادئ من خلفها ب عربته يلعب ب دُمية

خضراء لحيوان الديناصور.. ف إقترب منه طارق ب لهفة يُقبل وجنته هاتفاً

-شبه عمك يا واد

-ضحكت إسراء وقالت: لأ معلش..هو شبيهي أنا رائف

-رد عليها طارق ب إبتسامة: قصدي شخصيته

-مش يلا نطلع نستريح ولا صحتك جات على الكلام مع طارق!!...

إنطلق من خلفهم صوت رائف الجامد ك صخرة قوية..للتأفف هي ب ضيق ثم

إنحنت حاملة الصغير وإتجهت إليه..لم يخفَ عليها نظرة الלהفة ب عيني رحمة

ومُحي ولكنها إن تقدمت إليهما ب الصغير لقتلهم معاً

أشارت ب عينيها إلى رحمة في إشارةٍ منها أنها ستأتي به فيما بعد..لتومئ ب رأسها

ب خفوت..ثم تحركت خلف طارق ورائف اللذان صعدا الدرج

جلست تلك السيدة أرضًا ب أحد الأقسام تصرخ ب جزع هاتفة ب عويل

-يعني إيه بنتي راحت خلاص!..مفيش نجلاء تاني!

-إنحني إليها أحد أمناء الشرطة يقول ب نبرة باردة: يا جاحة إحنا عملنا اللي

علينا وملقناهاش

إعتدل يرمقها ب إزدراء ثم قال ب حدة

-جايز المحروسة هربت مع واحد الله يعلم مين

-صرخت السيدة وهي تضرب ساقها: بنتي متريبة..بنتي إتخطفت قلبي حاسس

بيها

-ضرب كفًا على آخر وقال: وإحنا نعمل إيه بقلبك!..إحنا شوفنا شغلنا

ومفيش فايده..إستعوضي ربنا فيها بقى...

أخذت تضرب وجنتها ب قوة وهي تصرخ ب عويل..ليأتي الإبن الأكبر لها ينظر

إلى أمين الشرطة ب غضب ثم إنحني إليها هاتفًا ب نبرة جامدة

-خلاص ياما..الحكومة شافت سُغَلها..مبيقوش يزعلوا لما نشوف سُغَلنا إحنا

-أنت بتهددنا!

-هدر محمود قائلًا: أنا لا بهدد ولا نيلة..أنا بس هدور على أختي ب معرفتي..بيننا

ياما...

وضع يده أسفل ذراعها ثم رفعها لتصرخ والدة نجلاء ب قهر

-حسبي الله ونعم الوكيل..حسبي الله ونعم الوكيل...

جذبها محمود خلفه ب يد والأخرى تحك خُصلاته السوداء القصيرة ب عصبية

حتى خرجا من القسم..توجهها إلى طريق المنزل ليقول محمود ب نبرة صلبة

-خلاص ياما..قولت مش هسيب نجلاء ولا هسكت..الحكومة شالت إديها بس

إيدي مش هشيلها

-ردت عليه والدته ب نحيب: وأنت ف إيدك إيه!..ولا معاك مين يساعدك!!

-معايا ربنا ياما..أحن علينا من أي حد..إحنا صحيح غلابة ومش هنلاقي حد

يساعدنا زي اللي معاهم فلوس بس أكيد ربنا مش هينسانا

-أردفت والدته ب تردد: طب مش جايز يكون هر....

-قاطعها محمود هادرًا: عيب عليكي تقولي على بنتك كدا وأنتي عارفة

تربيتها..لو أنتي بتفكري كدا أنا مش هسمح..أختي وعارف إنها ف مُصيبة..وربنا

مش هينساها

-من غُلبى..من غُلبى يا بني

-صلي على الرسول واستغفري وربنا هيكرمنا...

فعلت ما قاله محمود ثم لم تلبث أن قالت فجأة

-مفيش غير عمك عبدالله

-ضيق محمود عيناه وتساءل: عم عبدالله مين!

-أبو إسراء..البت اللي أنت كنت هتتجوزها وبعدين عرفنا إنها إتجوزت راجل
كُبرة...

توقف محمود ب خطواته ليلتفت إليها ب حاجبين معقودين ثم أردف ب خفوت
-وبعدين!!..كملي

-إبتلعت ريقها وأكملت: أكلم الست صفاء تخلي جوز بنتها يساعدنا

-رد عليها إنها ب عصبية: ب مُناسبة إيه يساعدنا!!..ولا الست صفاء هتساعدنا
ليه وهي أصلاً مبتساعدش حد؟

-تمهدت والدته وهتفت ب يأس: أي أمل نتشعبط فيه يابني..بنتي وقلبي واكلمي

عليها..الله أعلم فين أراضها بس عاوزة أطمئن بس..أشوفها وأموت بعدها

-بعد الشر يا حاجة..هتشوفي بنتك وهتكمل علامها وهتكون ضاكتورة أد

الدنيا..بيننا عليهم...

-تعرف إن رائف الأسويطي رجع!!...

تشدق بها رجل أربعيني ذو خُصلات سوداء فحمية..إلى آخر يحتسي شرابًا كحوليًا..ف ما أن سمع ما تفوه به الآخر ليسعل نتيجة ما وقف به حلقه ف قال بعدها به صدمة

-بتتكلّم جد يا جهاد!

-وضع ساق على أخرى وتشدق: وأنا همزر ليه!..دا إحنا حتى لينا حساب كبير أوي هو والخاين الثاني

-بس الخاين الثاني أخذ جزاءه

-إبتسم جهاد به تهكم وقال: ودا بتسميه جزاء!!..دا لسه حسابه معايا عسير..بس أسيبه يستوي الأول...

أشعل لفافة تبغ بُنية رفيعة ليسأله الرجل الآخر

-ناوي تعمل إيه!!

-أردف جهاد ب بساطة: ناوي أرحب بيه..وأعمله حفلة إستقبال تليق بيه..رائف بيه مش غريب عننا

-رد عليه الآخر ب توجس: دا رائف الأسيوطي..عارف يعني إيه؟!...

ضحك جهاد ب قوة حتى أدمعت عينا ثم أكمل ب نبرة تهكم تحمل الخُبث بين ثناياها

-عارف..وعارف كويس نقطة ضعفه..اللي ناوي أدخله بيها..ولما يحصل كدا..هيركع زي الكلب تحت رجلي

-رد عليه الآخر ب تهكم: مش رائف

-ليقول جهاد ب ثقة: لأ رائف..لما أمسك رقبتة ب إيدي هتعرف إنه رائف..وإن السم ال** لسه بيجري ف دمه

-عقد حاجبيه وتساءل: مش فاهم!!.. ب إيه؟

-تؤ تؤ تؤ..قصدك ب مين

-لوى شدقه وأكمل: ب مين يا سيدي؟!...

إسودت عيناه ب نظرات شيطانية وقد ذهب تهكمه ومرحه أدراج الرياح

ليقول ب نبرة لا تقل عن نظرة عيناه السوداوية

-ال**..اللي باع كل حاجة عشانها..لما أخلص منها..هخلي خاتم ف صُباعي..مش

بعيد أخليه حته خادم عندي...

نزعت وشاح رأسها ثم وضعت غيث ب الفراش بعدما غفى ثم توجهت إلى

رائف الذي ينزع عنه قميصه الأسود لتهدر ب حدة خافتة كي لا تُوقظ الصغير

-مممكن أفهم إيه اللي أنت عملته دا!!..إيه اللي حصل تحت دا!

-قذف القميص ثم قال ب لا مُبالاة: عملت إيه!!

-إستدارت إليه وهدرت: مش عارف يعني!

-لأ مش عارف...

دفعها ب يده من منكمها ثم توجه إلى المرحاض ليأخذ حمامًا.. ف بقت هي واقفة تحك جيبتها ب سبابتها وإبهامها ب تعب.. تعي مقدار ما يُعايشه من ألم ولم تُرد الضغط عليه.. ولكن بعض الآلام لا تُشفى إلا ب الضغط

توجهت إلى الأريكة وجلست عليها تنتظر خروجه وما لبث أن دقائق وخرج.. كان يلف حول خصره منشفة وب يده أخرى يُجفف خُصلاته ف سمعت صوته الساخر وبه لمحة من الجمود

-منمتيش ليه!

-ردت عليه ب صلابة دون النظر إليه: مستنياك...

إبتسم ساخرًا ليقذف المنشفة الصغيرة ب إهمال ثم توجه إلى حقيبته التي جلبها أحد الخدم وأخرج ثيابه ليُبدل سريعًا ب بنطال قُطني أسود وكنزة بيضاء ذات خطين طوليين سوداوين.. وتجاهلها تمامًا ليذهب إلى الشُرفة

تهدت ب قنوط لتضع الوشاح ب إهمال وإتجهت إليه..توقفت لحظات وهي
تُحدق ب ظهره..كان يضع يديه ب جيبي بنطاله ويتطلع إلى بقعةٍ ما دون أن
يحيد عنها ف أثار فضولها لتعرف..توجهت إليه ب خُطى حثيثة لتنظر إلى تلك
البُقعة ف وجدت مُحي ورحمة يتبادلان أطراف الحديث

أخذت نفسًا عميق ثم تقدمت خطوة أخيرة لتضع يدها على منكبه ولكن لم
يجفل ولم يستدير..همست ب رقة

-تعالَ عشان تنام..شكلك تعبان

-رد عليها ب جفاء: مش تعبان..خشي نامي...

أشتعلت عيناها ب غضب لتُديره ب قوة من ذراعه..لم يتأثر ب لمستها إلا أنه
إستدار إليها لأنه يعلم كم إشتد عليها وعاملها ب جفاء..ف توقع إنفجارها وكما
توقع إنفجرت ب غيظ هاتفة

-هتفضل تعاملني ب جفاء كدا لحد أمتي!..أنا لما قولتلك تعال نازل ف كان

عشان خاطر نفسك..عشان متفقدش آخر ذرة إنسانية منك

-أبعد يدها وقال ب هدوء: أنا لما عرفت إنك بتكلمهم معاتبتيكيش..ف

متعاتبنيش على حاجة أنا مش قادر أتحكم فيها..مشاعري خاصة بيا

-لكزته ب صدره وقالت ب شراسة: من ساعة أما دخلت حياتك مبقتش خاصة

بيك...

لم يرد عليها لتقول ب قسوة مُفاجئة عله يفيق

-لأ..من وقت أما أجبرتي أدخل حياتك...

توقعت أن يغضب أو يصفعها ولكن تلك النظرة القاسية والألم المُرتسمة

على وجهه أمتها ب قوة وكأنها أصابتها ب الصميم..ولكنها أجبرت نفسها على تلك

القسوة حتى يفيق..لتسمعه يقول ب صعوبة

-أنتي عارفة إنه كان غصب عني..وكمان مكنتش مُتزن من اللي حصلي

-تمهدت وقالت: عارفة..بس عاوزاك تحن شوية...

أخفض رأسه وقد تنغضت ملامحه ب ألم بالغ شطر قلبها نصفين..لتضع

يديها حول وجهه ثم رفعته وهتفت ب رقة

-أسفة مكنش قصدي أجرحك..بس أنت بتعاملني ب طريقة مُهينة

-رد عليها ب صوتٍ ميت: أنا موجوع أوي...

إتسعت عيناها ب قوة ليخرسها ب ذلك الجواب الذي لطم قلبها..لم تجد حلاً

سوى أن ترتعي ب أحضانه تُشدد عليه ثم همست ب نبرةٍ مُتَحَشِرِجَة

-أنا جنبك..طلع كل وجعك فيا

-بادلها العناق وقال ب ألم: أنا وجعتك بما فيه الكفاية

-إبتسمت ب حزن قائلة: مش أن الآون أرتاح!

-آن..آن وأوي كمان...

قربها إليه أكثر ليستند ب ذقنه على قمة رأسها وأغمض عيناها..وب دورها

أغمضت هي الأخرى عيناها

مسح على ظهرها وهمس ب إبتسامة

-أسف يا زهرتي لو كنت وجعتك..بس صدقيني غصب عني

-خلاص يا رائف مش زعلانة

-لثم جبينها وقال: إثبيلي...

إبتسمت وهي تعي أي نوع من الإثبات..لترتفع على أطراف أصابعها ثم قبّلت

جانب فاه ب نعومة ف أحست به يبتسم وقد ظهرت غمازته النادرة لتعود و

تقبّلها ب نعومة أكبر..ف إتسعت إبتسامته أكثر هاتفاً ب تحشرج

-إحنا عندنا حالة وفاه ومينفعش نعمل حاجة مُخلة

-ضحكت وقالت: خلاص منعملش حاجة مُخلة

-خلاص إقعدني ب أدبك...

أومأت ب رأسها لتضع يدها حول خصره..وهو الآخر ف جذبها إلى الداخل وقال

-لما تنتهي أيام العزا هنروح شقتنا الثانية..تطمني على أهلك ونسافر بعدها

على طول

-إبتسمت وقالت ب هدوء: خلاص تمام

-لثم جبينها وقال: تعالي عشان ننام

وضعت صفاء الوشاح حول رأسها سريعاً ثم هتفت ب صوت عال حتى يصل

إلى الطارق

-أيوه ياللي بتخبط جاية أهو...

أحكمت الوشاح حول رأسها ثم فتحت الباب لتجد والدة نجلاء وإبنها يقفان

لتشهيق بـ فزع صغير قائلة

-أم نجلاء!!!..تعالى يا ختى..إتفضلوا...

إبتعدت عن الباب ليدلها إلى الداخل أشارت إلى أحد الآرائك ليجلسوا عليها

ثم جلست هى وتساءلت بـ فضول

-خير يا حبيبتي!!..لاقيتوا البت نجلاء!

-حرك محمود رأسه وقال: لأ يا ست صفاء

-أردفت صفاء بـ تعاطف: قلبى عندك يا بنى..ربنا يدلوكوا عليها...

نهضت صفاء ثم قالت وهى تتجه إلى المطبخ

-ثواني هعملكوا حاجة تشربوها...

ولم تسمح لهما بـ الرد بل دلفت وأعدت كأسين من الشاي وعادت بعد عدة دقائق وضعت الكؤوس أمامها..لتقول والدة نجلاء بـ تعب

-تعبناكي يا أم إسراء

-ولا تعب ولا حاجة يا أم نجلاء..ربنا بس يدلوكوا عليها

-حممت والدة نجلاء وقالت: منا جيالك وقصداكي ف خدمة

-ضيق صفاء عينيها وقالت بـ إهتمام: خير يا حبيبتى إتكلمي!...

إرتشفت من كوب الماء البارد الذي أحضرته صفاء مع الشاي ثم وضعت الكوب وقالت بـ تردد

-مش بنتك النبي يُحرسها متجوزة إشي راجل أعمال مش فاكرة اسمه والنبي

-إرتفع حاجبي صفاء وأردفت: رائف بيه الأسيوطي!

-أيوة هو دا...

وضعت صفاء كفها على معدتها وقالت ب فتور

-طب ودا علاقته إيه ب بنتك!

-رد محمود ب خشونة: يا ست صفاء قاصدينه ف خدمة عشان خاطر أختي

-أيوة يعني يعمل إيه؟...

وضعت والدة نجلاء يدها على ساق صفاء وقالت ب رجاء أشبه ب التوسل

-سابق عليكى النبي تكلميه..تقوليله يخلي حد من الحكومة يهتم يدور على

البت..رحنا القسم وهدولنا ولما زهقوا رمونا بره وسابونا...

صمتت صفاء تستوعب ما تفوهت به تلك السيدة ليسود الصمت لحظات

قبل أن يقطعه محمود هاتفاً ب جفاء

-معلش يا ست صفاء تعبناكي...

إستدركت صفاء نفسها وقالت بسرعة

-مقصدهش يا بني إقعد..بس أنا على ما أستوعبت...

نظرت إلى والدته وقالت ب نبرة هادئة

-الحقيقة بنتي وجوزها مش ف مصر ومش هعرف أكلمها..هي اللي بتكلمني كل

فترة

-طب وهنعمل إيه!!

-إبتسمت صفاء وقالت: أول أما تكلمني هقولها وأزن عليها ولا يكون عندك

فكرة..نجلاء زي بنتي برضو

-بكت والدة نجلاء ب قوة وقالت: ربنا يكرمك يا ست أم إسراء..مش هنسالك

المعروف دا أبدًا

-إن شاء الله هكلمها وأجيلك ب أخبار حلوة...

نهض محمود ثم والدته ليقول ب نبرة خافتة وقد ظهر بها الإمتنان

-معروفك دا مش هندساه يا ست صفاء..ربنا يكرمك

-خلاص بقى ولا يكون عندكوا فكرة..ربنا يرجعها ب السلامة...

أمنا على دُعاءها ثم رحلا لتغلق الباب خلفهما ثم قالت ب نبرة بها شك

-موضوع خطف البنات دا زاد عن حده الفترة دي...

صمتت قليلاً ثم شهقت وهى تصك صدرها هاتفة ب صدمة

-تكنش الناس دي رجعوا يشتغلوا تاني!!....

بعد إنتهاء أيام العزاء وقد عزم رائف على الرحيل..كانت إسراء تُحادث والدتها

والتي طلبت منها المجئ ب أقصى سرعة ف هي قد إشتاقتها وأرادت أيضاً

الحديث معها ب أمر تلك الفتاة

صدح صوت رائف وهو يلعب مع صغيره

-يلا يا زهرة إتأخرنا

-حاضر..هقفل الشنطة أهو...

وب الفعل ثوان وقد إنتهت إسراء من حزم الحقائب ليُجرها رائف خلفه ف

تدمرت ب عبوس

-كان لازم نمشي بدري كدا!

-صدقيني مش طابق أقعد هنا ثانية كمان...

أجرها على الصمت لتتبعه مُنكسة رأسها لأسفل..كانا قد وصلا إلى الصالة

ليَهتف رائف ب جمود

-أنا ماشي...

نهض مُحي سريعًا وقال

-أستنى يا رائف...

توقف رائف دون الإلتفات إليه ليُكمل حديثه ب نبرة رزينة

-مينفعش تمشي قبل فتح الوصية

-إلتفت رائف وهتف ب غموض: وصية إيه دي اللي أحضرها!

-أخذ مُحي عدة أنفاس وقال ب هدوء تسلح به: أنا عارف اللي بتمر بيه وأد إيه

بتكره جدتك وبتكرهنا..بس دي وصيتها يا رائف

-وأنت عرفت منين إنها وصيتها!...

تجاهل مُحي نبرته الساخرة ليُكمل حديثه ب نفس الهدوء

-مهما عملت هي أمي..مقدرش ماحسنش ليها..هي كانت عاوزة تشوفك قبل ما

تموت...

فلتت ضحكة ساخرة من بين شفتيه ف نظرت إليه إسراء ب تحذير ليقول ب

تهكم

-أسف..أسف..مقدرتش أمسك نفسي

-ما علينا..المحامي جاي كمان ساعتين..معلش إعصر على نفسك لمونة
وإستحملنا فيهم...

نظر إليه رائف ب قتامة ولكنه أحس ب كف زوجته يضغط على ذراعه ف
إلتفت إليها ليجدها تنظر إليه ب رجاء قائلة ب همس

-عشان خاطري

-أغمض عيناه وقال ب نفاذ صبر: حاضر..بس متفكرش دا عشان خاطر حد
فيكم غير مراتي اللي مطالتش منكم غير الأذى

-عاودت الضغط على ذراعه وهمست: خلاص كفاية يا رائف...

حاوط خصرها ب يده الحرة ثم توجه إلى غرفة الصالون يجلس بها
وحدهما..تنهد مُحي وضري جانبي ساقه ثم عاد إلى طاولة السفرة .. مالت إليه
رحمة تسأله ب تلهف

-قال إيه؟

-أجابها بفتور: هيقول إيه يعني!..رمى الكلمتين قعد

-أهم حاجة أنه قعد...

أرتشفت من فنجان قهوتها ثم عاودت تسأله

-معرفتش مين الدكتور سالم دا!

-حك جبهته وقال: كل اللي عرفته إنه دكتور نفسي..غير كدا معرفش علاقته

بها إيه

-مطت شفيتها وقالت: عمومًا ساعتين وهنعرف...

وعلى الجانب الآخر وبخته إسراء قائلة

-مينفعش تفضل ترمي كلام كل شوية يا رائف عليهم..كدا عيب

-ضغط على أنفه وقال: أنا مش ناقص وفيا اللي مكفيني والله يا زهرة.. ف
بلاش تتكلمي عشام متزعليش مني ب كلمة...

لوت شفتها ب إمتعاض دون أن تُعقب على حديثه لتقول بعدها ب هدوء

-ماما كلمتني وقالتلي إنها عاوزة تشوفني ضروري

-رد عليها ب عدم إهتمام: بكرة

-حركت رأسها نافية وقالت: لأ يا رائف.. شكل الموضوع كبير...

فتح عيناه فجأة ونظر إليها بغتةً ثم قال ب نبرة حادة

-في إيه يا زهرة!.. لو عارفة حاجة قولي؟

-تعجبت من حدته ولكنها أجابت: والله مش عارفة حاجة.. هي مقالتليش ومش

راضية تقولي.. عمّا نخلص الموضوع دا و نروح نشوف في إيه...

همّ أن يرد عليها ولكن الخادمة أتت وقالت ب إحترام

-الدكتور مُحي طلب حضرتك تشرف أنت والهانم..ب مكتبه

-تشدقت إسراء ب دهشة: معقولة عدت ساعتين!

-رد دون تعبير: أكيد لأ..بس الظاهر المُحامي جه بدري..يلا أحسن...

تبعا الخادمة حتى وصلا إلى غُرفة المكتب ليجدا الجميع وشخصين..أحدهما

يعرفه وهو مُحامي العائلة والآخر لا يعرفه أبداً..تشدق مُحي ب خفوت

-تعالَ يا رائف..تعالِي يا إس..يا زهرة...

أمسك رائف كف يدها ثم جلسا على الأريكة المُقابلة للمكتب..تنحج سالم

وقال ب رزانة وهدوء

-أحب أعرفكوا ب نفسي..أنا الدكتور سالم العراقي

-أوما مُحي قائلاً: تشرفنا..بس حضرتك مشرفنا يوم فتح الوصية ليه؟!!

-تولى المُحامي الرد: دا بناء على طلب سعاد هانم...

عقد الجميع حاجبيه ب توجس..ليُكمل سالم حديثه ب نفس الهدوء النبرة العميقة

-زي ما دكتور مُحي عارف إني طبيب نفسي..أنا كنت الطبيب الخاص لسُعاد هانم

-مش فاهم!...

إلتفت سالم إلى مُحي الذي سأله ب قلق ليشبك كفيه مُوضحًا

-سُعاد هانم ربنا يرحمها..وصتني إني أحضر فتح الوصية وقالتلي أقولكوا على حاجة محدش يعرفها غيري أنا والمُحامي...

نظر مُحي إلى المُحامي ب إهتمام ثم تساءل وهو يلتفت إلى سالم

-وايه هي الحاجة دي؟!...

أخذ سالم نفسًا عميق وهو ينظر إلى رائف ثم نهلة ب نظرات مُتعاطفة وهو يعلم أنه سيُفجر قُنبله موقوتة ثم تشدق

-سُعاد هانم كانت بتتعالج عندي

-إرتفع حاجبي مُحي مُتساءلاً: إزاي!

-نظر إلى مُحي وقال: والدتك كانت بتعاني من الشيزوفرينيا...

الفصل الرابع

قد تكون الحياة عادلة في بعض الأحيان...

ولكنها تكون ظالمة أكثر في أحيانًا كثيرة...

لربما تُعطي قليلًا...

ولكنها تأخذ كثيرًا...

-والدتك كانت بتعاني من الشيزوفينيا...

ساد صمتٌ مُهيبٌ عقب ما تفوه به الطبيب سالم الذي وزع أنظاره يُتابع

ملامحهم المشدوهه..ليتنحنج بعدها قائلاً ب هدوء و وقار

-أنا عارف إنها صدمة..بس هي طلبت مني محدش يعرف حاجة عن المرض دا

-غمغم مُحي عقب أن تتدارك دهشته: يعني فضلت إنها تكون مُذنبه على إنها

تكون مريضة!

-رد عليه سالم: والله دي كانت حاجة تُخصها..أسبابها مش معروفة..أنا كنت

حبيب أعرف ليه بس الظاهر إن كانت فيه حاجة ف دماغها

-تساءلت رحمة ب تجهم: بخصوص؟!

-نظر سالم إلى رائف وقال: رائف بيه...

إرتفعت أنظار رائف إلى سالم سريعًا ب ملامح لا تحمل أي تعبير ثم تساءل ب

جفاء

-وضح مش فاهم!

-شابك سالم أصابعه وقال: من حوالي أتناشر سنة أو أكثر حصل خلاف

بينك وبين سعاد هانم..بخصوص زوجة حضرتك...

قست تعابير وجهه سريعًا وقبل أن يتحدث..كانت زهرة قد أمسكت ب يده

مُحرّكة رأسها نافية لِيُتابع سالم الحديث

-جايز الكلام دا مش هيغير حاجة بس سُعاد هانم حكنتي كل حاجة..بداية لما
عرفت إنك متعلق ب طفلة وإنك حبيتها..لحد أما قررت تبعتها عنك وتطرد
جدها من الشغل..كل اللي عملته كان تحت تأثير نوبات كانت بتجيلها من
ضمنها دخولك السجن ومصحة نفسية..لما فاقت وأستوعبت اللي حصل
قررت إنها تعمل أشعة وتشوف إيه اللي بيحصلها..وكانت النتيجة إنها بتعاني
من المرض دا من فترة طويلة...

أخذ سالم أنفاسه وأكمل حديثه دون أن يلتفت إلى تعابير الدهشة
والإستنكار المرتسمة على وجوههم

-وهنا كان دوري..كنت بتابع معاها خطوة ب خطوة حتى أنا اللي ساعدتها
تخرجك من السجن زي ما دخلتك بالضبط..صحيح تعبنا بس على الأقل
حاولنا..ولما حاولت أقنعها تحكيك رفضت بشكل قاطع..لأسباب برضو لازلت
أجهلها..بس من واجبي أعرفكم زي ما طلبت مني قبل الوصية...

كانت تعابير رائف لا تدل على شئ سوى الصدمة التي ألجمت فاه الجميع
بعد مُدة إحترمها سالم لكي يستوعبوا ما تفوه به..إلا أن رائف تشدق بـ

جمود

-طب وأختي!!..الضحية الوحيدة اللي إتأذت أكثر مني!

-رفع سالم منكبيه وقال: حقيقي دي الحاجة الوحيدة اللي معنديش رد

عليها..بس أرجع أقولك جدتك مكنتش مُتزنة يا رائف بيه...

إلتوى فم رائف بـ شبه إبتسامة مُتهكمة قبل أن ينهض و يقول بـ نبرة صارمة

-أنا هطلع أشوف نهلة توأمي..بعد إذنكوا...

نهضت إسراء خلفه تلحقه لثُمسك ذراعه قائلة بـ قلق

-رائف أنت كويس!

-مسح على وجنتها وقال: مقدرش أقولك إلا لما أطلع وأشوف نهلة...

أومأت ب إبتسامة مُهتزة لتترك ذراعه وتعود..كان المُحامي يقرأ عليهم الوصية
ولكنها لم تستمع إلى حرف مما يُقال

إنصرف المُحامي لتتجه رحمة إلى غيث وبدأت تُلاعبه ب لُطف..ليتجه مُحي
وطارق إلى إسراء ليتحدث طارق أولاً

-هتعملي إيه مع رائف يا زهرة!

-تهدت ب تُقل قائلة: والله مش عارفة..رائف محدش بيتوقع تصرفاته ولا
ردات فعله..هو حالياً بيعاني صدمة بس هو أدها

-يارب

-جلس مُحي أمامها وقال: حاولي تقنعيه ميسافرش دلوقتي لحد أما نشوف
هنعمل إيه

-أومأت ثم قالت ب لُطف: حضرتك كويس!

-ضغط مُحي على عيناه وقال: والله ما أنا عارف..مش عارف أدعيها ب الرحمة

ولا أقولها الله يسامحك على اللي عملتية فينا ولا أعمل إيه!

-ردت عليه زهرة ب هدوء: هي مكانتش عاوزة تخلي المرض عذر..هي ظهرت

مُذنبه وحببت تكمل دورها كدا...

نظر إليها مُحي ب صدمة قبل أن يعتدل ب جلسته ثم قال ب نبرة مُنفعة

-كلام إيه دا يا زهرة!..لو كبرياءها منعها على الأقل عرفتني أنا..كنت هقدر

أحل ولو جزء بسيط..أنا عارف إنها كانت مريضة..بس أوقات كانت في كامل

وعمها ليه محاولتش تصحح كل دا قبل ما تموت

-طب خلاص إهدى يا دكتور محصلش حاجة..ولو كان على رائف سيهولي

وأنا هتصرف...

كان رائف يصعد درجات السلمُ بِ بَطء رهيب..حتى وصل إلى عُرفتها..لم تكن تلك أول مرة يدلف إليها..بل كان يُراقبها أثناء نومها لم يُدهشه الشبه الذي لم يلتفت إليه قبلاً ولكن الآن أصبحت مشاعر أُخرى غير النفور منها هو ما يختلجه..قد يكون شفقة لما أصابها أو الأخوة التي يُريد أن يشعر بها

كان طارق قد أخبره قبلاً أنه تأقلم مع نهلة وحالتها سريعاً ف لم يكن مثل رائف..بل تعامل معها بِ أريحية حتى تتقبل علاقتهما وبِ الفعل بدأت علاقتهما تتحسن وتتقبل طارق حتى وإن كان تحسن لا يُذكر

وضع يده على المقبض وأداره ليجدها تجلس على مقعد أمام النافذة شاردة ك عاداتها..تقدم منها ثم جلس وعيناه لا تُفارق وجهها الذابل..ظل فترة على ذلك المنوال حتى تشدق بِ نبرة خافتة

-إزيك يا نهلة!!...-

نظرت إليه نهلة ولم ترد..بل ظلت تنظر إليه وملاحمها باهتة ، ذابلة ، ميتة
وكأنها جثة عفنة..إبتلع غصّة غريبة ب حلقه ثم أكمل

-أنا رائف أخوك..يمكن متعاملناش مع بعض أبدًا بس إحنا إتأذينا ب درجات
مُختلفة..عارف إنك أكثر واحدة إتأذيتِ..بس أنا كنت ف حالة متسمحش إني
حتى أتقبل علاقتنا...

عقدت نهلة حاجبها ثم تساءلت ب بُطء وتعجب

-علاقتنا!!

-أوما ب رأسه وقال: أنا قولتلك إني أخوك..توأمك يا نهلة..مكنتش أعراف إنك
ضحية زيي..بس لما عرفت مُكنتش عارف أتقبل حد غير مراتي

-إبتسمت شبه إبتسامة وقالت: قالولي إنك فعلاً أخويا..بس أنا مشوفتكش
قبل كدا...

إبتسم رائف لتجاوبها معه وإن كان يعجز عن حمل مشاعر لها إلا أنه قال بـ
نبرة دافئة ك نبرته التي يُخصها بـ زهرته

-كنت مسافر ورجعت..أنا ومراتي زهرة وإبني غيث هو عنده سنتين

-مالت بـ رأسها وقالت: وجيت ليه!

-تجهم وجهه فجأة وقال: عرفت إنها ماتت وكان لازم أرجع..حتى عشان خاطر

الدكتور مُحي

-أنت ليه مش بتقوله يا بابا!!!...

عقدت الصدمة لسانه وهو يجد نفسه يتحدث مع طفلة صغيرة ليست شابة

في مُقبل العمر..تتعامل معه بـ أريحية ليست مُتحفظة وكأن أواصر الدماء

تُجبرها على التعامل معه بـ هذا الشكل..وكم أسعده ذلك حتى وإن أنكر ذلك

الشعور

إبتسم رائف ب دفاء ثم مد يده ب تردد يُمسك كفها الصغير ولدتهشته أمسك
كفه هي الأخرى لتستع إبتسامته ب حنان لا يعرفه إلا مع زهرته..ولكن تلك
الصغيرة تُجبر قلبه المروض على التعامل ب رفق معها..لمهتف بعد مُدة صغيرة
-إتعودت أقوله كدا..علاقتي أنا وهو شوية متوترة...

أومات ب رأسها دون رد ليتنحج هو قائلاً

-قالولي إنك مبتعامليش مع حد ولا بتتكلمي معاهم..بس أنا شايف العكس

معايا

-يمكن عشان كنت مستنياك...

نظرت إليه ب براءة لتجده فاغر الفاه غير قادر على الحديث لتُكمل هي ب نبرة

لا تحمل أي مشاعر باردة ك طقس ديسمبر

-ماما رحمة حكيتي عنك كتير..وَأد إيه عانيت ف حياتك زيي..يمكن كنت

مستنية حد شبيهي أقدر أكلمه..تفتكر كلنا إتظلمنا بسببها!!..تفتكر كلنا مش

ضحاياها هي بس كان دورها توضح العكس؟..مش يمكن هي الضحية وإحنا
اللي سرقنا منها الدور!...

تطلعت إليه زهرة وهو يقود السيارة بـ شرود..عقب جلسته مع شقيقته لم
يتحدث أو ينظر إلى أفراد عائلته بل أخذ الصغير من بين يدي رحمة
وخرج..تبعته وهي تعتذر عن تلك الحالة التي أصابته

نظرت خلفها تطمأن على الصغير فـ سألهما رائف مما جعلها تنتفض بـ دعر

-نام مش كدا!!

-أومأت بـ خفوت: أها...

أوماً هو الآخر دون أن يرد عليها..تهدت بـ ثقل ثم قالت وهي تضع يدها على
معصمه

-مالك يا رائف!..من ساعة أما نزلت من عند نهلة وأنت ساكت كدا!...

لم يرد عليها بل ظل فترة صامتًا وعبارة شقيقتها تطن بـ عقله كـ النحل "مش
 يمكن هي الضحية وإحنا اللي سرقنا منها الدور" ..بهت وجهه تمامًا وهو يستمع
 إلى عبارتها.. لما قد تُدافع عنها!..ربما ما فعلته جدته بها هو عقاب عما إقترفه
 من آثام قبلاً

تمهدت إسراء بـ إحباط ولم تتحدث ف وجدته يتشدد بـ نبرة مُجهدة

-مش جازي اللي حصلي دا عقاب على اللي عملته قبل كدا!

-ردت عليه بـ دهشة: بتقول إيه؟

-نظر إليها رائف وقال: مش جازي اللي عملته هي تفكير عن ذنوبي مثلاً..أنا
 مكنتش ملاك قبل ما أعرفك يا زهرة..أنا كنت واحد فسدته الفلوس والدلع
 وأهلي اللي ميعرفوش عني حاجة غير الفلوس...

عاد ينظر إلى الطريق ثم أكمل بـ شرود

-أنا صُحابي هما اللي ربوني..رسمولي طريق ومشيت فيه ب مزاجي مش غصب
عني..يمكن أنتي جيتي ف وقت كنت محتاج فيه أفوق بس لما خسرتك...

صمت يبتسم ب إستهجان ثم أكمل وهو يضرب المَقوّد

-رجعت أسوأ مما كنت عليه..ويمكن أنتي كنتي ذنب

-شهقت ب جزع قائلة: ذنب؟!!

-أوماً قائلاً: أه ذنب..ليه جيتي ف الوقت الغلط ومشيتي ف الوقت الغلط
برضو..كان لازم أعرف إن واحد زيي مُستحيل ربنا يكفاهه ب هدية زيك...

وضعت إسراء يدها على فاها و قد ترقرت العبرات ب عينها لتهتف وهي تضع
يدها على وجنته قائلة ب تحشرج

-مينفعش تقول كدا يا رائف..أي إنسان من حقه يتوب وربنا بيغفر..باب ربنا
مبيتقفلش ف وش حد..أنت بس اللي كنت محتاج تفوق محتاج حد ياخذ ب

إيدك

-أمسك يدها وقال: وأنتي أخذتي بـ إيدي لنص الطريق وسبتيني ف النص

-إبتسمت بـ دفي وسط عبراتها هاتفة: وأديني جيت أكمل الطريق...

قرب يدها إلى فاه ثم قال وشفتهاه تُدغدغ باطن كفها

-كملي معايا الطريق ومتسبنيش

-مش هسيبك أبدًا يا رائف..بس أنت ساعدني أقدر أكون جنبك...

-بنتك إتاخرت يا صفاء...

نظرت صفاء إلى زوجها ثم أكملت تقطيع الخضروات لعمل الغذاء لهم

لتقول بـ فتور

-متأخرتش ولا حاجة يا عبدالله..تلاقي بس موضوع الست سُعاد هو اللي

أخرهم

-تشدق عبدالله ب حرج: والله كان المفروض نروح نعمل الواجب

-ردت عليه صفاء ب إنفعال: واجب إيه بس!..هتروح بصفتك أبو إبنهم اللي

هما مش قابلينها

-وأنتي عرفتي منين!

-حركت يدها ب الهواء وقالت: مش محتاجة يعني..واضحة...

حرك عبدالله رأسه ب يأس ثم صمت عندما لم يجد بدءًا للحديث..ثوان

وسمعا صوت جرس الباب لتقول صفاء

-تلاقمها أم نجلاء جاية تسأل عملنا إيه

-أشار ب يده إلى الباب وقال: طب روعي شوفيها..خلينا نخلص من الموضوع

دا...

إتجهت صفاء إلى الباب وهي تُعدل وشاح رأسها..وما أن فتحتة حتى وجدت رجلاً ما يقف أمامها..كان يرتدي حلة سوداء ومن أسفلها قميص أبيض..رفعت أنظارها إلى وجهه المُبتسم ب طريقة لم تُريحها لتقول ب تجاههم
-خير يا حضرتت!!

-تشدق الرجل ب نفس الإبتسامة: أنا جاي عشان أتكلم مع الأستاذ عبدالله...

نظرت إليه صفاء ب تفحص قبل أن تضع يديها أمامها تسأله ب ريبة

-بخصوص

-قوليله جهاد الشربيني وهو هيفهم...

بقت تُحدق به لثوان قبل أن تلتف إلى زوجها الجالس على الأريكة يُشاهد

التلفاز لتهتف به ب صوتٍ خفيض

-قوم يا راجل في واحد اسمه جهاد الشربيني عاوزك بره

-بتقولي مين!...

قالها عبدالله وهو ينتفض ليجد أن جهاد قد دلف إلى المنزل..يضع يديه في جيبه بنطاله ويتفحص المنزل ب نظرات مُزدرية..تقدم منه الأول وقال ب نبرة هادئة

-إسمعي يا بيه..أفضل من هنا معدتش لينا طريق مع بعض

-إرتفع حاجبي جهاد وقال: كدا يا عبدالله!!..وأنا اللي كنت عشان فيك خير نرجع الماية لمجارها

-رفع عبدالله كفيه وقال: حد الله ما بيني وبين الطريق دا تاني..ربنا تاب علينا ويتوب عليك أنت كمان...

حك جهاد فكه ب برود ثم قال ب نبرة غليظة

-امممم..شايف إن طلعلك صوت من بعد أما بقى رائف الأسيوطي ف ضهرك

-اسمعي يا جهاد باشا..قولتك إني سبت الطريق دا..وأحسنك تسببه عشان
أخرته مش حلوة...

إبتسم جهاد ب إستهجان ونظرة عيناه بها تهديد واضح..إستدار ليرحل ولكن
عبدالله أوقفه يسأله ب توجس وريبة

-أنت ليك إيد ف البنات اللي بيتخطفوا من حارتنا!!

-ضحك جهاد وقال: ولو ليا!..تقدر تعمل حاجة!

-رد عليه عبدالله بقوة: مش أنا اللي هعمل..الحكومة هي اللي هتعمل...

إستدار إليه جهاد على مهل ثم تقدم منه ليضع يده على منكبه يميل إلى أذنه
هامسًا ب نبرة تهديدية صارمة

-إبعد عن طريقي يا عبدالله..زي ما أنا هبعد عن طريقك..ف بلاش تدخل
نفسك ف دوامة هتأذيك...

أبعد يده عن منكبه ورحل..كور عبدالله قبضته ب عنف لتتشدق صفاء ب
نواح

-أستر يارب..الناس دي مش ناوية تسيبنا ف حالنا..دا إحنا ف حالنا يارب

-هدر عبدالله ب غضب: بسس خلاص..الموضوع دا ميتفتحش قدام بنتك
وجوزها..سامعة!!...

لم ترد عليه ولكنه عاد يصرخ لتقول ب توتر

-سامعة يا خويا..سامعة...

حدق بها ل ثوان قبل أن يدلف إلى عُرفته..وضعت صفاء يدها على صدرها ثم

إرتمت على الأريكة خلفها ب صدمة

كان عبدالله يتلاعب مع حفيده ب سعادة شاردة بينما إسراء و والدتها يقومون

ب إعداد الطاولة..مالت صفاء على إبنتها وسألته

-جوزك ماله!!...

نظرت إسراء إلى رائف الشارد ب حزن ثم عادت تنظر إلى والدتها قائلة وهي

تضع ذلك الصحن المُستدير أمامها

-مفيش..شوية مشاكل عائلية وأنتي عارفة

-مطت صفاء شفيتها وقالت: عيلة غريبة بصحيح...

لم تُعلق إسراء على حديثها لتتجه إلى المطبخ وعادت تضع الطعام على

الطاولة لتسأل والدتها التي ترص الملاعق

-هو بابا ماله!

-عقدت صفاء حاجبها ب توتر وتساءلت: ماله ف إيه!..ما هو كويس قدامك

أهو

-حركت إسراء رأسها نافية وقالت: لأ..هو شكله مبسوط بس أكيد في حاجة

حصلت...

زاغت عينا صفاء لولمة ثم قالت تستدرك توترها وهي تضرب كفي إبنتها قائلة
ب تعاطف

- ااه صحيح.. هو بس زعلان على الموضوع اللي حكيتك عنه

- عقدت إسراء حاجبها وتساءلت: موضوع إيه صحيح؟!...

أخرجت صفاء صوتاً من بين شفيتها يدل على تأثرها ب ما ستحدث به مع
إبنتها ثم قالت ب حزن

- البت بنت أم نجلاء إتخطفت بقالها كام شهر ومحدث يعرف عنها حاجة

- نجلاء مين!!

- تأففت صفاء قائلة ب إستنكار: مش مهم نجلاء مين يا بت.. المهم دلوقتي اللي
حكيمهولك.. بس تعالي المطبخ...

جذبت صفاء إبنتها من يدها ودلها إلى المطبخ..وقفت إسراء أمام والدتها
تتساءل ب إستغراب

-خير يا ماما خوفتيني!

-بصي يا بنتي..البت نجلاء دي الكل يحلف ب أخلاقها هنا..أنتي صحيح

متعرفهاش بس أنا عارفها وأعرف أمها

-مطت إسراء شفتيها ب إمتعاض هاتفة: يا ماما كملي

-المهم..البت نجلاء راحت تدور على شغل وملقتش..ف يوم كدا جات وحدها

صاحبته من الكلية عرضت عليها الشغل ف مكان كدا الله يعلم إيه هو..بس

أمها قالتلي إنه مطعم كبير..ومن ساعتها البت مرجعتش...

إستحال لون بشرة إسراء إلى الأصفر تمامًا وهي تستمع إلى حديث

والدتها..تُشبه تمامًا ما حدث معها قبل ثلاثة أعوام..ولكن القدر ألقى بها إلى

رائف صديقها الذي إحتضنها وأحبها..أما تلك الفتاة ف قد يختلف مصيرها و

يكون الأسوء

نظرت إسراء إلى والدتها وسألتهما ب نبرة باهتة

-يعني إيه!!...العصاة دي رجعت تشتغل تاني!

-تنحنت صفاء وقالت ب خوفوت: أنا قلت كدا برضو يا بنتي..بس مش

عاوزين نخش ف حوارات إحنا مش قدها

-إبتلعت إسراء ريقها ب صعوبة وقالت: طب والمطلوب...

نظرت صفاء إلى باب المطبخ لتجد عبدالله ورائف الذي يحمل صغيره

يتبادلان أطراف الحديث لتعود ب نظرها إلى إبتها قائلة ب نبرة هامسة

-كلمي جوزك بس بعد أما تمشي من هنا وتقوليله يتوسط لأم نجلاء عن

الحكومة يحاولوا يعرفوا مكان بنتها

-أخذت إسراء نفسًا عميق وأردفت ب هدوء: حاضر يا ماما..بس متجيبش

سيرة لرائف عن اللي حصل..عشان لو عرف الموضوع مش هيعدي ب

السهل..دا تعب عما طلع من المستنقع دا

-ربتت على منكها وقالت: حاضر يا حبيبتي..أهم حاجة بس أنتي تاخدي
بالك..أنا عارفة إنه صعب عليك بس معلىش يا بنتي دي أم وقلها محروق
على بنتها

-متقلقيش يا ماما..إن شاء الله هنلاقيها وهيطلع حكاية خطف عادي
والعصابة دي ملهاش دخل...

لوت صفاء شدقها وهى تعي أن إختطاف الفتاة لم يكن سوى أن تلك
المنظمة عادت من فترة خمولها الصيفي لتبدأ صيدها من جديد..إنتفضا على
صوت عبدالله

-يلا يا صفاء أنتي وبنتك..موتنا من الجوع

-طيب يا خويا جاين أهو...

حملت إناء زجاجي من الماء ثم إلتفتت إلى إبنتها ونظرت إلى وجهها الشاحب
قائلة ب صرامة

-إعدلي وشك ومتحسيسش جوزك بحاجة يا بنتي..وزي ما قولتلك كلميه لما

تروحي

-حاضر...

جذبتها صفاء من يدها خلفها ليخرجا إلى رائف وعبدالله الجالسان على

طاولة الطعام..جلست إسراء جانب زوجها الذي مال عليها وسألها بهمس

-مال وشك مخطوف كدا ليه!

-إبتسمت به إهتزاز قائلة: لا أبداً مفيش حاجة يا حبيبي..أنا بس يظهر تعبت

عشام مآكلتش حاجة من الصبح

-ربت على منكها وقال: طب يلا كلي وأنا هأكل غيث...

أومات به خفوت لتأخذ الملعقة وتبدأ في تناول الطعام به دون شهية..ثم نظرت

إلى والدها الشارد أيضاً لتتنهد به ثقل تدعو به داخلها أن يمر هذا الأمر على

خير

تطلعت حولها وهي تسير ب صحبة حارس ضخم البنية ب ذلك الممر الشبه
مُضاء وألوانه القاتمة تُضفي هيئة مُرعبة لذلك المكان الموحش..إبتلعت ريقها
ب صعوبة وهي تقول ب إهتزاز

-إحنا رايعين فين!!

-رد عليها الحارس ب غلظة: هششش..مسمعش صوتك...

لوت شدقها ب غضب ولم تتحدث أكثر من ذلك..بل بقت تنظر إلى الباب ب
آخر الممر..وكان هو الباب الوحيد الذي تراه عبر الممر الطويل والشبه مُتسع
وجدت الحارس يطرق طرقتين ثم فتح الباب ودفعا إلى الداخل..ترنحت
قليلاً ب وقفها ثم إعتدلت وتفحصت المكان

كان هناك مكتبة صغيرة بها أنواع كُتب مُحددة لم تتبين ما هيتها وعلى
الجانب الآخر فراش ضخم أسود اللون يقذف الرعب ب القلوب..وب جانب

الفراش هُناك مكتب خشبي من اللون الأسود وخلفه مقعد ضخم يجلس
أحدهم عليه و يولمها ظهره

إنفضت على صوت الحارس خلفها وهو يقول ب إحترام

-جبتها يا باشا...

رأت كف ذلك الشخص يرتفع يُشير إلى الحارس ب صلف أن يذهب ثم صرح

صوته الغليظ

-خلاص روح..ومحدثش يدخل قبل أما أنا أناديلك

-أوامرك يا باشا...

تحرك الحارس إلى الخارج لتبقى هي في مواجهه ذلك المجهول..إنخلع قلبها وهي

تجده يستدير إليها..لتنكمش على نفسها ب ذعر لم تعرفه قبلاً..رأت أسنانه

تظهر من خلف إبتسامة شيطانية جعلت ساقها غير قادرتان على حملها

عاد صوته الغليظ يهتف ب نبرة ماكرة

-أهلاً.. أهلاً يا حلوة نورتي...

تراجعت خطوة إلى الخلف لتتسع إبتسامته أكثر ثم نهض عن مقعده ودار

حول المكتب لتتراجع هي أكثر..ضحك هو ب صخب ليقول وهو يستند إليه

-متخافيش يا قمر كدا..أنا بس حابب أتكلم مع حد وملقتش غير الوجه

الجديد...

تفحصها ب وقاحة بدءاً من ثوبها القصير دون أكمام والذي ينسدل على

جسدها ك جلد ثان.. وخصلاتها التي تنسدل على ظهرها وكتفها

المرمرين..مسح ب لسانه على أسنانه وقال ب خبث

-بس الشغل باين عليك ومخليك مزة..مكنتش أعرف إن الجمال الشرقي

البسيط ممكن يبقى فتاك كدا...

أثارت كلماته القذرة غثيانها ولكنها تماسكت وهي تقبض على جانب ثوبها

تقدم منها قائلاً دون أن يحيد ب نظره عنها

-أحب أعرفك ب نفسي..أنا اسمي جهاد..المسئول عن الأوتيل المتواضع دا...
 تراجعت إلى الخلف وقد بدأ العرق يتصبب على جبينها ناهيك عن ضربات
 قلبها التي تضرب أضلعها بلا رحمة حتى أوشكت على تحطيمه..توقفت
 خطواتها عندما وصلت إلى الباب خلفها ليصل هو إليها
 حاصرها بينه وبين الباب واضعاً يده على رأسها و وجه قريب منها إلى حد
 خطير ف مالت ب رأسها إلى الجانب ليُعيد رأسها ب يده ثم قال وهو يقبض على
 ذقنها

-تؤ تؤ تؤ..بحب لما أتكلم مع حد..يبص ف عيني زي ما أنا ببص ف عينيكِ
 الجميلة دي...

حبست أنفاسها ب هلع وقد بدأت خُصلاتها تلتصق ب جبينها و وجنتها
 ليتشدد وهو يُبعد تلك الخُصلات
 -مش ناوية تعرفيني على نفسك...

حركت رأسها نافية ليضحك هو بـ خفوت ليميل إليها أكثر وهتف

-مش مهم أصلاً أنا عارفك..اسمك نجلاء..كنتي بتدرسي ف كلية

صيدلة..ساكنة ف حي شعبي ب القاهرة..كدا ولا أنا غلطت ف حاجة!!...

تساقطت عبراتها التي كابحت هبوطها..ليمط جهاد شفتيه بـ أسى مُصطنع ثم

قال وهو يُزيل تلك العبرات

-تؤ تؤ..ليه بس الدموع!..أنا جيت ناحيتك دلوقتي!..أنا بس بدردش معاك...

علا صوت نحيبها مُصاحباً لصوت أنين مكتوم..ليميل ويستند بـ جبهته على

جبهتها ثم قال بـ حنو

-متعيطيش يا نوجة الله!..إحنا يا بنتي بنتكلم أهو ومعملتش حاجة..

ولكنها أكملت بُكاءها ليتهد بـ خفة ويأس..ثم تشدق وهو يزيل المزيد من

العبرات

-طب خلاص..قوليلٍ أنتي عاوزة إيه وأنا هعمله!؟

-ردت عليه بـ صوتٍ مُتَحَشِّرَجٍ: عاوزه أروح من هنا

-إبتسم شبه إبتسامه وقال بـ مكر: بس كدا!!!..من عنيا بس بـ شرط

-تشدقت بـ لهفة: أي شرط بس أمشي من هنا...

إتسعت أبتسامته الماكر أكثر..لتهبط يده إلى خصرها جاذبًا إياها إليه حتى

إلتصقت بـ جسده..لتشيق بـ هلع ناظرة إليه بـ عينان مُتسعَتان..إقترب هو

أكثر حتى باتت أنفاسه الساخنة تلفحها ليمس بـ نعومة تُشبه نعومة جلد

الأفاعي

-تقضي معايا ليلة وهسيبك...

الفصل الخامس

ليس الحب لديه إلا تلك الشهوة العمياء أو هذه الشهوة المبصرة وهي أسمى
ما عرف من ألوانه.

تهدجت أنفاسها ب قوة وبقى صدرها يعلو وينخفض بسرعة حتى تألمت..ظللت
تنظر إليه ب عينان مُتسعَتان وكأنه يتحدث ب طلاسَم يصعب على عقلها
ترجمتها

كان ينظر ب عينيه السوداوين إلى عيناها ب إبتسامة خبيثة..رفع يده وملس
على وجنتها لتُبعد وجهها عنه ب نفور..ف تحولت إبتسامته إلى قهقه صغيرة ثم
قال ب نبرة لائمة

-أنا عارف إنها صعبة عليك..خصوصًا إنك...

مال على منكها يُقبله ف دفعته ب سرعة وقد إمتعضت ملامحها ب نفور ليُكمل
حديثه

-إنك لسه بنت...

نظرت إليه بسرعة وقد جحظت عيناها ليضحك قائلاً ب مكر

-متفاجئيش يا نوجة..أنا بقالي سنين بشتغل ف المجال دا..وبقى عارف مين
اللي سلمت ومين اللي مسلمتش..وبصراحة عجبني أوي مقاومتك دي
-أدمعت عيناها من فرط الخوف وقالت: سبني أمشي..أبوس إيدك...

إقترب منها ب خطوة ثم رفع ذراعيه يُحاوط رأسها مُتكئ على الباب خلفها

ليتشددق ب نبرة ناعمة

-طب دا كلام يتعقل برضو!..مش أنت بتشتغلي وبتجيبني فلوس!..عاوزه تمشي

ليه؟...

تهند ب حرارة ثم دنى ب رأسه إليها أكثر وهمس ب فحيح

-وبعدين أنا مينفعش أسيبك تمشي من هنا..هتخرجي وتبلغني عنا

-تشددت ب نشيج: ورحمة أبويا ما هجيب سيرة لحد

-قهقه ب طريقة أرعبتها ثم قال: عيبك أنك بريئة أوي..لأ وهبلة كمان...

وضع يده أسفل ذقنها ثم رفع رأسها إليه وهمس ب نبرة قاتمة

-أنتِ هتخرجي ف حالة واحدة بس..وأنتِ ميتة...

أغمضت نجلاء عيناه ب قهر لتتسابق عبراتها ب الهبوط ليتتبع إبهامه تلك
الأماسات ثم قال ب نبرة ممطوطة

-متعيطيش عشان أنا مبحبش العياط..وبعدين إعتبريني جوزك...

صمت وقد إتسعت إبتسامته فجأة وقال ب حماس

-طب والله فكرة..إيه رأيك أتجوزك عرفي لو مفكرة إنك بتعملي حاجة
غلط!!...

لم تجد نجلاء نفسها سوى وهي تهبط على وجنته ب صفة قوية تلاشى معها
كل الهزل من عيناه التي تحولت إلى ظلامٍ دامسٍ إبتلع روحه و روحها معه..رد
لها الصفة أردتها أرضاً ف دنى منها وهمس ب فحيح

-أنتِ الجانية على روحك..إديتك فرصة بس شكل أمثالك ملهمش الكرم...

وصلا إلى المنزل القديم الذي سكناه قبلاً..ليضع رائف الحقائق أرضاً ثم

إستدار لزوجته يأخذ منها الصغير و يضعه ب إحدى الغرف

تفحصت إسراء المنزل ف وجدته نظيف وكأنه يوصي أحدهم على تنظيفه ب

إستمرار..أدارت رأسها إلى المكان القادم منه وقالت ب إبتسامة

-المكان نظيف وزى ما هو متغيرش

-كنت بيعت حد ينضفه ديمًا...

أومات ب رأسها وإتجه إليها يحتضن خصرها ثم قال ب نبرة شبه ناعسة

-أنا أسف

-عقدت إسراء حاجبها وقالت ب دهشة: أسف على إيه!!!...

مد يده ينزه الوشاح عن رأسها ثم أردف وهو يميل لكي يشتم عنقها

-ع المعاملة اللي كنت بتعامل معاكي بيها..أنا فعلاً كنت قاسي معاك أوي..بس
غصب عني

-إبتسمت ب دفي وقالت: مش زعلانة..بالعكس أنا مقدره أوي

-قبّل وجنتها ب عمق وقال: ربنا يخليك ليا وميحرمني من جمالك أبداً...

ضحكت وهي تستشعر قبلاته التي يوزعها على وجنتها لتقول ب مُزاح

-خلاص يا كابتن..شكلك جعان وعاوز تاكل

-همهم: أنا فعلاً جعان...

شهقت ب خجل وهي تدفعه بعيداً عنها لتقول ب تلعثم حاد

-ع..عيب كدا..آآ أنا مقصدش..اللي جه ف بالك

-ضحك ب خبث وقال: وإيه اللي جه ف بالي!!!...

ضيق عيناها ب حنق ثم قالت وهي تُشير ب يدها

-إتفضل إنزل هاتلنا أكل عشان أنا جعانة

-إقترب منها وقال: عندك المطبخ فيه كل حاجة..أنا وصيت حد يجيب

الحاجات اللي لازمنا

-أخذت نفسًا عميق وقال: حيث كدا..خش خد شاور وأنا هحضر الأكل

-ضيق رائف عيناه وقال: مش ملاحظة إنك بتاكلي كتير الفترة دي

-رفعت حاجبها ب شر وقالت: تقصد إيه!

-رفع منكبيه وقال ب بساطة: حامل مثلاً!

-شهقت وقالت ب إستنكار: حامل!!! لأ يا رائف..مش حامل..أنا بس مكلتش

عند أهلي كويس ف جعت

-طيب...

إستدار إلى الداخل ليأخذ حمامًا ليردف قبل أن يختفي

-إعملي أكل خفيف يا روجي..وغيري هدومك الأول...

تمهدت إسراء ثم دلفت إلى أحد الغرف وفتحت حقيبتها لتُخرج منامة وردية
تصل إلى مُنتصف ساقها وأكمامها قصيرة تصل إلى ما قبل مرفقها..رفعت
خُصلاتها ب عشوائية ثم إتجهت إلى المطبخ

حضرت طعام بسيط و وضعته على الطاولة..في تلك الأثناء كان رائف قد
خرج من المرحاض يرتدي بنطال من اللون الجملي وعاري الصدر..يُجفف
عنقه ب منشفة صغيرة

إستدارت إسراء إليه..لتشقق ب خفة وهي تراه عاري الصدر..إبتسم ب مكر
وقال

-إيه يا زهرتي!..هي أول مرة تشوفني كدا!..دا إحنا دافنينه سوا!

-جزت على أسنانها وقالت: إقعد كُل يا مُحترم

-قهقه ب خفة وقال ب مُزاح: ياما...هتاكليني ولا إيه!

-سحبت مقعد وقالت: بطلّ كلام وإقعد خرينا ناكل ونام

-حاضر يا جميل أنت تؤمر بس...

جلس ب المقعد المجاور لها..نظر إلى أصناف الطعام البسيطة لبيتسم ب

خفة..جذب المقعد ب القرب منها أكثر ف نظرت إليه ب طرف عيناها وقالت ب

نشق

-مالك مقرب كدا ليه!

-غمزها ب عبث وقال: عشان أطول الأكل...

نظرت إليه ب نصف عينٍ ولم ترد..لترتفع يده خلف ظهرها دون أن تشعر..ثم

إمتدت يده لجلب قطعة من الخبز الأبيض ف مالت إلى الجانب ناحيته حتى

إرتمت على صدره..نظرت إليه ب غضب وقالت

-الله!!...بتعمل إيه!

-رفع قطعة الخبز أمامها ثم قال ب براءة: بجيب التوست

-واللي يجيبه يجيب من ورا!

-إبتسم وقال: محبتش أقطع عليك الأكل

-نظرت إليه شزرًا ثم قالت: ياباي...

ضحك ب صوتٍ مكتوم..ليُكمل طعامه..حانت منه إلتفاتة إليها ليجدها تأكل

ب بُطئ..إبتسم ثم وضع يده خلف عنقها وقال ب همسٍ ساحر

-أنا بقول كفاية أكل بقى ونخش على التحلية...

نظرت إليه ب عدم فهم ولكنه كان أسرع منها وهبط إلى شفيتها يُقبلها ب شغفٍ

وكأنه أول مرة يتذوقها..إختنقت من عمق مشاعره لتضرب صدره ف إبتعد

عنها لتقول ب حدة وخجل

-أنت قليل الأدب...

مال إلى ثغرها يُقبله ب خفة عدة مرات ثم تشدق ب خمول

-وبعشق قلة الأدب..سبيني بقى أكمل سُغلي...

ثم مال وحملها إلى تلك الغُرفة التي شهدت عليهم أولى لحظات تقاربهم
العشقي مُنذ سنوات..لايزال يتذكر ذلك اليوم بـ كل تفصيلة صغيرة وكأنه لم

يحيا قبل ذلك اليوم

في صباح اليوم التالي

إستيقظت إسراء من سُباتها لتجد نفسها بين أحضان رائف..إبتسمت وقبّلت
وجنته بـ خفة قبل أن تنهض..إتجهت إلى المرحاض توضأت وصلت الضُحى..ثم
إتجهت إلى غُرفة الصغير..وجدته لا يزال نائمًا مُنذ أن إستيقظ فجرًا
وأجبرهما على اللعب معه..إنحنت تُقبله ثم دثرته جيدًا وإتجهت بعدها إلى

المطبخ

حضرت طعام الإفطار ثم توجهت إلى الغُرفة..وجدته لا يزال نائمًا لتقترب منه ب خفة..حركت يدها على حاجبيه الكثيفين ب خفة ثم همست ب نعومة

-رائف..حبيبي!..يلا عشان تفطر...

تململ رائف ب خفة ثم فتح جفينه وما أن أبصرها حتى إبتسم ف إبتسمت وهي ترى زرقاوتيه الصافيتين ك السماء عقب هطول الأمطار

إعتدل ب جلسته ليظهر جزعه العلوي العاري ثم قال ب نبرة مُشرقة

-يا صباح الفُل

-صباح النور يا حبيبي..يلا قوم كدا خُد شاور وصلي الضُحى عشان تاكل...

مسح على وجهه صعوذًا إلى خُصلاته البُنية ثم قال ب نبرة رخيمة

-حاضر يا زهرتي..صليتي أنتِ الأول!!

-أومات ب رأسها وقالت: طبعًا

-غيث لسه نايم!!

-أها..مش هيصحى دلوقتي خالص..أنت ناسي عمل إيه الفجر!

-ضحك وقال: لأ..يلا قومي عشان أخذ الشاور وأصلي

-تمام يا حبيبي...

ثم مالت تُقبل وجنته بـ قوة ونهضت..إتجه هو إلى المرحاض وقف بـ المنتصف

ثم قال وهو يضع يده بـ خصره

-بصراحة أنا مش قادر أخذ شاور..هتوضى وأغسل وشي وخلص...

وبالفعل توضأ وأدى صلاة الضُّحى و توجه إلى المطبخ..ف وجد تلك الجنية

الصغيرة ترتدي منامة قصيرة من اللون الأبيض تلتصق بـ جسدها وساقها

النحيلتين تظهرا من أسفله..مال بـ رأسه إلى الجانب وبقي يتفرس النظر إليها

إنتهت هي من صنّع القهوة إستدارت لكي تُجلب فنجانين ولكن ما أن
 إستدارت حتى شهقت وهي تراه..يقف أمامها ب هيبته يبتسم ب خبت .عضلات
 صدره القوية تتحدها للنظر إليها..تساءلت في نفسها

- "ألا يمل الجلوس هكذا!..ألم لا يشعر بخجلها ما أن تُبصره هكذا"...

تساءلت ب تلعثم وهي تتجه إلى الخزانة لتُجلب فنجانين

-آآ..أنت واقف..كدا ليه!!!...

لم يرد عليها بل تقدم منها وعيناه تُطالعانها ب مكرٍ وخبتٍ شديدين ليهمس ب
 نبرة عابثة

-بعوض اللي عملتية إمبارح

-لوت شدقها ب ضيق وقالت: عملت إيه يعني!..كنت تعبانة ونمت...

تشدق وهو ما يزال يتقدم ب بُطئ

-لا وبصراحة بتختاري الوقت..ومن حيث كذا أنا بقى لازم أعوض...

حاولت التراجع عنه ب شتى الطُرق ف هو لا يزال عاري الصدر مُند

أمس..تراجع وهو يقترب وعلى وجهه إبتسامة خبيثة لظالما كرهتها

حاصرها بين القطعة الرُخامية وبينه وكم بدت ضئيلة الحجم. أمامه!..حاولت

إبعاده ب دفعه من صدره مُستخدمه إصبعيها..ف كُلما وضعت يدها على

جسده أصابتها صاعقة من السماء..ف حاولت توصله ب حروفٍ مُتلعثمة

-را..رائف..عشان خا..خاطري إبعد

-ف رد عليها ب عبث: طب منا ببعد أهو

-إزاي يعني!

-كدهو...

قالها وهو يلتصق بها أكثر حتى باتت تستشعر السخونة المنبعثة من جسده..والحرارة التي يتشربها جسدها على تطفئ ظمأ برودتها..تضرجت وجنتها ب حُمرة مُغرية..ليهمس ب أذنيها

-أنتِ لسه ب تتكسفي مني يا أم العيال

-نظرت إليه بصدمة: إيه أم العيال دي!..أول مرة تقولها...

أمسك ذقنها يُجبر بُنيتهما على التحديق ب زُرقتَه رُغمًا عنها وقال ب نبرةٍ ساحرة

-ومش هتبقى آخر مرة..عشان أنتِ هتبقى أم العيال فعلاً...

ثم حملها بغتةً بين ذراعيه ودلف بها إلى عُرفتهم..محراب عشقهم

الفصل السادس

بداخلي خراب كبير وأمل كبير ولا أدري أيهما أنا!!!...

فتحت جفنيها الناعسين ب تكاسل وهي تشعر ب طرقات طفولية على باب
 عُرفتهم يصحبها بُكاء ناعم.. شهقت إسراء ب خفة وهمسة مذعورة
 -غيث!!!...

إبتعدت عن أحضان رائف ب خفة ثم إرتدت مئزرها وتحركت إلى حيث يقبع
 طفلها.. فتحت الباب لتجد الصغير جالس أرضًا يفتح ذراعيه إليها لكي تحمله
 وجفنيه حمراوين من كثرة البُكاء.. شهقت ب لوعة أمومية وهي ترفعه بين
 ذراعها وتُشبعه تقبيلًا

تحركت بعيدًا عن الغُرفة وأغلقت الباب خلفها.. إتجهت ب غيث إلى المطبخ
 تُعد له الطعام تواسيه عن تغافلها عنه تلك الساعات التي قضتها بين
 أحضان ذئبها.. إبتسمت وهي تُداعبه ب رقة وقد إستجاب الصغير ب صدرٍ
 رحب.. وضعت قُبلة على جبينه وقالت ب حزن

-أسفة يا روح ماما...

إبتسم الصغير وهو يُداعب وجنتها ب أصابعه الصغيرة دون أن يفقه لما
تقوله..أخذت يده وقبّلت باطنها..إنتهت من إعداد الطعام ثم وضعتة على
مقعده المخصص وبدأت في إطعامه

أحست ب يده تلتف حول خصرها لتشهق وهي تستشعر شفتاه تسير على
عُنقها ب رقة ثم هتف ب مُزاح

-مش عيب أما تصحي تأكلي إبنك وسايبة أبوه يقوم من غير أما يلاقي حضن
يدفي بيه!!...-

حمحمت إسراء ب إرتباك وهي تنظر إلى صغيرها الذي يُراقبهم ب عقدة حاجب
لتكزه ب صدره قائلة ب عتاب وخجل لذيذ

-عيب كدا..مش قدام إبنك

-تراقص ب حاجبيه قائلاً ب عبث: هو فاهم حاجة!

-غمغمت ب نزق: بكرة يفهم...

قهقهه رائف وهو يتخذ بـ جانبها مقعد ولم ينسَ أن يُقبل صغيره ويُداعب
خُصلاته الناعمة ثم قال وهو يتكئ بـ وجنته على قبضته بـ عبث ولؤم

-طب أكليني!

-رفعت حاجبها بـ عدم فهم هاتفة: أأكلك إيه!...

عض على شفاه السفلى بـ وهو ينظر إلى فتحة المزور بـ جرأة جعلتها تشهق بـ
خجل فـ إنسكب محتويات الملعقة على ثيابها..ليقول رائف بـ خبث مُصطنع

الأسف

-تؤتؤتؤ..كدا بوظتي الهدوم الجميلة دي!..مش تاخدي بالك يا زهور

-دلكت جبهتها بـ تعب ثم قالت يائسة: رائف حبيبي..قوم كل ولا شوف هتعمل

إيه

-رفع منكباه بـ لأمبالاة وقال: معنديش حاجة أعملها..فاضيلك..غير بقى...

صمت وهو يغمزها مُشيرًا ب رأسه إلى تلك الغُرفة.. ف إشتعلت وجنتها ب خجل
وب حركة لا إرادية.. ضربت رأسه ب ملعقة الطعام الخاصة ب غيث.. رغم قوة
ضربتها إلا أنها لم تؤلمه بل جعلت حاجباه يرتفعان ب عبث.. جعلها هذه المرة
تضرب ساقه ب قدما ليرتفع حاجباه أكثر دون أن يرد

حركت إسراء رأسها يائسًا ولم ترد.. بل أكملت إطعام الصغير الذي حملته
بعدما إنتهى من طعامه ثم أجلسته أمام التلفاز.. كل هذا يحدث تحت أنظار
رائف عاري الصدر "دائمًا".. طوال السنة.. ب جميع فصول السنة.. يبقى عاري
الصدر.. وكأنه يُشاكسها ب هذا المظهر الجريء.. ولكنها لم تعتاده أبدًا.. ف رائف
إقتحمها سريعًا دون أن يترك لها الفرصة لإستكشافه.. رغم سنوات الزواج
التي قاربت الثلاث إلا أنها لم تعرف عنه الكثير والذي أكد حدسها يوم فض
الوصية والذي صرح به الطبيب عن "دلوفه المصححة".. بدأت تشعر أنها لا
تعرف عنه إلا ما يُريدها أن تعرفه

عكسه تمامًا ف هو إخرقها ب خُبث..كان دائمًا يُخبرها أنها تُشبه "طروادة"
حصونها منيعة أمام القوة العسكرية ولكنها هشة أمام الخُبث الذي تسلح به
"أخيليس" لكي يصل إلى محبوبته "برسيس"..أسطورة صورت واقع"رائف
وزهرة" ف كانت إسراء هي "طروادة" و زهرة هي "برسيس"..وكلامها يُشكلان
جُزء لا يتجزأ منه يعشق كلتاها ولكن زهرة!!..لم تكن عشق بل مرسة
وأمان..هدف سامي لم يصله إلا عندما إقتحم أسوار إسراء حصنها المنيع
أمامه وأمام الجميع..تلتحف ب ذلك الحصن ب أوقات يحتاج حقًا بها إليه
تهددت ب حرارة ولم تستشعر أن صوت تهديدتها العالية التي وصلته ف جعلته
ينفض ليستند ب ظهره على طرف القطعة الرُخامية ب جوارها وهي تُعد الإفطار
لهما يعقد ذراعيه أمام صدره ويسألها ب إهتمام

-مالك يا زهرة!

-نظرت إليه ب إستفهام: مالي في إيه!

-مط شفتيه وقال: من ساعة أما رجعنا من عند أهلك وأنتي غريبة

-حركت رأسها نافية بتوتر: خالص..أنا بس آآ...

قاطعها رائف وهو يُشير ب يده أن يصمت ف صمتت..ليجذبها من خصرها إليه

يُقرّبها إلى صدره الذي يطمئن ب وجودها ثم قال بت

لهجة تقريرية

-جايز مفكراني مش واخذ بالي..بس أنا عارفك يا زهرة..قوليلي مالك!..حاسس

إن الموضوع اللي كانوا أهلك عاوزينك فيه هو اللي شقلب كيانك كدا!

-تمهدت وهي تستند على صدرها قائلة: والله مش عارفة يا رائف..بس هو فعلاً

الموضوع دا..عاملي هاجس..مش هاجس بس..لأ دا خوف و رعب...

أُتسعت عينا رائف ب قلق ليزيد من ضمه إليها وقد إنتقل خوفها إليه ثم قال

ب إهتمام

-طب عرفيني عشان أساعدك

-ترجمت أفكارها دون أن تدري: أنت بذات مش عاوزاك تعرف

-عقد حاجبيه وتساءل: أنا بالذات!..في إيه يا زهرة متقلقيش؟...

هدر ب العبارة الأخيرة ب قليل من العُنف ف إستشعر رجفتها ليُمسك كفيها

ويجذبها لكي تجلس..ولكنه جلس وأجلسها على ساقيه وقال ب حزم

-من غير لف ودوران إحكي لي ومتخبيش أي تفصييلة...

جففت هايدي يدها بعدما أنهت صُنع الإفطار الكارثي..ف هي وكما يقول طارق

"مفيش بينك وبين المطبخ عمار"..ولكنها كانت تصر دائماً على صُنع الإفطار

حتى تتعلم..وكل مرة طعام كارثي وطارق مُجبر أن يُخبرها أنه رائع بل أكثر من

رائع..ويخرج إلى عمله ولكن قبل أن يتجه إلى رحمة زوجة والده تُطعمه..ف

والدته قد قررت السفر والإبتعاد في بعض الأعمال الخيرية تتلهم بها بعيداً

حتى تُلملم شتات روحها المُمزقة..حتى عند موت جدته عادت وقامت بواجب
عزائها كأى شقيقة ثم رحلت حتى دون إنتظار فتح الوصية

إتجهت إلى عُرفتهما لتجد طارق قد أنهى إرتداء ثيابه..وضع عطره وإبتسم
عندما نظر إلى المرأة و وجدها تنظر إليه ب ذلك العشق الذي لم ينقص بل
يزداد مع إزدياد تمسكه بها وعدم الإنجرف ورائها ب حديثها الذي لا معنى له
ب الزواج من أخرى وإنجاب الأطفال بعدما إكتشفا أنها تُعاني خللاً ما ب رحمها
يقضي على قدرتها ب الإنجاب

إلتفت طارق إليها ثم أمسك كِلا كفيها يُقبلهما ب رقة هامسًا

-صباح الورد يا ورد

-بادلته هي الأخرى قُبلاته على كفه ثم همست: صباح النور يا حبيبي..يلا

عشان نفطر...

تلاشت إبتسامته ب تدرّيج ليحل محله آخر أكثر توجسًا لتضييق هايدي عينيها
ثم هتفت ب شر

-مش حطالك دقيق بدل الملح يا طارق..ولا عملتك البيض ب قشره المرادي
ولا حطيت بودر بدل السكر ف الشاي..بتعلم والمفروض تكون طاير من
الفرحة عشان خاطر مراتك

-حك خلف عنقه وقال: مش قصدي يا حبيبي..بس أنتِ عارفة..إني بحب
أروح الشغل خفيف

-أشارت ب يدها ب حزم: يلا يا طارق

-إمتعضت ملامحه ثم غمغم ب حنق: بكرهك لما بتتحولي لسعاد هانم
الأسيوطي...

وفجأة تعلقت ب عنقه تُقبل وجنته ثم وضعت يدها ب مرفقه ليبتسم ب دفء
على زوجته..ف هو لم يكن يتوقع أن يشكر تلك الذلة التي حدثت معها مُنذ

زمن لتجعله زوجته..والإستقرار الذي يشعر به معها..مال إليها يُقبل جانب
عينها ثم توجهها إلى طاولة الطعام

لم ينكر الرائحة الشهية التي تسللت إلى أنفه ولكن "المظاهر خداعة"..ف
الرائحة الشهية لا تدل على لذة الطعام..جلس وهو يتأمل الأصناف البسيطة
بإبتسامة أكثر دفئًا وعدوية..ف هي تجتهد من أجله..من أجله هو فقط

تلى الشهاداتين ثم بدأ في تذوق الطعام تحت نظراتها المتلهفة..لم يكن يتوقع
أن يتحسن مستوى طعامها إلى تلك الدرجة فهو "مقبول" عكس ما سبق..ف
السابق كان "كارثي" بكل ما تعنيه الكلمة من معنى..إرتسمت إبتسامة صادقة
على شفثيه وهو يقول

-في تطور كبير ما شاء الله..الأكل حلو يا دودو..تسلم إيدك

-شهقت ب عدم تصديق: بتتكلم جد؟..يعني طلع حلو

-أوماً ب رأسه وقال: لو هطلعيه حلو كدا كل مرة..هروح الشركة تقيل..يلا
إفطري...

إرتسمت إبتسامة مُشرقة على وجهها وهي تستمع إلى حديثه وكأنه أكثر
الحديث غزلاً قد تسمعه..ولكن ذلك الموضوع الذي شَغَلَ عقلها ليلاً وحتى
الصباح وهي تعد الطعام..ف ظهر هذا التفكير جلياً على وجهها ولمحه طارق
على الفور ليسألها ب إهتمام وهو يرتشف من كأس عصيره الطازج

-بتفكري ف إيه يا هايدي!

-رمقته ب توتر قائلة: لا أبداً

-أمسك يدها وقال ب نبرته الدافئة: قولي ومتخافيش يا هايدي..قولي يا
حبيبي...

إبتسامته الدافئة وإمساكه ليدها..نبرته التي يخصصها بها عندما يُلاحظ توترها
أو خوفها..وللحق لم يخذلها مرة..ف مهما بلغ غضبه منها لا يثور أو يصبه
عليها..إبتلعت ريقها ب توتر ثم قالت ب تلعثم

-ك..كنت..ي..آآ..أوووف...

زفرت وهي تفشل في ملمة كلمتين تُخبره بها رغبته..لكنه لا يزال يُحافظ على
إبتسامته وإمساكه ليدها وكأنهما إثبات على تمسكه بها وبُرهان على عدم
تخليه عنها..لتأخذ نفسًا عميق ثم قالت

-عاوزة أتبنى طفل...

ساد صمت مُهيب بينهما..لا هو ترك يدها ولا أزال إبتسامته..ولا هي تركت
عيناه التي شعرت ب جمودها لثوان ثم عادت لطبيعتها..إنتظرت
ثورته..إنتظرت غضبه..صُراخه..إنتظرت وإنتظرت وإنتظرت ولكن صمت..كل

ما قابلها هو صمت..بعدها تفاجأت وهو ينهض وتلك الإبتسامة الدافئة والتي

أضحت بغيضة حاليًا يُقبل جبينها ثم قال

-أنا رايح الشُّغل يا حبيبتى عشان إتأخرت...

ولم يُهملها وقت للرد..ف رحل وتركها ونظرته المصدومة تتحول إلى أخرى مُتألمة

وهي تراه يبتعد عنها دون أن يُحادثها ب الأمر أو يُعطيها أهمية وكأنها هواء ولم

تتحدث..لو يعلم رغبتها القوية في إمتلاك حق الأمومة التي حُرمت منها دون

إرادةً منها..وكان الله يُعاقبها على ما إقترفته قبلاً..تنهدت وهي تُخفض رأسها ف

تسابقت العبرات ب الهطول على يديها التي تفرکہا ب قسوة وألم نابع من أمومة

لن تشعر بها أبدًا وخاصةً أن طارق يفرض أن يكون لهما طفل لن تكون هي

والدته

نهض عن الفراش..نهض عنها بعدما أضحت جثة هامدة..روحها لم تُغادر جسدها ولكن ما غادرها أسوء..بل ما إنتزعه منها أسوء..ف أضحت خاوية روحها هامدة راكدة..عينها مُتسعان تُحدقان ب سقف الغُرفة ب عدم تصديق..لم تُصدق أن يأخذ منها ما حافظت عليه طوال تلك الفترة الماضية..لمحات مما حدث في الساعات الماضية مرت عليها

"صفعها لتسقط أرضاً..ثم أمسك خُصلاتها يرفع رأسها ب قسوة ألمتها ليتشدد بعدها ب فحيح أسرى الرُعب ب داخلها

-جهاد لما بتعجبه حاجة مبيسهاش..جهاد بياخذ من غير أما يدي...

جذبها لتنهض صارخة..ليرميها على الفراش..إرتعدت وصرخت وقد تيقنت ما سيحدث..ستهلك بين يده لا محالة..حاولت النهوض ولكنه رمى ب ثقل جسده عليها مانعاً إياها من الحراك..ظلت تتلوى أسفله ولكنه كبّلها جيداً..وعلى وجهه إبتسامة مُرعبة وعيناه السوداوين تُظلم أكثر ف تسحب روحها ب قوة

صفعة ف أخرى وأخرى حتى بدأت تترنج..ف إستغل فترة اللاوعي التي إستمرت دقيقة كانت كفيلة ب أن يُقيد إحدى يديها لتعود وتتلوى ف يعود ويصفعها..يُغادرها وعمها دقائق تمكن هو منها..قيد ساقها ويديها ب الفراش وانتظرها تستيقظ ب عينان تستبيحان جسدها ب تقزز يثير الغثيان

وإستفاقت..لتراه ينزع قميصه ليظهر صدره القوي ، الصلب الملى ب جروح ليست مُنفرة ولكنها تشي ب تعرض له من قسوة ولكنها لا توازي قسوة عيناه وتلذذه القذر ب جسدها الذي يلتوى وصراخها المتوسل

-أبوس إيدك بلاش..بلاش وإرحمني

-إلتوى فمه ب شبه إبتسامة هادراً: الرحمة دي صفة مش موجودة ف قاموسي

-حركت رأسها ب عنف وصرحت ب رجاء: طب بلاش الرحمة..سبني أبوس إيدك

وأنا هكون خدامة تحت رجلك...

نزع عنه حزام بنطاله ثم جلس على الفراش بجانبيها ف صرخت ب قهر
 وجسدها لا يزال يتلوى مُحاولاً الفكاك..وضع يده على معدتها والأخرى تُزيح
 خُصلاتها لتمتعض ملامحها ب تقزز ثم همس وهو يبتسم ب لُطف

-بس أنا مش عاوزك خدامة..أنا عاوزك ليا

-صرخت ب إهتياج: وأنا مش عاوزاك..أنا بكرهك حرااااام

-حرك جبهته على صدغها وهمس: مش مهم عاوزاني ولا لأ..المهم إني
 عاوزك..وطالما أنا عاوزك يبقى ملكيش حق الاعتراض...

صرخت صرخة كانت مصيرها جوفه وهو يُمزق ثوبها ويستبيح جسدها..يُردد
 ب أذنها عن جمالها وأنها سرقت عقله وأعجبته..وحينها أعلنها أنها عاهرتة
 الخاصة"

كانت أنفاسها البطيئة هي الدليل الوحيد على أنها لا تزال على قيد الحياة.. لا تبكي ولا تصرخ.. جثة هادمة فقدت الحياة ولكنها لم تفقد روحها الخاوية.. بل هي وعاء فارغ.. جسد أنتهك و روح تمزقت

إرتدى بنطاله دون أن ينظر إليها بل إتجه إلى مقعد وثير يجاوره قنينة النبيذ يسكب ويرتشفه وهو يُحدق بها.. لم يشعر ب أي ندم بل سيُكرر ذلك التواصل الذي أوصله لذورة نشوته

لم تكن الأولى ب الطبع ولكنها ستكون الأولى ب ترسيخها داخله وستكون الأخيرة.. ستكون له وحده.. أنثى بل شبه أنثى ما بقى منها بعد إنتهاكه لها.. ولكنه لا يعده إنتهاك بل تواصل وحق.. وهي له حتى وإن أخذها ب التعدي الجسدي.. ولكنه وشمها به.. أصبحت دُميته لا أكثر

إذًا لما الإحساس بـ النقص..ألم تُحقق ما أردته مُنذ أن خطت ساقها هذا المكان..يعلم ويتيقن أنها لم تسمح لرجل أي كان بـ لمسها..وهذا جعله أكثر نشوة وسعادة أنه سيكون أول من يستحق جسدها

وضع يده على جبينه وعيناه لا تحيد عنها..رُبما تلك البراءة القاتلة التي لم تفقدها حتى الآن هي ما تُورقه!..لا يُريدها بـ تلك الدرجة من البراءة..بل يُريدها جامحة قوية وليست هشة..يُريدها أن تُريده أن تُخبره أنه رُجلها الوحيد

قذف الكأس بـ عنف ليسقط مُتمشماً..ثم توجه إليها..لا تزال على شاكلتها لم تتحرك ولا تبكي فقط تحولت إلى صخرٍ وأنفاس ثقيلة تخرج وتدخل..جلس بجوارها ليدثرها جيداً هامساً وهو يُداعب خُصلاتها

-أخيراً بقيتي ملكي..متفهميش غلط دا مش حُب..دا حُب إمتلاك..شئ جديد حبيت أمتلكه وخلص...

نظر إلى عينيها الجاحظتين دون أي يرف جفنيها..ليتهدد ب ثقل وهو يضع رأسه على صدرها يستمع إلى دقاتها البطيئة ثم أردف ولا تزال يدها تُداعب خُصلاتها

-الموضوع وما فيه..إن دا شُغلي دا جزء مني...

نهض ثم نظر إلى عينيها وقال وكأنها تستمع إليه ب إهتمام

-أقولك على سر!..الواحد كان لازم يقتل الإنسانية أو أي مشاعر ممكن تحركه غير الشهوة...

دفن وجهه ب عنقها ويده تلتف حول خصرها ثم أكمل

-متأخديش اللي حصل ب شكل شخصي..المفروض تُشكريني..أيوة أشكريني..هنا الغلطة مش ب جون لأ الغلطة ب قطع رقبة..وأنا هنا دوري أدربك وأعلمك تبعدي عن الغلطة دي...

شدد يده على خصرها وإرتفع به جسده على الفراش ثم أكمل ويده بدأت
تتحرك من خُصلاتها إلى وجنتها ثم شفتيها وتوقف هناك

-بكرة تعرفني إني عندي حق..بكرة هتتأقلمي..به وعدك إن مفيش حد هيلمسك
غيري..أنا مقدرش أمنعك من الشغل عشان زي ما قولتك الغلطة به قطع
رقبة..بس هوصيكي متخليش حد يلمسك وأنا هكون فـ ضهرك وهخليكي ليا
لوحدي...

كل ما دار به عقلها تلك اللحظة أنه مريض..مُختل عقلياً..لم يكن به الإنسان
الطبيعي..خرجت منها أول صرخة مذبوحة مُنذ ساعات وهي تستشعر يده
بدأت تُزيح الغطاء مرةً أُخرى كأنه لم يكتفي به ذبحها مرة بل يبدو أنها لُعبة
وقد أعجبته

إنتهت من سرد ما قصته والدتها عليه ليبقى رائف جامدًا لا يظهر على وجهه
 أي تعابير سوى الألم والغضب..ولكن تظل جامدة..لم تكن تعلم أن وجهه
 يستطيع جمع كل تلك المشاعر جُملةً واحدة..لم تنتظر رده بل وضعت وجهها
 ب عنقه وأكملت ب غصة مُسننة تؤلمه وتؤلها

-مكنتش متوقعة إننا بقينا ف غابة كدا..إنعدم الضمير والإنسانية والأهم
 الدين وبقت الشهوات والشيطان يسوقنا..نقتل ونبرر القتل وننتهك ونبرر
 الإنتهاك..بقينا ف غابة ومش عارفين أنهي قانون اللي حاكمنا..قانون الغاب ولا
 القانون المدني!...

إستشعرت تصلب عضلاته لتضمه إليها وهي تستشعر ألمه..يُخبرها ب صمت
 أنه لم ينسَ ما فعله بها لتُكمل

-أنا إخترتك أمانى يا رائف بعد كل اللي حصل..وشفت نفسي ف البنات دي
 وجايز العصابة دي رجعت تشتغل تاني أو يمكن أصلًا مبطلتش..ولما ماما

طلبت مني المساعدة منك..كنت عارفة ومتأكدة إنك مش هتخذلني..لأنك
أكيد شوفتها أنا...

إبتعدت عن عنقه لتحاوط وجهه بين يديها ثم قالت ب حنو تتجاهل نظرة
العتاب التي إرتسمت ب عيناه

-عشان خاطري يا رائف..أنا مش عارفة البنات دي بيجرالها إيه أو هي فين
دلوقتي!..بس هي على الأقل لازم ترجع لأمها

-إبتلع غصته وقال: عاوزاني أرجع للطريق دا تاني؟؟...

شهقت ب فزع وقد تأكد حدسها..مهما الطريق الذي سيسلكه لن يؤدي سوى
العودة إلى هوة الماضي وحلة..ضمت رأسه إلى صدرها وهمست ب أنين

-لا يا رائف..أوعي ترجعله..أنت تقدر ترجع البنات من غير أمل تنغمس ف
الوحل دا

-صدر عنه ضحكة مُتهكمة ثم أردف: تفتكري يا زهرة!..أنا تعبت عما رجعت
وإتزنت..لو إدخلت يستحيل أطلع من غير أما أتوسخ

-نهرته ب حدة: رائف أنا رسخت فيك حاجات كافية تخلي ضميرك يوجعك لما
تغلط...

قَبَّلت أعلى رأسه ثم همست وهي تُداعب خُصلاته

-على فكرة..أنت ممكن تكلم معارفك ف الداخلية يساعدوك ومن غير أما
تطلع ف الصورة كمان..عشان خاطري يا رائف..أنا حاسة إن نجاة البنت دي
متعلق ف رقبتك...

شدد رائف من يده حول خصرها وكأنه طفل صغير يستغيث ب والدته..هو
لم ولن ينسى ما حدث..لن يتخطى الماضي ف هو لم يتصالح مع نفسه بعد
وإن كان يتسول حمها حتى بعدما وجده لما لا يزال يشعر أنه شريد!..عيناه لم
تُبصر الحقيقة كما تُبصرها زهرته..مُصالحة النفس هي الخطوة الأولى

للمُضيّ قدماً..لكي يشعر ب الحُرّية..لكي يستطيع التنفس وتمزيق صفحة
سوداء حتى وإن كانت ناصعة البياض

رفع رأسه يُقبل ترقوتها ثم همس وهو يرسم شبه إبتسامة على وجهه

-طلبات الست زهرة أوامر..هعمل كل اللي أقدر عليه وأكثر

-إبتسمت ب حنو وقالت: متخافش يا حبيبي..أنا جنبك وف ضهرك..هتلاقيني

بسندك عشان متعفش...

حدق ب عمق بُنيها الساحرة ب مُحيط زرقاوتيه..ليجذبها من عُقنها يُقبل

صدغها هامساً ب نبرة خافتة

-مش عارف عملت إيه ف دنيتي عشان ربنا يكافئني بيك..أنتِ مأوى لأي شريد

يا زهرة بستاني

-لمعت عيناها وهي تتساءل: بُستانك!!

-أوماً ب تأكيد قائلاً ب قوة: أيوة بستان مفهوش غير زهرة واحدة وبُرعم بيكبر
معانا غيث..وأنا الشوك اللي هيحميك...

إبتسمت ب عدوبة وإقتربت منه تُقبل طرف أنفه ثم قالت ب نبرة دافئة
-عارفة اللي بطلبه منك كثير....

-قاطعها هامساً: هششششش..مفيش حاجة كتيرة عليك..كل اللي بعمله
وهعمله ميغيش جنب اللي بتعمله معايا حاجة
-همست: بحبك

-لهمس هو ب المُقابل: وأنا كمان بحبك يا زهرتي...

ثم ضمها إليه ب قوة إلى ضلوعه يخشى عليها وعلى نفسه من القادم..يخشى
أي ذلة قد تودي بها و به إلى هوة سحيقة لن يخرجها منها إلا ب شق
الأنفس..ذلك الخوف الذي تملكه لم يكن خوفاً من تلك الذلة ولكن الماضي
يُطارده عاد يُطارده ولكن دون سُعاد الأسيوطي

جلست بجواره ب السيارة تُتابع الطريق ب حماس وكأنها تراه لأول مرة بل حقًا هي تراه لأول مرة..تقدم بسيط لاحظته أمس عقب زيارة رائف لها..ف بعدما رحل تساءلت نهلة عن إحتمالية عودة توأمها مرةً أخرى..حينها أجابها ب لهفة حتى وإن كانت كاذبة

-هيجي يا حبيبتى هيجي..أصلًا هو رجع عشانك...

وكانت لأول مرة تبتم ب وجه أبيها..سعادته لا يستطيع وصفها وكأن ب موت جدتها بدأت جميع الحواجز ب السقوط..قد يكون أنانيًا تفكيره ولكن إبنته فلذة كبده تتحسن إذًا لا بأس ب بعض الأنانية

وصباح اليوم أخبرته عن رغبتها ب القدوم معه إلى العمل عندما حدثها والدها أن توأمها طبيب ك والده والآن هي تتحرى شوقًا أن تتعرف على كل ما يخص رائف وهو لن يبخل عنها..عودة ولده بدأت ب المساعدة على شفاء الجروح

وصلت السيارة إلى المشفى الخاص بهم ليهبطا من السيارة..لتسير بجواره وهي تتطلع لكل ما حولها بـ إنهار..ف بدأ مُحي بـ السرد عليها كافة التفاصيل والشرح المبسط لكل جزء بـ المشفى

وقفت نهلة أمام أبيها وهتفت بـ إستفسار

-طالما رائف دكتور ليه مش بيشتغل هنا!

-أجابها مُحي بـ إبتسامة: عشان لسه ملقاش نفسه..لما يلاقها هيحي هنا

-رفعت منكبها وقالت: خلاص أنا هستناه...

إبتسم مُحي بـ حنو ثم توجه إلى مكتبه لتقول نهلة بـ خجل

-بابا!!!...

تجمد مُحي مكانه وهو يستمع إلى لفظ "بابا" من شفيتها لأول مرة..طرب قلبه

وخر ليستشعر مذاق تلك الكلمة من فاهها..إلتفت إليها وعيناه تلمعان لمعة

مُشرقة وبها بهجة غيرُ طبيعية ليقول بـ صوتٍ أجش

-عيون بابا و روحه من جوه

-حممت ب خجل ثم قالت ب تلعثم دون النظر إليه: عاوزة أروح قسم

الأطفال..محتاجة أشوفهم

-سألها ب لهفة: تحبي أجي معاكِ!..أنا مش عاوز أسيبك لوحدك!

-أسرعت ب النفي قائلة: لالا..أنا حابة بس أكون لوحدى معاهم..ينفع؟

-طبعا ينفع..هبعثلك مُمرضة توديكِ...

أومات ب إمتنان..ف إنتظرت ثوان قبل أن تأتي إحدى الممرضات لتأخذها إلى

قسم الأطفال..ذلك الجناح الكبير وأكثر جُزء بهجة جعل عيناها تتوسعان ب

إنهار طفولي..ب الرغم أنهم مرضى ولكن ما يُقدمه والدها من أجل الأطفال

جعلها تبتسم ب سعادة وكأنه ما فعل ذلك إلا لها

إصطحبتها الممرضة إلى غرفة الألعاب..حيث يجتمع بها الأطفال لترفيهه عن أنفسهم قليلاً..كانت مُجهزة ب أحدث الألعاب والكثير من البهجة والألوان المُشرقة

جذبت عيناها طفلة ذات سنة أو أكثر على الأقل تجلس بها إحدى الممرضات وتُلاعبها..توجهت إليها بلا تفكير وجلست أمامها..قربت يدها من كف الصغيرة لتتلقف الأخيرة إصبعها ف صاحت ب حماس..ضحكت الممرضة وقالت

-دي ملك..بنت جراح شغال هنا

-تساءلت نهلة وهي تُداعب الصغيرة: وليه مش بيسيها ف البيت مع مامتها!

-مامتها إتوفت بقالها سنة..وهو اللي بيهتم بيها...

أومأت نهلة ب تفهم..لتقول ب تردد

-هو أنا ممكن أقعد جنبك وألعب معاها!!...

تعجبت الممرضة من تلك الشابة التي تبدو ك طفلة لم تتجاوز الخامسة من

عُمرها ولكنها إبتسمت ب إشراف ثم هتفت وهي تمد يدها ب الصغيرة

-طبعًا..بس خليكِ جنبي عشان باباها ميتخانقش معايا

-جلست ب حماس وأخذت الطفلة ثم أردفت: طبعًا..عمومًا أنت بنت الدكتور

مُحي..يعني مش تخافي مني...

أومأت الممرضة ولكنها ظلت تُراقبها..الصغيرة تضحك وتُقهقه ب سعادة غيرُ

عادية والشابة يكاد حماسها وسعادتها تقتلها

وفي تلك الأثناء..كان أحمد قد أنهى عمله وإتجه لكي يأخذ صغيرته ولكن ما

أن أبصر ذلك المشهد حتى تجمد ب مكانه

ف نهلة تفتش الأرض وبجوارها ملك..يلونان ويرسمان..بل نهلة ترسم والصغيرة

تُمسك القلم الصغير وتخط ب عشوائية ف تشوه ما تقوم به الأولى

ولكن تلك السعادة البادية على وجهها والضحكات التي لم يراها مُنذ زمنٍ ولى
ها هي تعود مع طفلته والأدهى أن الصغيرة تفرح وتضحك..تلك الضحكات
الطفولية التي تجعل خفقاته تزداد لم تظهر سوى مع نهلة..الضحية التي كان
هو ضحيتها

لم يشعر ب شفتيه وهي تبتسم وخفقة تهرب من قلبه.. وإحساس غريب
يتملكه وقرار يمر ب ذهنه ب خُبث يتحداه الظهور

الفصل السابع

ولكل مُستقبل سوءة ماضٍ يُخفيها حاضر مجهول

خرجت من المرحاض وهي تُجفف خُصلاتها لتجده قد إرتدى ثيابه وعلى وشك

الخروج..قذف المنشفة على الفراش وإتجهت إليه تسأله

-رايح فين يار رائف!!...

وضع الساعة حول معصمه ثم إستدار إليها مُجيبًا إياها

-رايح أشوف ممكن أقدر أعمل إيه للبنت اللي حكيتلي عنها

-بالسرعة دي!!

-أوما ب رأسه وقال: وأسرع من كدا كمان..لو طلع عندك حق ورجعت التجارة

ب البنات دي تاني..يبقى لازم أتحرك بسرعة..الموضوع خطير...

شحب وجهها ب التدرج لتتقدم منه تحتضن خصره قائلة ب نبرة شبه

مُتشرجة

-لو الموضوع فيه أذى ليك..بلاش يا رائف..أنا أما صدقت رجعتلي
-داعب خُصلاتها المُبتلة وقال: هَشَشش يا زهرة..متخافيش عليّ جوزك سبع...
دفتت وجهها ب صدره تُحرك رأسها نافية..لا تدري على ماذا تنفي..ألذهابه إن
كان به ضرر!!..أو أنه ليس منيع ضد الخطر! وأنه سيطوله لا محالة
شدد على عناقها هو الآخر ليُقبل رأسها ب حنو..ويده تتحرم على طول ظهرها
ثم قال ب هدوء ظاهري
-حبيبتي..مينفعش ترمي الطوبة ف المياة من غير أما تحركها..وأنت رميتي طوبة
وأنا لازم أتحرك..مينفعش أهرب...
أبعد رأسها عن صدره المُبتل ب فعل خُصلاتها..ثم حاوط وجهها ب يده هامسًا
ب نبرته العميقة

-أنا لما بدأت الموضوع دا من سنتين كان لازم أنبهه وأقفله..مش بس أعلقه
وأسيبه ف إيد حكومة يومها ب سنة..وربنا كان له حكمة ف رجوعي
لهنا..وهو.أنهي الموضوع دا

-همست ب نبرة خفيضة: بس أنا خايفة

-قَبَل جبينها وهمس: وأنا أكثر منك...

نظرت إليه وقد تشوشت رؤيتها ب فعل العبرات ليُزيلها ب إبهاميه ثم أكمل

-بس مش خوف علي..خوف إني أخسر نفسي ف أخسرك

-إتسعت عيناها وهي تُردد ب تلعثم: أنت تُقصد إيه!!

-إبتسم إبتسامة لم تصل إلى عينيه وقال: مقصدش يا حبيبتي..مش عاوزك

تخافي...

وهبط يُقبل ثغرها الكرزى ب رقة ثم أخرى على وجنتها وتركها واقفة ب

مُنتصف الغُرفة تضع يدها على قلبها ولسان حالها يُردد أن يحفظه الله

لم تعي نظراته التي تلتهمها هي وصغيرته المندمجة وب شدة..وضحكاتهما البريئة
 تملأ وجهها ف تُطرب قلبه وتُبهجه..ظلت عيناه مُركزة عليها حتى رفعت فجأة
 نهلة عينها لتصطدم ب خاصته التي لم ترتبك بل أكملت تحديقها و ب قوة
 حتى إرتجفت نهلة وقررت النهوض وترك الفتاة للممرضة وإستأذنت الرحيل
 وصلت إلى باب الغُرفة لتجد أحمد قد حال بينها وبين الخروج..إرتبكت
 وشحب وجهها ف أشفق عليها ليقول ب إبتسامة هادئة رزينة
 -إزيك دلوقتي يا نهلة!!...-

إيماءة بسيطة تدل على أنها ب خير وكادت أن تتحرك ولكنه سد عليها الطريق
 وأكمل حديثه

-فعلاً فيه تحسن..أول مرة من وقت أما إشتغلت هنا أشوفك...-

لم ترد عليه أيضاً..وبقت تنظر إليه ب شحوب..لفتت أنظاره يدها المضمومة
 على هيئة قبضة تعصرها حتى لا تفقد قوتها ب أي لحظة..تنهد وقال ب هدوء

-ممکن أتکلم معاك!!

-نظرت إليه مصعوقة وغمغمت: مش بتكلم مع رجالة

-مال ب رأسه إلى الجانب وقال: بس أنا أحمد يا نهلة

-هدرت ب عنف خفيف: ولو..بعد إذنك...

كادت أن تتحرك خطوة ولكنه قال فجأة

-ملك بنتي..أنت كنت بتلعي مع ملك بنتي

-إتسعت عينيها وهمست ب عدم تصديق: البنوتة الجميلة دي بنتك!..بنت

سوزي مش كدا؟!...

غامت عيناه ب حزن وأوما ب خفوت لتعقد حاجبها ثم تساءلت وهي تعود إلى

الخلف خطوتين

-أوما هي فين!

-عض على شفتيه قبل أن يقول ب نبرة حزينة: توفت من سنة...

شهقت ب خفة وهي تنظر إليه ب عدم تصديق..ليضع يده خلف عنقه ثم

تشدق ب نبرة شبه متوسلة

-مممكن أتكلم معاك..أنا بجد محتاج للكلام أوي مع حد

-تنفست بسرعة وقالت: وليه أنا؟!!

-حرك كتفيه وقال: وليه مش أنت..ف فترة كنت أكثر واحدة فهماني

-هدرت ب قسوة: والفترة دي إنتهت..حتى أنت..إنتهيت...

أخذ نفساً عميق ثم أردف دون أن يفقد هدوءه

-وعشان كدا محتاج أتكلم معاك أنت بالذات...

لاحظ إمارات الخوف على وجهها ليقول ب سرعة

-هنتكلم ف الكافيتريا تحت..يعني مكان مفتوح

-همهمت بـ إعتراض: مش دي الفكرة

-أكمل بـ تفهم: فاهم المُشكل يا نهلة..وصدقيني أنا نسيت كل اللي حصل

زمان..ومحتاج صديقة أتكلم معاها

-تمسكت بـ آخر خيطٍ لها: بابا هيقلق لو مش لاقاني

-خمس دقائق..ومش هاأخرك عن كدا...

لم تجد مفر من الموافقة..لتومئ بـ رأسها..أشار لها بـ أن تتقدمه لتفعل ذلك

بـ تردد ولكنه تفهم خوفها وترددها..فتاه لم تكن سوى ضحية لإمرأة

مريضة..والأدهى أنها حفيدتها وتوأم صديقه..تلك الفتاة تعرضت إلى الإعتداء

الجسدي وذاقت ألوان من العذاب وهي منبوذة لا أحد يعلم من هي أو أين

هي

وصلا إلى مقهى المشفى لتجلس نهلة أولاً ثم تبعها أحمد الذي سألها

-تحبي تشريني إيه!

-ردت ب تلقائية: قهوة

-إبتسم وقال: مضبوطة على ما أفكر...

أومأت ب تردد ليذهب ويُحضر قهوتها وكأس عصير من البُرتقال له..لتقول

نهلة على عجالة

-عاوزني ف إيه!

-تلاعب ب هاتفه وقال: عاوز أتكلم ف حاجات كتير..أهمها موت سوزي

-غمغمت ب حزن: البقاء لله...

أوماً ب رأسه لينظر إلى عينيها الزرقاوين..كانتا زائغتين ب طريقة أثارت شففته

عليها..تلك الفتاة ولمدة سنتين لأول مرة ترى العالم الخارجي مرةً أُخرى وتعود

لتعاملها مع البشر..ويشاء القدر أن يكون أحمد وإبنته أول من تعاملت معهم

مُذ أن خرجت إلى العالم

تمهد أحمد ثم قال و هو يُضم يديه على الطاولة

-موت سوزي هزني أوي..يمكن مكنش حُب عميق اللي هو يسيب أثر مهم..بس عشرتنا والتفاهم اللي بينا..رغبتنا إحنا الإثنين إننا نبي حياة جديدة ونضيفه خلتي أتعلق بيها..خصوصًا إنها إحتوتني وإتحملتني كثير...

صمت قليلاً ثم تلاعب ب إصبعه ب الكأس وأكمل

-موتها كان صدمة..هي كانت بتتمنى تكون أم..ولما عرفت إنها حامل ف ملك مكنتش الدنيا سباعها..مع إني خوفت عشان كان سنها كبير شوية على الحمل

-إبتعلت غصّة ب حلقها وقالت ب خفوت: ماتت وهي بتولدها!!

-حرك رأسها ب نفي وقال: لأ..ماتت بعدها ب ساعة وهي ف العمليات..الدكاترة قالوا لي إن حصلها نزيف مقدروش يوقفوه ف ماتت...

نظر إلى عينيها اللتين غيمهما الحُزن ثم أكمل

-أنا مش مصدق إنها ماتت ب السبب النزيف

-عقدت نهلة حاجبها وتساءلت: قصدك إيه؟

-هتف دون مُواربة: إتقتلت...

توقف رائف ب سيارته أمام مدخل الحارة الشعبية التي يسكن بها والدي

زوجته ثم إتجه بعدها إلى منزلهم

طرق الباب لتأتيه صفاء والتي تعجبت ب شدة وهي تجد رائف أمامها..لتهتف ب

توجس

-خير يا رائف بيه!

-خير..بس أنا عاوز أكلم الأستاذ عبدالله

-همست صفاء: إسراء حكته!!

-أوماً ب خفة وقال: أيوة..ولو اللي بتفكروا فيه صح..يبقى مينفعش

نتأخر..عشان كدا كلميلي والدة البنت دي تيجي معايا القسم

-طب إتفضل...

أوماً رائف ودلف لتذهب صفاء و توقظ زوجها تُخبره أن زوج إبتها ب

الخارج..أما هي هاتفت والدة نجلاء كي تأتي ف قد أتى الفرج

نهض رائف ما أن خرج عبدالله الذي هتف ب جدية

-تحت أمرك يا رائف بيه

-جلس رائف وقال: أنت شاكك زي بالظبط!!!...

لم يكن سؤالاً بل تقرير ليومئ ب موافقة قائلاً

-أنا مُتأكد يا رائف بيه..واحد من إياهم جه هنا وكان بيكلمني أرجع أشتغل

معاهم

-إتشعلت عينا رائف وهو يسأله ب إتهام: و وافقت!

-رفع عبدالله كفيه وقال: حد الله بيني وبين السكة دي تاني..أنا رفضت و

رفضت ب قوة كمان..بس هما مش هيسيونا ف حالنا..وكان بدايتهم أحمد بيه

صاحب حضرتك

-إرتد ب ظهره إلى الخلف وهمس ب تردد: أحمد!!...

نظر عبدالله إلى رائف الذي ذهل تمامًا مما قال ف أكمل حديثه

-أيوة..يوم موت مراته جالي هنا وقعد يهددني وقالي "أنت عارف مين اللي

قتلها"

-هدر رائف ب إستنكار: قتلها!!!

-عاد يومئ ب قوة وقال: أيوة يا باشا..حكالي إنها ماتت بعد أما ولدت

بنته..بيقول على ما أذكر يعني إنه نزيف..بس هو مش مُقتنع لأن الدكتورة

كانت بتقول إن الحمل كويس وإحتمال تعرضها لأي حاجة لا سمح الله
صفر...

إنقبضت معالم وجهه ب قسوة وخوف إلا أنه حافظ على هدوء نبرته وهو
يهتف

-أنا أول مرة أسمع الكلام دا..عمومًا إحنا هنروح القسم لحد أعرفه هناك
يقدر يساعدنا..وأنت هتيجي عشان تقول اللي سمعته منك دلوقتي
-حاضر...

إنتظرا قليلاً قبل أن تأتي والدة نجلاء التي ما أن رأته رائف كادت أن تُقبل
يده قائلة بلهفة أمومية صادقة

-إيدك أبوسها يا بيه..ربنا يكثر من أمثالك

-أبعد رائف يده وقال ب هدوء: إحنا هنروح القسم دلوقتي زي ما قولت لـ
أستاذ عبدالله..وهتحي كل حاجة تعرفها

-حاضر..حاضر..أي حاجة بس بنتي ترجعلي...

أوما ب رأسه ثم إتجه إلى الخارج وتبعه الباقيين حتى وصلوا إلى سيارته ف

صعد وهم كذلك ثم إنطلق بها

وعلى الجانب الآخر من الطريق..أمسك شابًا ما هاتفه وهاتف أحدهم وهو

جالس ب سيارته

-أيوة يا جهاد باشا..لسه طالعين دلوقتي

-أتاه صوت جهاد من الطرف الآخر: كُنت عارف إن الكلب دا هيعملها...

صمت جهاد وبدا وكأنه يُفكر ثم قال ب نبرة جامدة

-أنت عارف هما هيرحوا فين..لما يطلعوا خلص زي ما قولتلك ب الضبط..مش

عاوز غلطة..يلا إقفل و وصلي الأخبار

-حاضر يا باشا...

أغلق هاتفه ثم إنطلق ب سيارته خلف سيارة رائف

ما أن أغلق هاتفه حتى قذفه ب الحائط مُمزجراً ب غضب.. ليتجه إلى نجلاء
التي إنكمشت على نفسها ب خوف.. ليضع يده على وجهه ثم إتجه إليها راسماً
إبتسامة مقبلة على وجهه

-متخافيش يا نوجة.. شوية سوء تفاهم...

إبتعدت نجلاء عنه ب نفور ولكنه لم يهتم.. بل جلس على طرف الفراش وملس
على وجنتها هامساً

-تعرفي إني بهدا لما بشوفك!.. أه والله

-همست ب تحشج: أنت عاوز مني إيه؟!...

إتسعت إبتسامته المقبلة مما جعل الرعب ينتشر ب جسدها ثم همس ب

فحيح أفعى

-كل دا ولسه مفهمتيش!..أنا عاوزك يا نوجة..عاوزك ليا لوحدني...

ضغطت على شفاها السفلى تكبح رغبتها الملحة عليها ب التقويؤ..ويدها تحكم

الغطاء حول جسدها حتى لا يُدنسه أكثر ب يده..ثم عادت تهمس ب صوتها

المبحوح

-أنا عاوزة أمشي من هنا

-قهقه ب خفة وقال: ياريت كان ينفع..بس أنتِ ضيفة عندي هنا...

عض شفاها السفلى وهو يتفحص جسدها المُدنس به ثم أكمل ب خُبث

-وبعدين مش عاجبك إقامتك هنا!..دا إحنا حتى بنسلي بعض...

سقطت عبرة وحيدة على وجنتها ليُزيحها هو ب إبهامه ثم أردف ب نبرة ممطوطة

-ليه بس البُكا!..ميهونش عليا دمعتك...

أبعدت يده عن وجهها ب نفور ثم إبتعدت أكثر حتى كادت أن تسقط ولكن
 يده التي جذبتها إليه حتى إلتصقت ب صدره أحالت دون ذلك..تلوت بين يديه
 هادرة ب نفور وتقزز

-إبعد إيدك النجسة دي عني

-قهقه ب قوة وهو يميل إليها: نجسة!!..دا أنا إيدي تتلف ف حرير وأنتِ
 شاهدة...

ثوان و دوى صوت صفعة مدوية هبطت على صدغه جعلت وجهه يلتف تارگًا
 جسدها لتنتفض بعيدًا عنه وعيناها تذرِف العبرات ك سيول..إحساسها ب
 النفور والتقزز من لمساته لجسدها لا يُقارن ب إحساس القهر والظلم اللذين
 تعرضت لهما

قهر من مُجتمع يُحمل أحد الطرفين الذنب كاملاً ولا يلتفت إلى التفاصيل..قهر لأنثى لا يحق لها العيش ب كرامة وسط غابة مليئة ب الذئاب الجائعة

الظلم من قانون لا يردع ولا يحد..بل يُشجع يُكافئ الجاني والمذنب و يُحرضهم على فعل المزيد..ظلم لأنثى ضعيفة إما أن تتزوج وتخدم رجل لا يُريدها سوى خادمة وعبدة فراشه..أو تُصبح ضحية لذئاب ضارية تنتهك عرضها بلا شفقة أو رحمة..ويقف القانون يُصفق

وما بين القانون والدين..يقف الشاهد ب أحد الأركان يُتابع الحدث دون الجرأة على قول الحق تحت مُسمى "ملناش دعوة..خلينا ماشيين جنب الحيط"..الحائط الذي تشقق وبكى مما يُشاهده بشر ينصبون أنفسهم الحاكم وتتداول الأقاويل تنتشر مواقع التواصل ب "هاشتاج نجيب حقها" ولكن لا يجرؤ أحد على قول الحق..لكن لا يمنع ألسنتنا من التحليل و

التعاطف أما المساعدة على وضع حد!!..يقع هذا على عاتق القانون والذي
ينتظر أن ينتفض الشاهد حتى يردع

نظرت إلى عينيه التي تحولتا إلى براكين مُشتعلة ب غضب جعلها تصرخ ب
جزع..تنكمش على نفسها وجسدها حمايةً لها من بطشه

عينها المتوسعتان ب قوة جعلته يرى لمحة من ماضيه..بؤبؤي عينها جعلاه
يعيش تلك الذكرى السوداء مرةً أُخرى

طفل لا يكاد يبلغ العاشرة من عمره..يتعرض إلى العنف الجسدي..ضربًا
وإنهاكًا..لسنوات طويلة بقي يخضع هذا الطفل إلى ذلك العنف من زوج
والدها..ذلك الوحش الذي أطلق مارد شيطاني جعل حياته تسلك مسار آخر
غير ما أراد

"عودة إلى وقتٍ سابق"

يوم هادئ ك أيام حياته السابقة..ولكن مساءه لم يكن

كان يجلس الطفل يستذكر دروسه و زوج والدته خارج المنزل..رُبما يتعاطى المخدرات أو يرتكب الفواحش لا يعلم ولكنه إعتاد على تلك الأفعال المشينة..حتى إنتفض على صوت صرخات والدته التي تستغيث ب جيرانها ولكن من سيغيثها من بين برائن ذلك الذئب المتجبر

ف خرج الطفل ليجده يضرب والدته حتى فقدت الوعي..هرع إليها ولكن يد السكير منعه وهو ينظر إليه ب شيطانية وب نبرة ثقيلة تشدق

-أخيرًا يا حلو فضيتك...

إتسعت عيني الطفل ب هلع وهو يرى نظرات زوج والدته المخيفة..ويده التي هبطت على وجنته..صرخ وبكى ولكن الآخر كان تحت تأثير المخدر ف بقي يضربه حتى تهالك الصبي

نزع عنه حزام بنطاله ومزق كنزته المنزلية ثم بدأ ب جلده حتى أفرغ طاقة غضبه ليتفرغ إلى طاقته الشهوانية

تعرض ذلك الطفل إلى أشع أنواع القسوة والذل..القهر النفسي والجسدي..كان ذلك اليوم الأسود هو بداية مُعاناة إستمريت وإستمريت ولم يقدر على شئ سوى الصمت وإشباع رغبات مريض لم يرحم سنوات عمره الصغيرة

"عودة إلى الوقت الحالي"

أغمض عيناه يُبعد الذكرى المشؤومة عن عقله..ف قبض يديه لكي يتحكم ب طاقة الغضب التي تُهدد ب الإنفجار..ثوان وهدأ ثم نظر إلى التي لا تزال تصرخ وقد أرتسمت على معالمها أقصى معاني الفزع

نهض وتقدم منها لتصرخ ب قوة أكبر ورجاء يخرج منها ب توسل

-أسفة والله أسفة..ياريت إيدي إتقطعت ولا ضربتك..بس أبوس إيدك

متقربش مني...

توقف على مسافة خطوتين منها لمدة دقيقة مرت عليها سنة.. قبل أن يتقدم
منها مرةً أخرى لتعود وتصرخ وتنكمش.. وضع يده على خُصلاتها ثم ربت عليها
وهو يُهمس ب جمود

-هششش.. خلاص مش هقرب منك...

ولكنها ظلت تصرخ وتبكي ليصرخ بها ب حدة جعلتها تنتفض ب جزع

-قولت بس.. وإلا وديني ما هسيبك...

وضعت يدها على فيها تمنع نفسها من الصراخ والبكاء ولكن ظلت عبراتها
تنسكب ب غزارة.. تنفس جهاد ب قوة وحدة.. أنفاسًا سريعة آلت صدره ولكنه
تحامل على نفسه.. يحملها بين يديه ف تلوت تضربه لكي يضربها ولكنه ضمها
إليه وهمس ب جفاء

-قولتلك مش هقربلك.. يبقى إهدي بدل أما أهديكي ب معرفتي...

سكنت خاضعة ذليلة لتجده يتجه بها إلى مرحاض عُرفته ثم وضعها بـ
الداخل وقبل أن يخرج هدر

-خديك شاور وهتلاقي هدوم عندك...

أشار إليها بـ سبابته بـ تحذير ثم أردف بـ صرامة

-متفكر يش تهربي ولا تقتلي نفسك..عشان ساعتها هلحقك وهعذبك بـ طريقة
تخليك تتمني الموت ومطوليهوش...

ثم صفق الباب بـ قوة..وإستند عليه يُحاول بـ قدر الإمكان محو تلك
الذكريات التي جاهد نفسه على نسيانها..ضرب على الحائط بـ قبضته بـ قوة
وصرخ بـ حدة

-مووت بقى..موووت بقى وإرحمني...

رافقه ذلك الضابط الشاب إلى باب مكتبه ثم أردف

-أنا همتم ب الموضوع دا عشان خاطر ك يا رائف باشا

-حرك رائف رأسه نافيًا: لأ مش عشان خاطري..دا الصبح..في حاجات قدرة ب

تحصل ف البلد ولازم يتقطع دابرها

-أوما الضابط ب تفهم: معاك حق..بس الموضوع دا مش سهل زي ما أنت

مُتخيل..حسب أما بتقول في ناس كُبار أوي متورطة ف الموضوع دا ومش سهل

نمسكهم..ف أكيد هحتاج حضرتك

-ربت رائف على منكبه وقال: وأنا ف الخدمة..يلا لازم أمشي أنا

-مع السلامة يا رائف باشا...

تحرك رائف إلى خارج المكتب ليجد والده نجلاء تجلس ب جانب عبدالله..ف

نهضت ما أن لاحظت خروجه تهتف ب لهفة وتوسل حار

-قولي يا بيه..هيجيبوا بنتي!!

-أجابها ب جدية: طبعًا..بس هما عاوزين شوية أدلة..واسم البنت اللي جابت

لبنتك الشغل مُجرد اسم حركي مش أكثر..ودا مش هيساعدنا أبدًا

-لطمت والدة نجلاء وجهها بحسرة وقالت: أعمل إيه دلوقتي ياربي؟!

-هدأها عبدالله قائلاً: وحدي الله يا ست أم نجلاء..إن شاء الله رائف بيه بعد

ربنا سُبْحانه وتعالى هيرجعك بنتك

-رفعت يديها إلى أعلى تهتف ب تضرع: يارب..لأجل حبيبك النبي رجعلي بنتي

سليمة يارب...

توجه الجميع إلى الخارج ومن بعدهم رائف..سقط من رائف هاتفه لنحني ب

جذعه ويلتقطه مما جعله يتأخر عن عبدالله الذي سار ب المقدمة ثم من

بعده والدة نجلاء

إنتفض رائف على صوت سيارة مُسرعة تعرف وجهتها جيداً ف نظر إليها ب

أعين مُتسعة قبل أن يصرخ وهو يركض ناحية الطريق

-عبدالله!!!....

ولكن قد سبق السيف العزل..لتصطدم به السيارة ثم ترحل مُسرعة..توقف

رائف مكانه مشدوهاً وأعين تُحدق بـ جثة عبدالله الساقطة أرضاً بـ فزع

تجمهر المارة ليهتف أحدهم وهو يضرب كف بـ آخر

-لا حول ولا قوة إلا بالله

-ليقول آخر: تلاقية شاب طائش

-صرخت والدة نجلاء: إسعاف يا خلق هووه!!!....

تخاذلت أقدام رائف أن تتقدم من ذلك التجمهر..قُتل أمام أعينه وأما

القسم دون خجل أو خوف

هرولت إسراء بـ أقدام لا تحملها إلى داخل المشفى وهي تسقط ف تُعاونها

رحمة على النهوض..حتى وصلت إلى رائف الجالس على أحد مقاعد المشفى

الخاص بـ والده

وقفت أمامه دون أن تجرؤ على الحديث.. فإنتبه رائف إلى ذلك الظل الذي يقف أمامه ليرفع رأسه سريعاً وهو يجد زوجته تقف أمامه بـ عينين متورمتين من كثرة البكاء

نهض يأخذها بـ أحضانه سريعاً وهو يُقبل رأسها بـ قوة فـ سمع صوتها المتهاك
-بابا فين يا رائف!!...-

رفعت رأسها إليه تهمس بـ توسل

-بابا عايش مش كدا!!...-

وقبل أن يرد وجد والده يخرج من غرفة الجراحة يُبعد الغطاء عن وجهه وهو يُحركها بـ نفي مُخفضاً إياها بـ أسف.. فـ أغمض رائف عيناه بـ ألم وصمت

عاد صوتها يسأله بـ تشكك

-رائف!..بابا فين؟!-

-شدد من عناقها وهمس بـ صوته المتحشج: البقاء لله يا زهرة..والدك ف ذمة
الله...

صرخت إسراء بـ قوة وهي تشعر بـ حجم فاجعتها والتي لم يستوعبها عقلها
المسكين ف سكن مُطالبًا بـ راحة بعيدًا عن العالم و قسوته

الفصل الثامن

عندما تتشابك خيوط القدر..لا يُمكن حلّها أبدًا...

كان يُمسك بـ يدها الموضوعة على الفراش الأبيض بـ قوة وكأنه يخشى أن تتلاشى.. فـ ما أن زفَّ إليها النبأ حتى فقدت وعيها ليأخذها هو إلى أحد الغرف.. إنحنى بـ جزعه العلوي يُقبل رأسها بـ قوة وعمق ثم إرتفع وخرج من الغرفة وجلس أمامها

وضع رأسه بين يديه وعلى وجهه تعبير قاس.. وجد من يربت على منكبه فـ رفع وجهه ليجده والده.. عاد إلى وضعيته الأولى دون أن يرد.. تنهد مُحي وقال

-مراتك عاملة إيه دلوقتي؟!

-أجابه بـ جمود: لسه نايمة.. مستحملتش الصدمة

-أوماً موافقاً: صعبة عليها برضو.. كانت الأمور بينها وبين والدها بدأت تاخذ وضعها الطبيعي...

لم يرد عليه رائف بل عاد ب ظهره إلى الخلف ورفع رأسه إلى الأعلى..نظر مُحي إلى ملامح وجهه القاسية وقناع الجمود يتلبسه ليضع يده على ذقنه وقال ب
جدية

-هما اللي ورا الحادثة!!...

لم يكن سؤال ب قدر ما كان تقريرًا لما حدث..لمهدر رائف ب قسوة

-الجريمة..اللي حصل دا جريمة قتل وأنا مش هسكت

-حذره والده ب خفوت: رائف!!..إحنا ما صدقنا نخلص من الأمور دي بلاش
ترجعها ب رجلك...

ضرب ب قبضته المقعد الفارغ ب جانبه ثم أردف ب حدة مُخيفة وهو يُشير إلى
غُرفة زوجته

-واللي جوه مقهورة على أبوها دي أسيبها!!..مظنش إني هسيب حقه

-حاول مُحي الاعتراض: يا بني إفيهم

-قاطعه رائف وهو ينهض: مش هفهم..الدم مبيجبش إلا الدم...

ثم تركه وإتجه إلى عُرفتها مرةً أُخرى..صفع الباب ب قوة لیتجه إلى الفراش

وجلس على طرفه

تأمل ملامحها جيداً وهو يرى تعابير الألم والحُزن ترتسم ب وضوح على

ملامحها النائمة..رفع يدها ثم قبّلها ب رقة عدة مرات قبل أن يهمس ب إبتسامة

-أنتِ الحد الفاصل اللي بيني وبين عالم الفساد...

تمدد ب جانبها جاذباً رأسها إلى صدره وأكمل حديثه

-أنا رجعتك ليا ب صعوبة ومش هيكون سهل عليا أخسرك يا زهرة..أنا عارف

إن العالم قاسي..قاسي جداً ب طريقة اللي زيك ميستحملهاش..بس أنا جنبك

وهفضل جنبك طول ما فيا نفس..طول ما أنا عايش..مش هعيش غير ليك...

أحس ب تلك الرطوبة على صدره ليعقد حاجبيه..ولكنه تلاشى ما أن سمع

صوتها يهتف ب ألم

-بابا مات يا رائف..بابا قتلوه

-ضم رأسها إلى صدره أكثر وقال ب حنو: هششش..متحمليش نفسك فوق

طاقتها

-ضربت صدره ب ضعف وقالت: أخدوه مني لما رجعت..كانوا مستنين الفرصة

عشان يكسروني...

تحشج صوتها ب بُكاء عنيف ب آخر حروفها..ليقبل جبينها عدة مرات هامسًا

ب ألم على ما آلت إليه حالتها

-عشان عارفين إني هتكسر لما يكسروك...

إزداد بُكاءها عُنْفًا حتى تحول إلى صرخات جعلته ينتفض من مجلسه ف

جلس على الفراش جاذبًا إليها إلى صدره..وصله ألمها و خوفها من

القادم..ضمها ب قوة حتى يمتص صراختها التي لم تزداد إلا عُنْفًا

إنهيارها كان مُفاجئًا إليه ولكنه لم يستطع الصمود أمامه.. حاوط وجهها بـ
كفيه الكبيرين ليصرخ بـ صوته حتى تفيق

-زهرة!!.. اللي بتعملية دا غلط.. فوق عشان خاطر مامتك حتى وابنك...

صرخاتها لم تهدأ بل تتحول إلى أخرى مذبوحة.. وتعجب رائف من إنهيارها ف
هي لم تكن بـ ذلك القُرب من والدها ليضمها إليها بـ قوة ثم ضرب على الزر
الموجود بـ جانب فراشها لتأتيه بعد دقائق مُمرضة هدر بها رائف بـ عنف
-مُهدئ.. عاوز مُهدئ بسرعة...

أومأت المُمرضة لتركض خارج الغرفة.. أما رائف ف ظل يُهدئ زوجته ولكن دون
فائدة

حضرت المُمرضة ومعها ذلك المُهدئ.. ليطلب منها رائف أن تضعه بـ ذلك
المحلول المُغذي.. ف فعلت ما طلبه رائف.. ثم خرجت بعدها بـ هدوء

أما هو ظل يحتضنها مُكبلاً لتحركاتها العشوائية حتى خفتت تدريجياً لتهدئ بعدها ثم سقطت في سُباتٍ عميق.. تنهد رائف ب قلة حيلة ثم وضعها على الفراش ب حنو.. دثرها جيداً ثم نهض من جوارها و جلس على الأريكة يُراقب معالمها المنكماشة ب ملامح تشتد قسوة و عُنف

خرجت من المرحاض وهي تترنح.. لتجد يجلس خلف مكتبه وب يده لفافة تبغ تُشير إشمئزها.. ضمت يديها إلى صدرها خوفاً من هيئته و وقفت تتكئ على الباب خلفها تستمد منه قوتها

وجدها تفتح باب المرحاض وتخرج مُتكئة على الباب خلفها ف إلتوى فمه ب شبه إبتسامة زافراً سحابةً رمادية ثم أطفئ لفافة التبغ مُشيراً لها ب يده أن تأتي.. حركت رأسها نافية ليقول ب نبرة ذات مغزى

-تعال يا نوجة عشان مجيش وأجيبك أنا.. وساعتها هتزعلي مني

-تمتت ب قهر: حسبي الله ونعم الوكيل...

تحركت ب بطاء أثار إستفزازه ولكنه حافظ على هدوءه إلى أن وقفت أمام

مكتبه ب عدة خطوات ليقول ب صوته الهادئ

-إقعدني...

إبتلعت ريقها ب صعوبة ثم همست وهي تُمسك جانبي ثوبها تعتصره بين

قبضتها

-مرتاحة كدا

-أشاح ب يده وقال: وماله..كل اللي يهمني راحتك...

تراجع ب ظهره حتى إستند على ظهر مقعده ثم قال وهو يُشبك يده خلف

رأسه يتأرجح يمينًا و يسارًا

-اللي حصل هنا دا هيفضل بيني وبينك...

إنفخت أوداجها ب غضب وخوف لتشعر ب تيار كهربائي عنيف يضرب
جسدها ولكنها أثرت الصمت وقبضيتها تشتد على ثوبها حتى لا تفقد ثباتها
الزائف أمامه ليعود ويكمل

-أنا هسيبك تستريحى كام يوم عشان عاوزك ف مصلحة

-سألته ب إهتزاز: ع..عاوز إيه!

-إبتسم وقال ب إريحة: سبها لظروفها..دلوقتي كل اللي عليك تستريحى..ومن
ناحيتي!!!..إطمني مش هخلي حد يشغلك .. يعني هتقعدى برنسيسة محدش
يقدر يقولك نص كلمة..أنتِ ف حمايتي...

نظرت إليه ب إشمئزاز ولم ترد عليه..بل أشاحت ب وجهها بعيداً عنه ..وقبل أن
يتفوه ب كلمة سمعا طرّقاً على الباب ليتنحج ب خشونة هادراً
-أدخل...

دلف أحد الحرس ثم قال ب نبرة عادية

-عاوزينك يا باشا

-تساءل ب ملل: مين؟!...

لم يرد الحارس بل حمحم وهو ينظر إلى نجلاء ف فهم الأمر..إلتوت عضلات

فكه ب غضب ثم قال وهو ينظر إليها

-خدها وديها أوضتها..تقف عليها متتحركش..هي مش هتنزل الشغل لحد أما

أنا أسمح

-إتجه الحارس إلى نجلاء وقال: حاضر يا باشا...

ثم أمسك ذراع نجلاء ليسحبها خلفه ولكنها إنتفضت وإبتعدت عنه على

الفور..نظر إليها الحارس ب غضب ثم هدر

-إنجري يا بت أنت قدامي...

إنتفض على ضربة جهاد لمكتبه ب قبضته ثم هدر ب عنف

-متلمسهاش..سيبها تمشي قدامك..يلا غور أنت وهي...

أوما الحارس ليُشير إلى نجلاء كي تتقدمه فتحركت وهي تنظر إلى جهاد
نظرات مُهممة ولكنه قابلها بـ أخرى جامدة لتختفي عن الأنظار خلف الباب
وهو يُغلق

ما أن أُغلق الباب حتى أطاح بـ كل ما هو موضوع على سطح المكتب صارخاً بـ
غضب ثم سحب سترته وإرتداها وخرج

سمعت صرخته وهي تسير بـ الممر لترتعد فرائصها من صرخته التي خرجت
وكأنها زئير..لتلتفت إلى الخلف فـ إلتقت نظراته بـ نظراتها ما أن خرج من
غُرفته ليتجمد مكانه من تلك النظرة..نظرة شبيهه كان ينظر بها إلى
"مُغتصبه"

ضم قبضته ب قوة ثم تحرك ب إتجاهيهما ناظرًا إليها ب شراسة جعلتها تنكمش
على نفسها..ليتركها بعد ذلك دون حديث مُكَمَّلًا طريقه وكأنه يلتهم الأرض ب
خطواته

طرق الباب ب قوة وكأنه يُريد تحطيمه ليسمع صوته الثقيل من الداخل يأذن
له ب الدلوف..صر على أسنانه ثم فتح الباب ودلف

نظر إلى أرجاء العُرفة التي تُشبه عُرف النُزل ب رُقيها وتنظيمها..فهي تحتوي
على فراش ذهبي كبير وأريكتين أسفل نافذة عملاقة تطل على المحيط
الخارجي..وحوض إستحمام يتميز ب تصميمه الإيطالي الأنيق

وقعت عيناه على الفراش الكبير ف وجده يتكى ب نصفه العلوي على الفراش
وب جانبه إحدى الفتيات اللاتي تعملن لديه..نظر إليه ب حقد وغضب ثم
سمع صوته الخبيث يهتف

-تعال...-

عض على شفاه السفلى وهو يراه يتلاعب بخصلات الفتاة الشقراء ب غضب
ثم تقدم منه وجلس على أحد المقاعد القريبة من الفراش ليضع ساق على
أخرى وتساءل ب جمود

-عاوز إيه يا.. يا باشا!!-

-إبتسم ب خبث وقال: وهكون عاوزك ليه!...-

لم تتغير ملامحه مقدار إنش وبقى جامدًا ك قطعة من الرخام ثم هتف ب
برود جليدي

-ما أنت متكيف أهو..عاوزني ليه؟!...-

مسح على وجنته المشوه ب جرح أصيب به على يد ذلك الغر الذي أمامه ثم
قال ب نبرة ذات مغزى

-أنت اللي بتكيفني..من صغرك يا حبيبي..مش ناوي تحن لأيام زمان؟!..-

-إلتوى فمه ب إزدراء وقال: بطلّ قرف بقى...

نهض جهاد عن مقعده ب عنف وقال ب غضب

-أنا مش فاضي للكلام دا..عندك حاجة قولها معندكش يبقى معطلكش عن

اللي بتعمله...

كاد أن يخطو خطوة ولكن صوته أوقفه قائلاً ب برود

-عملت إيه مع عبدالله!...

إلتفت إليه جهاد ينظر إليه وهو جالس على الفراش..ذلك الجسد الضخم

الذي هشم عظام جسد الطفل ب داخله لا يزال كما هو بل إزداد ضخامةً

عما سبق..وجهه الغليظ المزين ب قطع يبدأ ب حاجبه لينتهي أسفل صدغه قد

أصابه به عند عُمر الحادية عشر..عندما فاقت قدرته على التحمل ما يُصيبه

من إنتهاك جسدي ونفسي

قبض على فكه ب عنف مؤلم ب هدف إقصاء تلك الذكرى البشعة عن عقله

الذي لم ينسها أبدًا..ثم قال ب نبرته الجامدة

-بعته حد يتصرف معاه

-والبت!!..مرات رائف؟!!

-رد عليه قائلاً: لسه دورها جاي...

مال يُقبل منكب الفتاة ثم قال ب نبرة مُستثارة

-طب روح أنت دلوقتي...

نظر إليه جهاد ب إشمئزاز ورحل

ما أن خرج حتى ضرب الحائط ب قبضته وجسده يرتعد غضبًا وقسوة..بعدهما

أصبح ب تلك القوة ولم يعد يخشاه..إلا أنه لا يزال عبده وقريبًا سيعود عبدًا

لرغباته الحيوانية ما أن يعلم ب تعلقه ب الفتاة الجديدة "نجلاء"..إن أراد أن

تُصبح له ف ليخضع إليه..هذا هو مبدأه..لا شئ مجانًا

جالسة ب منزل والديها تحتضن والدتها التي لم تكف عن العويل مُنذ يومين وهي أصبحت جامدة لا تبكي ولا تصرخ..ف قد إكتفت ب إنهارها ب المشفى ورائف يُراقبها ب حزنٍ شديد..لا يقدر على فعل شئ ف هي ما أن إستيقظت صباح اليوم التالي حتى أخبرته أنها بخير ويجب أن تكون ب جانب والدتها وها هي تجلس تستقبل عزاء السيدات..الجميع يواسيها يُخبرها أنها الحائط والسند الأخير لوالدتها بعد والدها وهي تستقبل حديثهم ب جمود دون أن تُكلف عناء الرد..أو تُكلف نفسها عناء مواساة والدتها أما ب الأسفل ف رائف يقف يستقبل هو و والده عزاء عبدالله حاملاً لطفله بين يديه..ف حالة زوجته ليست على ما يُرام ويخشى منها على نفسها وعلى طفليهما من عدم إتزان حالتها النفسية..تنهد ب حرارة ثم سمع والده يهتف

-آخر الأخبار إيه؟!-

-رد عليه رائف وهو يحتضن صغيره: مفيش..شوفنا كاميرات المراقبة بتاع

المنطقة كلها..مشوفناش اللي سايق بس العربية شوفنا ارقامها

-سأله مُحي ب إهتمام: وعرفته إيه؟!

-أجابه رائف ب إحباط: طلعت العربية مسروقة وصاحب العربية كان مبلغ

عن السرقة قبل الحادثة ب ساعتين بس...

صافح أحد الرجال الذي دلف إلى سُرداق العزاء وأكمل

-ولما حاولنا نعرف مين اللي سرقها لاقينا العربية إمبارح متفحمة ب حد

فيها..على ما أظن إنه اللي نفذ الحادثة

-ودا يوصلنا لإيه يا رائف!!

-رد عليه ب نبرة قاسية: يوصلنا إني أنا ومراتي ف دماغهم وموت أبوها مجرد

بداية ل اللي هيحصل بعد كدا

-أمسك مُحي ذراع ولده وقال: يبقى لازم تاخذ مراتك وتسافر

-زاد من ضمه لصغيره وقال ب شراسة: مش ههرب أبدًا من الحرب دي..أنا
وعدت زهرة إني هجيب حق أبوها..ف مش هخلف وعدي معاها...

هدر مُحي من بين أسنانه وهو يقف ب مواجهه رائف

-أنت إتجننت!!..رائف حياتك أنت وعيلتك على المحك..متخاطرش بيهم

-ومين قال إني هخاطر بيهم!..أنا هسفرهم بعيد عن هنا وحتى مش

غلاسكو..مراتي لازم تختفي

-همس مُحي ب شراسة: وأنت

-مش قبل أما أنني الموضوع دا يا دكتور...

قالها ب حزم ونبرة لا تقبل الجدل ليتهد مُحي ب يأس و عاد يقف ب جانب

رائف

إنتهى العزاء ليصعد رائف إلى منزل عبدالله ليجد زوجته تخرج من غرفة والدتها ثم أغلقت الباب..إلتفتت لتجده يحمل غيث النائم ف همس

-نام

-أومأت وقالت: وماما كمان نامت

-طيب أنا هدخله الأوضة وأجي...

أومأت ب رأسها ثم إتجهت إلى المطبخ تُحضر عشاءً خفيف له ف هو لم يأكل..ثم وضعت على الطاولة لتجده يخرج من الغرفة

توجه رائف إليها ثم قال وهو ينظر إلى المائدة

-إيه دا!

-أشارت إلى الطعام وقالت: زي ما أنت شايف..أكل

-حاوط ذراعها وقال: منا عارف..بس لمين؟!

-ردت عليه وكأنه كائن فضائي: لمن!..ليك يا حبيبي

-وأنتِ مش هتاكلي؟!...

-حركت رأسها نافية ليقول وهو يُجلسها بـ جانبه

-مفيش حاجة اسمها لأ..هتاكلي معايا يا زهرة

-حاولت النهوض قائلة بـ رفض: مليش نفس يا رائف...

قام بـ وضع قطعة خُبز بـ طبق الجُبْن ثم قربها من فيها وقال بـ صرامة

-معلش تعالي على نفسك..لما تاكلي دي هتلاقي نفسك إفتحت لوحدها

-ضربت الطاولة بـ يدها ثم هدرت بـ عنف: قولت مش عاوزة..هو بـ العافية

-حافظ على نبرته الهادئة وهو يقول: أيوة بـ العافية يا زهرة..وصوتك ميعلاش

عشان الناس اللي نايمة...

نظرت إليه ب غضب وهي تزم شفيتها..ف قرب يده منها واضعًا قطعة الخُبز

على طرف شفيتها هامسًا ب مرح

-إفتحي بوقك وكلها لأنني بقرف أكل من ورا حد

-نظرت إليه ب إمتعاض وقالت: دمك مش خفيف على فكرة

-إبتسم وقال: مش مهم هبقى أزوده مايه..يلا إفتحي بوقك...

فتحت فمها مُجبرة ليقول ب نبرته المازحة

-همم يا جمل...

رفعت أحد حاجبيها ب دهشة وهي تنظر إليه ب غرابة ثم قالت ب سخرية

-والله!!!

-والله...

تناولا الطعام ب صمت..بل حقيقةً هو من أطعمها ب الإجبار..حتى إنتهيا ليقول

رائف وهو يمسح فمه

-عاوز أتكلم معاك يا زهرة

-ردت ب لأمبالاة: إتكلم...

تغطى عن نبرتها اللامبالية ثم أمسك يديها ب يديه وتشدق

-أنت لازم تسافري مع غيث و والدتك قريب

-رفعت أحد حاجبيها وتساءلت: ليه!

-تعجب قائلاً: هو إيه اللي ليه؟!..زهرة الموضوع مش هزار..أنت عارفة كويس

مين اللي ورا الموضوع دا...

سحبت يديها من بين يديه وقالت ب نبرة قوية

-وظالما عارفة..مش هرتاح اللي لما أجيب حق بابا..عشان يرتاح ف تربته...

مسح رائف على وجهه صعودًا إلى خُصلاته البُنِيَّة يستدعي الهدوء ف حالتها
والأوضاع حولهما لا تتحمل المزيد من العنف والغضب..ليقول ب نبرةٍ جاهد
أن تخرج هادئة

-أنا وعدتك يا زهرة..أنا اللي هجيب حق أبوكِ

-ضربت صدرها وهمست ب قهر: بس دا أبويا أنا..أنا اللي حاسة ب نار ب تكوي
صدري..أنا اللي حاسة ب وجع ف قلبي..مش أنت...

نهض عن مقعده ليجثو أمام مقعدها..تناول يديها بين يديه ثم رفعهما
يُقبلهما ب حنو عدة مرات وتشدق ب نبرة صادقة ناظرًا إلى بُنيتهما الغائرة

-مين قالك إني مش حاسس ب وجعك!..أنا حاسس ب نارك هي اللي بتكوي
صدري..أنا اللي حاسس ب الوجع اللي ف قلبك..ويمكن أكثر يا زهرة..والله أكثر
مش يمكن..أنتِ مش حاسة ب حالتك دي عاملة فيا إيه!..مش عايش وأنا
شايفك بتنهاري...

لمعت عينيها بـ عبرات لم تستطع كبحها ف إنهمرت على وجنتيها بـ التتابع ليرتفع
رائف إليها أكثر ثم جذبها إلى صدره وهمس بـ خفوت

-عيطي يا زهرة..عيطي ف حضني...

تمسكت بـ قميصه بـ قوة ودفنت وجهها بـ صدره تكتم بـكاء إتخزنته
ليومين..ضمها رائف إلى صدره بـ قوة ويده تربت على خُصلاتها ثم قبّلها عدة
مرات وهمس

-متخافيش يا حبيبي..أنا هنا..هجيب حقك يا زهرة..أوعدك هجيبك حقك...

ظل مُعانقًا لها حتى نامت بين يديه..إبتسم بـ حنو ليُقبل جبينها ثم حملها
وإتجه بها إلى غُرفتها بـ ذلك المنزل

وضعها على الفراش بـ حرص ثم جثى بـ جانبها يُبعد خُصلاتها عن وجهها ليدنو
منها ويُقبل شفتيها بـ رقة وعذوبة هامسًا بـ خفوت

-مش هقدر أضحى بيك يا زهرة..مش هقدر بعد أما بدأت حياتي معاك..بس
برضو مش هسيب حقك..أنا اللي دخلتك الدائرة السوداء دي وأنا اللي
هخرجك منها...

عاد يُقبل جبينها ثم نهض وإتجه إلى الصالة وبدأ ب تنظيف الطاولة بعدها
قام ب تحضير كأسًا من الشاي

إتجه إلى الشرفة وجلس على مقعد خشبي وظل ينظر إلى السماء يُقرب
الكأس من فمه ليرتشف منه قليلاً ثم بدأ يُفكر ب خطواته وكيفية إخراج
عائلته من مصر قبل أن يبدأ ب خطته في القضاء على من عكروا صفو
حياته

عكصت خُصلاتها البنية على هيئة ذيل حُصان ثم إستدارت تسحب سترتها من خامة الجينز ترتديها على كنزتها البيضاء..وضعت حقيبتها بوضع مُتعاكس ثم إتجهت إلى باب عُرفتها

نظرت حولها ب الممر ولكنها لم تجد أحد..تنهدت ب راحة ثم إرتدت حذائها الرياضي ذو اللون الأبيض وتحركت حتى وصلت إلى بوابة المنزل

خرجت وأغلقت الباب ب هدوء ثم تسللت إلى الخارج دون أن تُحدث أي صوت حتى خرجت تمامًا..تنفست ب إريحة و تحركت إلى الطريق حتى وجدت سيارة أجرة..نظرت إلى سائقها..كان رجلاً كبير ب السن مُلتحي يبتسم ب بشاشة طمأنتها قليلاً ولكنها ظلت على تحفظها وهي تسأله

-ممکن توصلني لو سمحت

-طبعًا يا بنتي إتفضلي...

صعدت نهلة السيارة ثم تحركت بهم..كانت نظراتها مُعلقة ب السائق الذي لم يفته نظراتها التي ترمقه بها..كانت مزيج من الخوف والشراسة جعلته يُحاول طمأنتها ف هي تبدو ك قط مُبلل ب طقس الشتاء..ف حمحم قائلاً ب إبتسامة بسيطة

-تعرفي إنك أد بنتي!!...

نظرت إليه ب رهبة وأمسكت حقيبتها ب قوة تستمد منها بعض الدعم ليُكمل حديثه

-هي دكتورة أطفال..ما شاء الله عليها متفوقة وطيبة..تعبت والله يا بنتي عما ربيتها..عما علمتها وكبرتها و وصلت ل اللي هي فيه دلوقتي..عشان متشتغلش و تتمرط..الدنيا مبقتش أمان و أولاد الحرام بقوا أكثر من ولاد الحلال...

نظر إليها من المرآة ف وجدها تنظر إليه ب نفس النظرة الزائغة ليُكمل ب نبرته العميقة

-متخافيش يا بنتي..أنا بقولك كدا عشان متخرجيش ف الوقت دا تاني..عادةً
أنا مفضلش شغال ع التاكس لحد دلوقتي..بس أكيد ربنا له حكمة ف إني
ألف ف المنطقة دي عشان أقابلك

-عقدت حاجبها ب دهشة وقالت: تقابلني؟!

-ضحك وقال: أيوة..عشان أوصلك بدل أما حد تاني يوصلك والله أعلم
ممکن يكون كويس ولا لأ

-إبتلعت نهلة ريقها وقالت ب خفوت: حضرتك لو كدا بطمني ف أنت قلقتني
أكثر...

ضحك السائق ثم قال وهو ينظر إليها

-أسف والله..بس كل دا عشان خايف عليك يا بنتي..زي ما قولتلك الدنيا
مبقتش زي زمان..حتى الراجل يخاف يمشي بعد العشا لوحده..بس شكلك
بنت حلال عشان كدا ربنا بعثني ليك...

تبادلا أطراف الحديث وقد بدأ حديثه يستهويها ف نبرته عميقة و تُريح
القلوب..يتحدث ب وقار وحنو أبوي يُشبهه حنو أبيها..إبتسم السائق وقال ب

مزاح

-أهو الكلام خدنا ومعرفتش أنتِ رايحة فين؟

-أجابته ب تلقائية: رايحة لأخويا

-سألها ب نفس الإبتسامة: وأخوكِ قاعد فين!...

أملته العنوان ليصلا إليه بعد خمسة عشر دقيقة..لوحث إلى السائق ثم
إتجهت إلى منزل زهرة..والتي علمت عنوانه من والدتها..صعدت الدرج القديم ب
حرص حتى وصلت إلى الطابق المنشود

طرقت الباب وانتظرت..أخذت تحك يديها ب بعضهما ب توتر ف هي أول خطوة
تخطوها ب علاجها النفسي الذي بدأتها حديثًا مع طبيب أوصى به أحمد
عندما لاحظ إستجابتها الضعيفة..وكانت أول نصيحة قدمها الطبيب

-لازم تبدأي من أول حد إتأذى

-تساءلت ب إهتمام: أحمد!

-لأ رائف أخوك..هو أول حد إتأذى منك ومن جدتك..أنا عارف إنه مش ب

إيدك بس أنت كنت طرف ف خراب حياته..خصوصًا إنه أخذ خطوة قبل كدا

وكلمك

-طب لما أكلمه إيه اللي هيحصل!!?

-إبتسم الطبيب وقال: لما تكلميه هتحسي ب اللي هيحصل...

وها هي تقف أمام المنزل ب خوفٍ بالغ..تخشى رد فعل أخيها..لم يراها منذ أن

أتى لرؤيتها ب عُرفتها..هي يجب أن تعتذر..يجب أن تجد راحتها ولو قليلاً

إنتظرت لحظات ولم يفتح أحد..تهدت ب إحباط وإستدارت تنوي

الرحيل..ولكنها توقفت عندما سمعت صوت الباب يُفتح..إلتفتت ببطء حتى

واجهت رائف الذي نظر إليها بدهشة هاتفاً

-نهلة!!!...

الفصل التاسع

لم يكن عليه الإستسلام

كان عليه مقاومة التيار

فهي لا تُريده مهزومًا...

وقف أمام الباب يستوعب وجودها أمامه..تفرك يدها ب توتر ك طالبة ثانوية

تنتظر نتيجتها..نهلة تقف أمامه وتنتظر صوته يأذن إليها ب الدلوف

تدارك رائف نفسه ليجذبها من يدها مُغلَقًا الباب خلفه ثم تساءل ب شيء من

الدهشة

-نهلة!!..أنتِ وصلتي لهننا إزاي!

-أجابته ب إرتباك: ركبت تاكسي

-هدر ب حدة خفيفة: ف الوقت دا !..ولوحدك!!...

أجفلت نهلة وتراجعت إلى الخلف خطوتين لتهمس وهي تبتلع ريقها ب حشرجة
-أسفة..يظهر إني أزعجتك..أنا همشي...

أمسك يدها يمنعها الرحيل ثم هتف ب صوتٍ حاول بث الهدوء به بعدما
لاحظ إجفاله

-مش قصة أزعجتيني..أنا بس خفت عليك..خصوصًا الوقت متأخر وجاية
لوحذك

-إرتفع حاجبها ب دهشة وقالت: خفت عليا!..أنت خفت عليا أنا؟!

-حرك رأسه ب حيرة ثم هتف: دا العادي..مش أنتِ أختي برضو ولا أنا
غلطان!!

-إبتسمت ب سعادة وقالت: لأ أنت مش غلطان...

إبتسم لإبتسامتها وكم لاحظ التشابه العجيب بين إبتسامته وخاصتها..جذبتها
ليجلسا على الأريكة ف أكملت حديثها

-أنا عرفت اللي حصل من بابا..وقررت أجي أقف جنبك..وجنب مراتك..تسمحلي!

-رد بسرعة: طبعًا أسمحلك..ويا ترى دا بس سبب الزيارة دي ولا عينك فيها كلام ومكسوفة تقوله!...

نظرت إليه ب صدمة حتى إنها تراجعت إلى الخلف قليلًا ثم تمتمت ب ذهول
-لدرجادي مكشوفة!

-حرك رأسه نافيًا ثم قال ب نبرته الهادئة: لأ..عشان أنتِ توأمي..يعني طبيعي أحس بيك وأنتِ تحسي بيا...

أومات مُوافقة لحديثه ثم أردفت وهي تتلاعب ب طرف كنزتها البيضاء
-ك..كنت عاوزه..أعتذرلك

-عقد حاجبيه وتساءل: عن إيه!...

إبتلعت ريقها ب صعوبة ثم رفعت أنظارها إليه وأردفت ب خفوت

-أنا رُحت لدكتور نفسي يعالجني..وقالي أول خطوة ف العلاج بجد..إني أتصالح

مع نفسي وبعدين مع أول حد أذيته

-أشار إلى نفسه وقال: وأنا أول حد أذيتيه؟!...

أومأت ب إضطراب ثم تهربت من عيناه سريعًا ناظرة إلى أسفل..إبتسم رائف

ليضع يده أسفل ذقنها ورفعها إليه ثم تشدق ب حنو

-وأنتِ شايقة إنك أذيتيني؟!...

أومأت بما يسمح به رأسها ب موافقة ليبتسم ب إتساع فاتحًا ذراعيه ثم تساءل

ب توتر طفيف

-ينفع تيجي هنا!!...

نظرت إليه مُطوِّلاً ب خوف ولكن إبتسامته المُطمئنة وعيناه الدافئة جعلت

عضلاتها تتحرك لتتقدم منه ثم تدفن وجهها ب صدره..ليُحاوطها هو ب يديه ف

أحس ب راحة غريبة تغمره وكأنه كان عطشًا وإرتوى ب ماء زمزم .. هتف وهو
يطبع قبلة أعلى جبينها

-تبقى مبتشوفيش وعنيك الزرق الحلوين دول محتاجين نضارة كعب
كوباية...

إبتسمت ب إهتزاز بين أحضانه.. ف هي لأول مرة تختبر شعور الإلتماء إلى
توأملك.. لأول مرة ترى رائف ب أعين مُختلفة.. كم بدى لها سابقًا وحش كاسر
وكانه سيفترسها بعد قليل.. نظرات الكره التي رمقها بها سابقًا جعلها تشمئز
من نفسها وكأنه نكرة لا تُساوي شيئًا ب نظره

أما الآن ف رائف الذي أمامها مُختلف.. حنون وعيناه تشعان دفاء.. يُعلمها
أبجديات الأخوة كما يُعلم زهرة أبجديات الحُب.. ضحكت ب خفوت ليسألها ب
تعجب

-بتضحك علي إيه!

-إبتعدت عنه وقالت ب إبتسامة: لما شوفتك أول مرة خُفت منك..قولت دا
مش بني آدم..رغم أنك أمور أوي..بس عينيك كانوا فيهم قسوة غير
طبيعية..أما دلوقتي...

صمتت تنظر إليه ب عمق ف حثها قائلاً

-أما دلوقتي إيه!

-أجابته ب صدق: عكس كل حاجة كانت قبل كدا..أنت إتغيرت أوي..بصراحة
لما جيت خوفت تطردني ومش تتقبلني..بس دلوقتي غيرت رأيي تمامًا..يا ترى
إيه السر؟!...

نظر إلى الغُرفة التي تنام بها زوجته وصغيره ب إبتسامة ثم عاد ب نظره إلى
شقيقته وقال ب نبرة عذبة ، عميقة

-الزهرة اللي بتنبت وسط شوك..بتزرع الجمال ف النفس...

لم يبدُ عليها أنها فهمت ما يقصد ولكن على ما يبدو أنه موجهه لشخصٍ
 ما..ولا يوجد سوى زهرته

-يعني إيه مش موجودة!!..بنتي إختفت فين؟!...

أردفت بها رحمة ب عويل أمام جميع من يوجد ب المنزل ليُعاقبها مُحي قائلاً ب
 صوتٍ أجش

-إهدي يا رحمة إن شاء الله هنلاقيها

-هدرت رحمة ب زوجها قائلة: والغفير اللي واقف بره دا مشفهاش إزاي!...

أحني الغفير ب رأسه أرضاً ثم قال ب خجل و تلعثم

-و..والله يا دكتور معرفش..ه..هربت إزاي؟!..

-نظر إليه مُحي شزراً وقال ب قوة: خلاص أسكت..شوف شُغلك وحسابي
معاك بعدين...

رحل الرجل يجر أذيال الخيبة..لينظر مُحي إلى الجميع ثم هتف ب حدة
-وأنتوا كمان شوفوا شُغلكوا..وبرضو حسابكم معايا لما أرجع بنتي..أنا
قولتلكوا خدوا بالكم منها..يلا أمشوا...

رحل الجميع إلى عمله وبقى هو و رحمة التي تبكي بين ذراعيه هاتفة ب نواح
-عاوزة بنتي يا مُحي..أنا ما صدقت إنها بدأت تتحسن..أنا خايفة يجرالها
حاجة...

جذبها إلى الأريكة ليُجلسها عليها وتبعها هو ثم أدرف
-وحدني الله يا رحمة..إن شاء الله خير...

تنهد ب ضيق ثم تساءل

-حصل حاجة زعلتها او إتخانقت مع حد!

-أبدًا والله..وهي أصلاً بتتكلم مع حد!!

-مسح على رأسه ب عنف وقال: أومال إيه اللي حصل بس وخلاها تهرب كدا!!

-معرفش..أنا عاوزة بنتي...

زفر مُحي ب غضب وقبل أن يتحدث أردفت رحمة بسرعة

-طب ما تجرب تكلم رائف..أكيد هيدور دي مهما كانت أخته

-أخرج هاتفه من جيب سترته وتشدق: ودا اللي كنت هعمله...

كاد أن يفتح الهاتف ولكن وجد رقم هاتف رائف يُنير شاشته..لم يتأخر ثانية

وأجاب بلهفة

-إبن حلال .. كنت لسه هكلمك

-أتاه صوت رائف: لو عشان نهلة..ف متخافش..هي معايا دلوقتي

-عقد حاجبيه ثم تساءل وهو ينظر إلى رحمة: معاك إزاي؟!...

نظرت إليه رحمة ب لهفة وهي تتساءل هامسة ليُحرك رأسه ب حيرة دليلاً على

جهله ليسمعا صوت رائف ما أن وضعه مُحي على مُكبر الصوت

-جاتلي من شوية وحابة تقعد معايا..ف حبيت اتصل وأطمنك إنها هنا لما

عرفت إنها طلعت ومعرفتش حد...

زفر كلاهما ب راحة ليردف مُحي بعدها وهو يتنهد

-طيب الحمد لله يا بني طمنتني..هي هتقعد الليلة دي عندك ولا أبعث حد

يجيبها!

-من الناحية متقلقش أنا اللي هوصلها ب نفسي

-رد عليه مُحي ب راحة: طيب..تصبح على خير..وشكرًا إنك طمنتني

-أردف رائف ب هدوء: على إيه!..نهلة أختي..يلا مع السلامة...

أغلق مُحي الهاتف ثم نظر إلى رحمة التي كانت تُتمتم بـ الحمد والشُّكر لله أنه
حفظ إبتها..ليقول وهو يضمها إلى صدره

-ولادنا هيرجعوا يا رحمة..ربنا منساهمش الحمد لله

-بكت رحمة وهي تقول: والله لسانى مسكتش عن الدُعا أبدًا..والحمد لله ربنا
إستجاب لدُعائى ف الوقت الصبح...

في صباح اليوم التالي كان أحمد يقف أمام منزل رائف..بعدما هاتفه أمس
يطلب من الحضور لأمرٍ طارئ..ولم يتأخر الأول عن طلب صديقه ف حضر
إليه صباحًا حتى قبل أن يذهب إلى المشفى

طرق الباب مرتين وانتظر ليُفتح الباب وتطل منه نهلة..تراجع أحمد خطوتين
من الصدمة وردد بـ ذهول

-نهلة!

-رددت هي الأخرى بدهشة: أحمد!..بتعمل إيه هنا؟!

-أنتِ اللي بتعملي إيه هنا؟!..وجيتي إزاي!!...

همت أن ترد ولكنها سمعت صوت رائف يصدح من خلفها

-مين يا نهول؟!

-ردد أحمد ب حيرة: نهول!..هو إيه اللي بيحصل؟...

نظرن نهلة إلى يد أخيها التي وضعها على منكبيها ثم إلى أحمد الذي عقدت

الصدمة لسانه دون أن تجد القدرة على الحديث

نظر رائف إلى صديقه ثم إلى نهلة ليهتف وهو يدفعها إلى الداخل

-روحي أنتِ يا نهلة..دخلي الأكل لزهرة وإفطري معاها

-ردت عليه ب خفوت: طيب....

دلفت إلى الداخل لينظر رائف إلى أحمد المدهول ثم أردف

-تعالَ يا أحمد إتفضل

-أشار إلى الداخل وقال: هو إيه اللي بيحصل!!

-ربت على منكبه وقال: خش بس وأنا هفهمك...

أوما ب شرود ودلف..أغلق رائف باب المنزل خلفه وأشار إلى صديقه ليدلفا

الشُرفة..سأله عن أحواله وحياته ف أجابه أحمد ب شيءٍ من التفصيل دون أن

يُخبره ب شكه أن زوجته قُتلت..وكذلك أخبره رائف عن شقيقته وما حدث

أمس..ليُردد الآخر ب صدمة

-معقول!..مكنتش متوقع إن العلاج هيجيب مفعول بسرعة كدا

-رد عليه رائف ب إستنكار: بسرعة إيه؟!..سنتين وهي بتتعالج والدكتور الجديد

اللي قولت عليه دا..معملش حاجة غير إنه كمل على الدكتور الأول..لا أكثر

ولا أقل...

صمت ثم عاد يُكمل وهو يضع يده على عينيه

-الدكتور الأولاني كان ماشي خطوة خطوة..وهما فكروا إنه مش شاطر..بس هو كان دوره التأهيل النفسي الأول وبعدين كان يدخل ف خطوة الكلام والمصالحة مع النفس والكلام دا

-سأله أحمد وهو يربت على رُكبته: وأنت مبسوط عشان أختك!...

أزال رائف يده عن عينه ثم أردف بسرعة و نبرة لا تحمل الشك

-طبعًا..أنت بتتكلم ف إيه

-أومال أخذ الوقت دا كله ليه؟!

-وضح قائلاً: أنا كمان كنت محتاج فترة أستوعب اللي حصل..محتاج تأهيل نفسي لكل اللي مریت بيه..محتاج ألملم أفكاري وعقلي اللي إتشتت دا..كنت محتاج أرتاح عشان أرجع ب تصالح النفس اللي أنا فيه داوقتي

-حك أحمد وجهته وتساءل: طب وأهلك!!..والدك و والدتك!..ملهمش ف تصالح

النفس دا برضو!

-شوية شوية يا أحمد..مش كله قفش كدا...

أوماً أحمد ب تفهم وصمت ليُكمل رائف حديثه وقد تبدلت نبرته إلى أخرى

جدية

-المهم..سيبك من كل دا..عاوزك ف حاجة أهم

-تساءل أحمد ب إهتمام: خير يا رائف!

-عاوزك تدبرلي أي تذكرتين على أي طيارة رايحة باريس..حتى لو طيارة خاصة

-عنيا بس ليه ولمين؟!

-لمراتي وأمها..وبعدين هتاخذ نهلة لهم...

عقد أحمد حاجبيه وصمت عله يفهم ما يُريده رائف الذي وضح حديثه

-الموضوع يتم ف سرية عشان اللي أنا هعمله..وياريت أنت كمان تاخذ بنتك

وتسافر معاهم...

الآن تجلت الحقائق أمامه وقد فهم ما يوده صديقه ليرد ف ب شك

-أوعى يكون اللي ف دماغى...

ضرب رائف على سطح الطاولة ب قوة ثم هدر

-حادثة قتل عبدالله مُتعمدة وفيها رسالة تهديد وكان لازم أفهم من ساعة أما

مراتك إتقتلت

-إتعست عينا أحمد ب قوة وتمتم: إتقتلت!..أنت عرفت إزاي!..وإيه اللي يخليك

مُتأكد كدا!؟

-مسح رائف على خُصلاته وأكمل: أنا مش نايم على وداني يا أحمد..عبدالله

كان قالي قبل كدا إنهم حاولوا يرجعوه لسكة دي تاني..وهو رفض..بعدها ب

فترة بسيطة قالي إن مراتك ماتت يوم ولادة ملك...

صمت يستشف تعابير وجهه والتي كانت جامدة لا تدل على شئ سوى أنه

مُحق..ليُكمل رائف حديثه مُتبعًا "إطرق الحديد وهو ساخن"

-حاولت أعرف إيه اللي حصل..بس الدكاترة اللي كانوا بيشرفوا على الولادة
القيصرية سافروا..وظلعت أسماءهم دي مُستعارة وإن مفيش دكاترة بـ الاسم
دا..يعني مراتك قتلوها يا أحمد...

أكمل أحمد الحديث الناقص بـ نبرة جامدة

-عشان عارفة كثير..وإنها فـ يوم هتتكلم لو حسـت إني فـ خطر..وقالوا نخلص
منها الأول وبعدين يفضولنا

-أسف يا أحمد..بس أنت صح...

إبتسم أحمد بـ سخرية مريرة ثم أردف وهو يبتلع غصّة مُسننة بـ حلقه

-كنت عارف إني لازم أخذ عقابي على اللي عملته..مُستحيل يمر كل دا بدون
عقاب

-ربت رائف على ساقه وقال: وحد الله يا أحمد..ربنا مش هيسيب حقك

-تشدق أحمد ب قسوة: ولا أنا هسيب حقي وحق مراتي اللي مكنش ليها حلم
غير إنها تبدأ حياة جديدة معايا...

نظر إليه رائف ب إحباط ف هو كان يُريد إقصاءه عن الموضوع ب رتمه كي لا
يقع ب مصائب هو بغنى عنها لأجل صغيرته..ولكن أحمد فاجأه وهو يردف ب
حسم

-أنا هعمل اللي أنت عاوزه..هبعده مراتك و والدتها. وبعدين نهلة وملك
ونفضالهم..إحنا اللي دخلناهم السكة دي قبل كدا ومش هنسمح تطولهم
تاني...

كان يركض ب الممر ك المجنون يتحدى خطواته المتخازلة والتي تأتي
الوقوف..حتى وصل إلى غرفة الجراحة

جلس على الأرض ك المتسولين رث الهيئة ومُشعث الشعر..لم يُصدق ما أخبره
به صديقه أحمد مُنذ ثلاثون دقيقة..كان صوته مُضطرب خائف وهو يقول

-رائف أنا معرفش دا حصل إزاي..بس مراتك و والدتها عملوا حادثة ودلوقتي طالع بيهم على مُستشفى والدك...

لم يستطع تحديد كيف قادته ساقيه لكي يصل إلى هنا..عيناه كانتا ك جمراتين من النار الحارقة..وعروقه نافرة ب شكل أوشك على الانفجار..يتوعد ويتضرع ب الدعاء إلى الله أن تعود له سائمة

رفع نظره إلى باب الغُرفة علّ أحدهم يخرج ويُطمأنه على حالتها ولكن لا أحد أخبروه مُنذ قليل أن والدتها تُعاني كسور..وجروح عميقة حتى أصابتها غيبوبة ف قد تضرر رأسها ب درجة كبيرة..حينها أمسك الطبيب من تلايبه يُخبره ب قسوة

-مراتي لو جралها حاجة..هتحصلها..تعمل مُعجزة وتطلعلي صاخ سليم...

لم يستطع الطبيب إخباره أن والده هو المُشرف على جراحة زوجته..ولكنه أوماً عدة مرات ثم توجه إلى غُرفة الجراحة يُتابع ما يحدث ب صمت

أنت نهلة بعد عدة دقائق وهي تبكي بـ عُنْفٍ..قد هاتفها والدها بعدما أحضر
 أحمد زوجة شقيقها والدتها لتأتي من أجله..كانت رحمة عادت إلى العمل بـ
 المشفى لذلك لم تأتي معها بل لم تُرد إخبارها من الأساس..ولكن ها هي الآن
 تقف أمام شقيقها المهزوم وقد بدى وكأنه فقدت عيناه الحياة

ودون تفكير قذفت حقيبتها وجذبتة إليها تضمه وبـ دوره ضمها فـ هو أكثر
 منها حاجةً إلى العناق..ربتت على خُصلاته وهمست بـ تحشج

-هتكون بخير إن شاء الله..إدعي أنت بس

-همس بـ حرارة: يارب..رجعها لي بـ السلامة...

مرت دقائق تلتها أخرى وأخرى حتى فُتح الباب لينهض رائف فجأة وعيناه
 تتلحف خروجها ولكنه لم يجدها بل خرج الطبيب لينزع عنه القناع
 الطبي..لتظهر ملامحه الواجمة وهو يقف أمام ذلك الذئب البشري..ذلك
 الذئب الذي توعد به الهلاك إذا أصابها مكروه..بينما ينظر إليه الأخير بـ

ملاح مُتلهفة..لينزل عليه قول الطبيب ك نزول الصاعقة..أحس ب إنقباض
فؤاده..وأن الحياة أصبحت حالكة السواد..تنفسه لا يعلم أيزداد!..أم
يقل!!..عندما خرجت حروف الطبيب مُتبعثرة

-أنا أسف يا رائف بيه..إحنا عملنا اللي علينا..لكن...

صمت ليقول ب صوتٍ خافضٍ مُرتجف

-الأعمار ب يد الله..ربنا يرحمها..حرم حضرتك ف مكان أحسن دلوقتي...

صمت ثم صمت..ثم صرخة مُتأوه خرجت من فيه..بعدها تجرعت الأذن مرارة
الخبر..تلك الصرخة التي إهتزت الجدران لأجلها..وبكت السماء لمرارتها..ف قد
رحلت رفيقته..رحلت وتركته وحيداً..رحلت إلى مكان لا عدوة فيه..لتركه تائه
وسط حياة لا ترحم..ف قد سُلبت روحه منه..ف أصبح خاوياً مُجوفاً..يتجرع
مرارة الفُقدان وحده!!...

رحل ذلك الخيط الأبيض بـ حياته.. لينقطع ويختفي دون أن يترك له أي أثر يتعلق به.. تبعت والدها وتركته هو وإبنتها وحيدتين كـ جروين صغيرين وسط ذئاب تعوي للفتك بهما.. كانت أمناه ومرساته.. كانت هي النور بعد الظلام ولكنها رحلت.. لم يكن شيئاً دونها ولن يكون بعدها

بعض الأشخاص حينما نفقدهم..نفقد لذة الحياة وتأخذ جزء من روحنا..تاركة إياها يلتهمها الظلام حتى تتحول أرواحنا إلى أخرى تائهة غير قادرة على المقاومة وكأنها ورقة خريفية هشّة تتقاذفها الرياح كما تهوى

الفصل العاشر

ساعتنا في الحب لها أجنحة...

ولها في الفراق مخالب...

"قبل الحادث بـ أربع وعشرين ساعة"

طرق رائف باب الغُرفة قبل أن يدلف ليسمع صوت زهرته تَأذن له بـ
الدلوف..فتح الباب ف وجدها تجلس على الفراش ورأس والدتها ب أحضانها
كما كانت تفعل معه..إبتسم وهمس كي لا يُفِيق والدتها

-تعالى عاوزك...

أومات ب خفة ليخرج هو..وضعت رأس والدتها فوق الوسادة ثم دثرتها وقبّلتها
لتخرج بعدها مُغلقة الباب خلفها

بحثت عنه ف لم تجده ب صالة المنزل ولكنها سمعت صوته يُناديها من داخل
غُرفتها

-أنا ف الأوضة يا زهرة تعالى...

توجهت إلى غُرفتها لتجده يلعب مع الصغير فوق الفراش..لتبتسم ب خفة ثم
إتجهت إليهما تُشاركهم اللعب

إبتسم رائف ما أن وجدها تتفاعل معهم لينحني إلى وجنتها ثم لثمها بـ حب

وهمس

-وحشتيني

-نظرت إليه بـ تعجب وقالت: وحشتك إزاي!..ما إحنا على طول مع بعض...

أخذ اللُعبة من يد صغيره يُطالب بـ إصلاحها ثم تشدق وهو يُعيد تركيب

ذراعها

-بس مش زهرة اللي إتعودت عليها

-مش فاهمة

-تنهد وقال: مش مهم..أنا عاوزك ف حاجة أهم...

إعتدل بـ جلسته على الفراش و إعتدلت هي بـ المثل..أمسك يديها وأردف بـ

جدية

-إمبارح بالليل أحمد حجزلكوا على طيارة طالعة باريس بكرة الصبح

-ضيقت عينينها وقالت: حجزلكوا!..وباريس!..أنا مش فاهمة حاجة

-شدد على يدها وقال: أنتِ ومامتك

-طب وأنتِ؟..مش هتيجي معانا...

تشدقت بها ب نبرة مُرتجفة وعينان تترقب إجابته والتي حتمًا لن تنال على

إعجابها..أبتسم رائف وهو ينظر إلى عينها المترقبتين ثم قال ب هدوء

-حصلكوا يا حبيبتي..بس مش لازم كلنا نروح مع بعض..حتى غيث مش

هيجي معاكوا

-هدرت ب سرعة: أومال هيفضل هنا!؟

-لأ طبعًا أنا هبعثوا مع طارق أخويا لعندكوا..لأن فيه خطر لو سافرنا كلنا

مرة واحدة..أنا مش عاوزهم يعرفوا إحنا سافرنا فين

-تساءلت ب سخرية: وهما مش هيعرفوا يجيبوا إحنا سافرنا فين!..مش سجلات السفر برضو سهل عليهم يجيبوها!!...

نظر إلى صغيره الذي ينظر إليهما ب براءة ف إبتسم إليه وعاد ينظر إلى زوجته ثم أردف

-هما أجبن من إنهم يعملوا خطوة زي دي..لما العين فتحت عليهم بقت مصادرهم مُحددة..دا غير إنهم خايفين يكون ما بينهم جواسيس عشان كدا هما بيتعاملوا ب المسطرة والقلم

-طب وليه منسافرش كلنا مع بعض!!

-رد عليها ب بديهية: أنا عارف إني متراقب..ومش بعيد أنتِ كمان..ف ظهورنا كلنا مع بعض في نسبة خطر كبيرة علينا..عشان كدا هنسافر متفرقين...

أخفضت نظرها وسحبت يدها من يده وحكت جيبتها ثم قالت ب حزن

-أنا مش عارفة هنعيش طبيعي أمتي!

-وضع يده الحرة على وجنتها وتشدق: لما أخلص من الكابوس اللي أجبرتك
ترتبطي بيه...

أمسكت ب يده الموضوعه على وجنتها تتمسك بها ب قوة وأردفت ب نبرة عميقة
-أنا مش عاوزة أخسرك يا رائف

-إبتسم وقال: مش هتخسريني..خليكِ واثقة فيا
-واثقة فيك...

إنحدرت يده إلى عنقها يجذبها إليه ب بَطء لتهمس هي ب إستنكار
-غيث!!

-أدرف ب نبرة ناعسة: لسه مش فاهم حاجة...

وقتل إعتراضها قبل أن يولد ب شفثيه التي تعرف طريقها لحبيبتيه..يُقلبها ب
عُمق أدهشها وكأنه حقًا إشتاقها وهي تُجافيه مُنذ مُدة

إنتفضا على دلوف نهلة الإعصاري هاتفة بـ مرح

-أنا جبت..الأ..كل...

تقطعت حروفها وهي تعي ما يحدث بين شقيقها و زوجته لتُخفض رأسها بـ

خجل وقلب ينبض بـ عُنْف..ليمسح رائف على وجهه ثم هدر من بين أسنانه

-مش تخبطي يا جحشة!

-عضت باطن شفيتها وقالت: أسفة والله..بس أنا نزلت جبت الأكل وجيت

عشان أنادي ليكم

-أشار إليها بـ يده وقال: طب روحي وإحنا جاينين...

تقدمت منه ثم رفعت غيث بين ذراعها وقالت

-طب أنا هاخذ غيوثي بقى عما تيجوا

-إلتوى شذقه بـ تهكم وقال: غيوثك؟!..طب روحي أنتِ وغيوثك يا بيبي...

أومأت ب إبتسامه ورحلت..لينظر رائف إلى زوجته التي أخفضت وجهها خجلاً
من ذلك المشهد البغيض الذي وُضعا به..رفع ذقنها وقال ب إبتسامه

-نهلة إتחסنت

-إبتسمت ب إهتزاز وقالت: مبسوطه أوي عشانها..ربنا يخليكوا لبعض...

مسح ب إبهامه على ذقنها ثم أردف ب نبرة صادقة وهو ينظر إلى بحر

الشيكولاتة ب عينها

-ربنا يخليك أنت ليا..لولاك كان زمان حالي هو الحال..وكنت كرهتها أكثر

-بس أنت كان عندك إستعداد...

إنحني يُقبل ذقنها ثم أردف ب نبرته العذبة

-بس برضو لولاك مكنش الإستعداد دا ظهر...

إبتسمت ب حنو لينهض هو ثم شابك يدها وسحبها هاتفاً ب مرح

-طب يلا نطلع ناكل..أحسن ست نهلة تطب علينا تاني...

في صباح اليوم التالي كانت زهرة تُعانق صغيرها ب حرارة وتبكي..ف هتفت

وسط بُكاءها

-قلبي مش مطاوعني أسيبه...

عانقهما رائف ب شدة ثم أردف وهو يُقبل جبينها

-معلش يا حبيبي..كلها يوم أو اتنين وأبعته مع طارق

-هتفت ب نشيج: هتوحشوني أوي

-وأنتِ أكثر يا حبيبتى..خلي بالك من نفسك ومن والدتك تمام!!...

أومأت ب رأسها ثم أمسكت ب ذراع والدتها وإتجهتا إلى الخارج..وب ذات الوقت

كانت نهلة تقف مع أحمد الذي يضع الحقائق ب السيارة لتسأله

-هما هيقعدوا هناك على طول ولا إيه!

-رفع منكبيه وقال: مش عارف والله..المهم أنتِ كمان إستعدي عشان يومين

أو ثلاثة بـ الكثير وهنحصلهم

-أومات بـ إحباط: أه قالي...

وضعت يديها خلف ظهرها وتلاعبت بـ قدميها بـ حجر..أغلق أحمد حقيبة

السيارة وإتجه إليها تنحنح وتساءل بـ جدية

-مالك!..شكلك مش مبسوط

-رفعت منكبيها بـ فتور وقالت: عادي

-لو فيه حاجة مضيقاكي عرفيني..مش بسوطة ليه!!...

رفعت أنظارها إليه ونظرت بـ عينين تائمتين ثم أردفت بـ حزن

-لما بدأت أتحسن..هبعء عن رائف وعيلتي..مع إني كنت حابة أفضل معاهم
وجنهم..عشان أحس ب نفسي وسطهم...

إبتسم أحمد ب حنو وبقي ينظر إلى ملامحها البريئة والطفولية إلى حد كبير ثم
أردف ب نبرة لطيفة

-كل دا هيجصل ف الوقت المناسب يا نهلة..بس أنتِ خفي وملكيش دعوة ب
الباقي...

إرتسمت إبتسامة على شففيه ليبتسم هو الآخر ثم أكمل ب مرح

-وبعدين هتشوفي ملك كتير لما نسافر

-تساءلت ب دهشة: أنت كمان هتسافر!؟

-أوماً قائلاً: أها..بس هوصل ملك ليك وهرجع على طول...

أكد ب حديثه على كلمة "ليك" وكأنه يُحملها مسؤولية الصغيرة ف رمشت ب
عينها عدة مرات لتتساءل ب تلعثم

-أنت هتسيبها معايا أنا!

-رد عليها ب تأكيد: طبعًا..مش أنتِ أد المسؤولية ولا إيه!

-أجابته ب لهفة: طبعًا..أدها أوي

-وأنا واثق فيك...

أسبلت جفنيها ب خجل فها هو يضع ثقته بها مرةً أُخرى..ولكن مذاق تلك

المرّة مُختلف عن سابقتها..عادت تنظر إليه وهمست ب خفوت

-نسيت أقولك شكرًا على الدكتور..حقيقي هو شاطر

-إلتوى فمه ب إبتسامة وقال: بسطيني إنك بتتحسني...

إبتسمت ب خفة ثم أشاحت ب نظرها بعيدًا عنه..أما هو إتكى على سيارته

وأخذ يتلاعب ب مفاتيحه وهو يتأملها من طرف عينه دون أن تلحظه..ضحك

ب خفة وهو يرى تبادل تعابير وجهها وفقًا مل تراه..وكم كانت لطيفة !

إلتفتت نهلة على صوت أخيها وهو يحضتن طفله و يده الأخرى يطوق
خصرها

-يلا يا أحمد عشان متتأخروش

-طيب..يلا يا مدام زهرة...

أومات ب خوفوت لتلتفت إلى رائف تُقبل وجنته ثم صغيره هامسة

-خلي بالك منه ومنك..لا إله إلا الله

-رد عليها وهو يرد قُبلتها: سيدنا مُحَمَّد رسول الله...

صعدت السيارة وكذلك والدتها بعدما ودعت نهلة..ثم أردفت وهي تنظر إلى

رائف

-متنساش صلاتك يا رائف..هي اللي هتقربنا من بعض وإحنا بعيد

-إبتسم ب دفاء وقال: حاضر يا زهرة..مش هنساها...

"عودة إلى الوقت الحالي"

كانت آخر وصية تتفوه بها ب آخر وداع لهما..أخفى وجهه بين يديه ثم أردف

ب قهر

-معقول ربنا متقلبش تويتي وأخدها مني عقاب على اللي عملته؟!...

ضرب الأرضية الصلبة وخلفه نهلة تضع كلتا يديها على فمها تبكي ب صمت

وقلها يرتعش من هول الموقف..و ضعف أخيها الغير مسبوق..تابعته وهو

يضرب الأرض عدة مرات ثم صرخ ب ألم

-ليه يارب ليه؟!..كانت الحاجة الوحيدة اللي مخلياني عايش..خدني أنا بدالها

ورجعلي..أنا مش هقدر أعيش بعدها...

تقدمت منه نهلة وجثت على رُكبتها تجذبه إلى أحضانها ف تشبث بها وأخذ
يصرخ ب قوة مزقت نياط قلبها..ربتت على خُصلاته ثم همست ب نبرة
مُتحرجة

-هششش..خلاص يا رائف كفاية..إدعيلها ب الرحمة أحسن..بلاش اللي بتعمله
دا...

لم يرد عليها بل بقى يصرخ ب قوة حتى خارت قواه وسكن بين يديها..تنفسه
وعيناه المتسعتان عن أخريهما كانتا الدليلين على أنه لا يزال على قيد الحياة
هي لم تتركه بل تركته يتشبث بها ب قوة حتى أحست أن عظامها ستمشيم بين
ذراعيه ولكنها لم تمنعه..وبقى هو على تلك الحالة تتوافد على عقله ما قاساه
وعاشاه معًا

وعلى الجانب الآخر رفع أحدهم يده وقام ب تصوير ما يحدث ثم هاتف
أحدهم

-أيوة يا جهاد بيه..كله تمام..مرات رائف بيه ماتت وشبعت موت...

أغلق جهاد الهاتف و وضع يده خلف رأسه مُتراجعاً ب جسده إلى الخلف فوق

مقعده يُطلق الصفير ب ظفر

-كدا يا سي رائف هترجع زي الكلب...

طرق أحدهم باب عُرفته ودلف دون أن ينتظر أذنه ب الدلوف..نظر جهاد إلى

ذلك المتطفل لينعقد حاجبيه ب غضب..وظل ينظر إليه وهو يتحرك ب إريحية

ب عُرفته..حتى إستقر عند نُقطة مُعينة..طاولة صغيرة موضوع عليها قطعة

ثياب مُمزقة تخص "نجلاء"..رفع حاجبه ب خبث ثم تشدق

-حلوة!

-صر جهاد على اسنانه ولكنه أردف ب جمود: شئ ميخصكش

-رفع حاجبيه أكثر وأكمل ب عبث: دا إحنا طلعلنا لسان..وبتخبي عليا اللي

هعرفه غصب عنك

-وضع جهاد يده أسفل ذقنه وقال: وطالما هتعرفه بتسأل ليه؟!!

-كنت حابب أختبرك...

تأفف جهاد لينهض ويتجه إلى رُكن خاص ب المشروبات..ليضع ب كأسين

زُجاجين بعض الشراب الكحولي ليُعطي أحدهم إلى "زوج والدته"والآخر له

ثم سأله ب جفاء

-جاي ليه!

-إرتشف من كأسه ثم أردف ب عبث: جاي أطمئن على ابن مراتي..الحق عليا

يعني؟!!

-أغمض جهاد عينيه وقال ب نفاذ صبر: عاوز إيه رحيم!

-عملت ايه فرائف!...

وضع جهاد كأسه على المكتب ثم أدرف وهو يتكى عليه ب ظهره

-لسه جايلي تليفون إن مراته ماتت

-متأكد من اللي بتعمله!

-أجابه ب جمود: ملكش دعوة..أنت عاوز نتيجة..وأنا هفرجك على النتيجة

-أوما ب رأسه وقال: ماشي..أما نشوف..سلام يا بن الغالية...

ب لحظة إندفع إليه جهاد يقبض عليه من تلايبه وحرکه ب شراسة هادرًا ب

عنف

-متجيش سيرة أمي على لسانك النجس دا..ولا تحب أكمل على اللي باقي من

وشك!...

إبتسم رحيم ب شدة ثم تشدق وهو يربت على منكبه ب خفة

-مش كدا يا بطل..أنا بس بفكرك بيها لتكون نسيته

-نفض جهاد يده عنه وهدر: بره يا **..ومتعتبش هنا وإلا هكسر رجلك...

إبتسم رحيم ب إستهجان قبل أن يقترب منه ويهمس ب خُبث جعل جهاد

ملامحه تنكمش ب غضب وحقد يزداد ب مرور الزمن

-متفكرش تعمل عليا راجل يا جهاد عشان أنت مش أدي..أنا اللي قهرت

طفولتك وقادر أقهر شبابك..مهما حاولت تبان قوي ف أنت أضعف واحد

ممکن تتخليه..ومهما وصلت من قوة ف أنا اقوى منك...

ثم تركه ورحل..ليضرب جهاد المقعد القريب من ب قدمه..إنتظر عدة دقائق

يستعيد أنفاسه المسلوبة ثم خرج من الغرفة صافقًا الباب خلفه ب عنف

كانت جالسة على الفراش تضم ساقها إلى صدرها تبكي رثاءً لحالها وإلى ما

آلت إليه نفسها..كانت قبل شابة ب مُقتبل الحياة..مُبتسمة الثغر تتأمل خيرًا ب

الغد..والغد خذلها ب قوة ليلقي بها ب هوة عميقة لا قاع بها ولا سطح تستطيع
النفاز منه

إنكمشت أكثر وهي ترى الباب يُفتح ب عنف ف أغلقت عينيها خوفًا من قوة
صفق الباب وقد علمت من هو الضيف

جذبت الملاءة سريعًا إليها ليبتسم ب تهكم وهو يجلس على طرف الفراش ثم
أردف ب لأمبالاة

-متخافيش..أنا قولت مش هقربك وأنا عند وعدي...

لم ترد عليه بل إنكمشت أكثر على نفسها..تنهد جهاد ب حرارة ثم نظر إلى
الطعام الموضوع أعلى طاولة بجوار الفراش..ليقول وهو يُشير ب رأسه إلى
الطعام

-مكلتيش ليه؟

-رددت ب إهتزاز: م..مليش..نف..نفس

-لأ لازم تاكلي..عشان شغلك قرب...

إرتعدت مما قاله وتساقطت عبراتها ب غزارة أكبر..ليجذب هو الطعام ويضع

الملعقة ب حصن الأرز ثم رفعه إلى مستوى فهما وأردف ب صرامة

-إفتحي بوقك...

ضمته أكثر وأشاحت ب رأسها بعيداً عنه..لتصرخ بعدها ب لحظة إذ ألقى

الملعقة ب الصحن وأمسكها من فروة رأسها يُديرها إليه ليهدر ب شراسة

أفزعتها

-بصي بقي..أنا مش ناقص نكد وعند..هتسمعي الكلام ولا أستخدم أسلوب

تاني!

-أجابته وهي تُحرك رأسها ب هستيرية: ح..حاضر...

دفع رأسها لتتراجع إلى الخلف لتعود تجلس مرةً أخرى..وبكت ب صمت..صرخ

بها

-بطلّي زفت على عينك...

مسحت وجهها سريعًا وأجبرت نفسها على إبتلاع عبراتها وألمها..ليعود هو
ويضع الملعقة ب الصحن ويرفعه إلى فيها..إزدردت ريقها ب خوف ثم فتحت
فمها ب تردد ليدس الطعام به..بقيا هكذا حتى إنتهى ليقول بعدها وهو يضع
الطعام إلى مكانه الأول

-شوفتي لما تسمعي الكلام..هنتفادي حاجات كثير...

إلتفت إليها ليجدها تُخفض رأسها إلى أسفل..مدّ يده يُزيح خُصلاته عن
وجهها ف أجفلت..ليردف ب هدوء

-هششش..متتحركيش...

توقفت عن التنفس ليُكمل عمله ب إبعاد خُصلاتها عنهن..ليتشدق بعدها ب
جدية

-خليك جاهزة عشان ف أي وقت ممكن أحتاجك..رغم إني بحاول أخلي أي حد مكانك..لأنني مش عاوز حد غيري يلمسك...

أغمضت جفنيها ب شدة تعتصرهما تُجبر نفسها على التحمل وعدم التقيؤ الآن..ف أكمل حديثه وإبهامه يدور على وجنتها المتوردة من بُكاءها
-كنت محتاج أشوفك..أنتِ شكلك بقيتي هوس...

رفع ساقيه عن الأرض ليقترب منها ويجلس أمامها..ضمت يديها إلى صدرها وإهتز بدنها ب قوة جعلته يُبعد يده عنها هامسًا
-أنتِ ليه خايفة مني كدا!..أنا مش وحش..بُصيلي...

شدت على جفنيها أكثر وضمت يديها ب قوة..ف إنتفضت على صوته الذي
إخترقها

-بقولك بُصيلي...

فتحت عينها سريعًا إتقاءً لما قد يحدث ليُكمل ب خوفوت وكأن شيئًا لم يكن

-وشي مش متشوه زيه..هو اللي ضربته وهو اللي بقى مشوه

-همست ب عدم تصديق ونبرة مُرتجفة: أنت مريض نفسي

-إبتسم ب سُخرية وقال: كلنا مرضى نفسيين..وكلنا ضحايا لمُجتمع ميؤمّنش إن

الضحية من كتر القهر والظلم بيتحول لشیطان..الغلط مش على

الجاني..الغلط على اللي سايبين الجاني من غير عقاب...

ملس على وجنتها ثم ضحك وقال ب مرح

- إيه اللي بقوله دا!!..يظهر تقلت ف الشرب..مع إني مشربتش غير كاس واحد...

جذب يدها على حين غُرة لتصرخ ب خوف..كمم فمها وقال ب تحذير

-أسكتي..مش عاوز أسمع صوتك...

تمدد على الفراش وجذبها معه..كان ظهرها مواجه لصدره ليُعانقها واضعًا

أنفه ب عنقها..لترتجف هي ب شدة واضعة يدها على فمها كي لا تبكي ف

يغضب..سمعتة يقول ب نبرة ناعسة

-مش هعملك حاجة..أنا محتاج أنام بس...

-رائف عامل إيه!...

أجابته رحمة وهي تضع عقار طبي ب المحلول المغذي

-دخل ف حالة صدمة..وهو نايم دلوقتي

-ربت مُحي على خُصلاته وأردف ب تعاطف: حاجة صعبة..كان متعلق بيها

أوي..إزاي فجأة كدا يخسرها؟

-قَبَلت جبين إبنها وقالت: حسبي الله ونعم الوكيل فيهم..كانوا خلاص

مسافرين...

جلس مُحي فوق الأريكة ب أحد أركان الغُرفة وتبعته رحمة ليقول وقد بدت

عليه الحيرة

-اللي مجنني..هما عرفوا منين؟!

-جايز قال لحد

-حرك مُحي رأسه نافيًا وأكمل: مُستحيل..رائف عارف خطورة الموضوع...

نظرت إليه رحمة نظرة ذات مغزى لينفي تلك النظرة وهو يقول بـ قوة

-لأ يا رحمة..مش أحمد..أحمد عمره ما يعمل كدا..أنتِ ناسية إنه كمان

هيتأذي منهم!

-ما يمكن عمل كدا عشان يضمن أذاهم بعيد عنه

-تشدق مُحي بـ صرامة وتحذير: رحمة!!..الموضوع دا منتكلمش فيه أحمد مش

عيل عشان يعمل كدا..وأنا واثق مليون ف المية إنه مش هو...

عقدت حاجبها بـ تفكير ثم أردفت وهي تنظر إلى رائف النائم

-قصدك فيه حد

-دون أن يسمح لها ب الإكمال: أيوة..وهعرفه قريب...

بعدهما إنتهى من دفن زوجته إتجه إلى المنزل الخاص ب عائلتها ليتلقى واجب العزاء..مُنذ خمسة أيام كام يستقبل عزاء والدها والآن هو يقف ب عزاءها هي فكرة خسارتها وبُعداها القصري عنه تجعله يظن أن كل ما يحدث هو مجرد عرض مسرحي سخييف سينسدل الستار وتُعلن نهاية المشهد وتستيقظ هي ليأخذها ب أحضانه

قبض على كفيه المضمومتين أمامه ب قوة..وعيناه تحتقن ب قسوة وغضب..يرتدي حلة سوداء حالكة السواد ك عينيه المُظلمتين..كان جسده يرتعد ب غضب إستشعره شقيقه طارق..ليُمسك ذراعه هامسًا

-إطلع ريح أنت يا رائف..أنا وبابا هناخد مكانك

-رد عليه ب قسوة: دا عزا مراتي..أنا اللي هاخده ومحدثش غيري...

كان طارق يتوقع إنهيار أخيه ولكنه تفاجئ ب صلابة و قسوة تلبسته فجأة..ليس قويًا ولن يكون بعدها..هو فقط ما يُحركه فكرة الإنتقام..أن ينتقم لها هو ما يجعله حي يتنفس..لن يلومه ف زوجته الراحلة كانت ك حبل النجاة ب النسبةِ إلى رائف..وها هو الحبل إنقطع تاركًا إياه يسقط دون أن يجد ما يتمسك به للنجاة

تهد وصمت لينظر إلى الجمع الكبير من الناس..قاطني الحي وجيرانها..والأخرون من الطبقة المخملية..ورائف ب المنتصف يقف دون أن ينظر لأحدهم..عيناه لا تريان سوى دماء زوجته ونيران الإنتقام

-البقاء لله يا رائف باشا...

رفع رائف بصره الجامد إلى ذلك الأربعيني الذي يقف أمامه يمد يده ومنتظر مُصافحته..كانت عيناه سوداوين ك ظلام الفضاء تنظر إليه ب شئ من

الإنتصار والشماتة.. ف أخفض نظره إلى يده السمراء الممدودة
للمصافحة.. ليرفع يده ويصافحه هادراً ب جمود

-ونعم بالله

-عرف الأربعيني عن نفسه: أنا جهاد الطليبي...

الفصل الحادي عشر

ولقد لقيتُ الحادثاتِ فما جرى.. دمعي كما أجراه يومُ فراق

وَعَرَفْتُ أَيَّامَ السرور فلم أجد.. كرجوعِ مُشتاقٍ إلى مُشتاقٍ.

هبط أحمد الدرج بعدما سلم صغيرته ب اليد إلى نهلة.. كان ب ساقه عرج
طفيف إثر الحادث الذي تعرض إليه معهما.. مسد على ذراعه المُجبرة ب ألم

ثم أكمل الهبوط ب حنق..من فعل ذلك كان يستهدف زوجة رائف
الأسيوطي..تذكر ذلك اليوم وهو يُحاول تفادي الحادثة

"عودة إلى وقتٍ سابق"

كان يتحدث مع إسراء عما ستفعلانه ما أن تطئ قدمها هي و والدها أرض
فرنسا ب إهتمام و جدية

-بصي يا مدام زهرة..أول لما تنزلي من الطائرة وتخلصي الإجراءات..هتلاقي ف
صالة الإستقبال بنت و معاها إثنين حُراس..هخليك تشوفي شكلهم دلوقتي...

أخرج هاتفه وفتح معرض الصور ليظهر لها صورة تجمع الثلاث أشخاص ثم
أكمل

-البنت هتوصلك لبيت والحراس دول هيفضلوا قدامه..أي حاجة تُطلبها هما
هينفذوها..رائف محذر من خروجك برة البيت لوحدك

-زفرت ب قنوط وقالت: رائف خواف أوي..أنا ف بلد تانية

-أردف أحمد ب نبرة خافتة: إسأليني أنا..كنت شغال معاهم وعارف هما ممكن
يوصلوا لإيه..متستخفيش بيهم يا مدام

-ربنا يعديها على خير

-أمن على حديثها: يارب...

إلتفتت إسراء إلى والدتها تطمأن عليها لتجدها صامتة تنظر من النافذة تُتابع
الطريق ب إهمال..لم تكن تعلم أنها تُحب والدها لتلك الدرجة ف هما كانا
دائمي التشاجر

لفت أنظارها تلك السيارة المُسرعة التي تتجه إليهما..وقبل أن تُحذر أحمد
كانت قد إصطدمت بهم ب الخلف

إصطدم رأسها ب مسند المقعد بعدما تشبثت به..ثم نظرت إلى والدتها التي
تأوهت ب ألم إثر إصطدامها ب النافذة..إلتفتت سريعًا إلى أحمد الذي كانت
رأسه تنزف ب شدة وهو يسب ويلعن..كُشف أمرهم..صرخت ب جزع

-إيه اللي بيحصل؟!...

جار أحمد ب صُراخ حاد وهو يتلقى الصدمة الثانية ليأمر كلاتيهما ب صرامة

-وطي راسك يا زهرة بسرعة..وأنتِ كمان يا ست صفاء...

إمتثلا لما أمرهما به..ولكن تلك المناورة لم تتوقف عند ذلك الحد بل تطور

الأمر إلى إستخدام الأسلحة لتكون أول إصابة ب إطار السيارة وب ظل السرعة

التي كان يقود بها حتى يتفادى السيارة..أدى إلى إنقلاب السيارة بهم

جميعًا..حتى توقفت بعد عدة ثوان

دقائق مرت ب سكون حاد حتى إستعاد أحمد وعيه ليجد نفسه عالق ب

السيارة هو زوجة رائف و والدتها..نظر حوله ب الطريق الخالي حتى من

السيارة التي كانت تُطاردهم قبل أن يستعيد أنفاسه ويخرج من السيارة

ليعاونهما على الخروج وهما فاقدتين الوعي تمامًا

بعدها هاتف الإسعاف ثم رائف يُخبره بما حدث

"عودة إلى الوقت الحالي"

ومسح على وجهه صعودًا إلى جهته المضمدة ليتجه إلى سُرداق العزاء

توقف ب أنفاسٍ مقطوعة وعينين مُتسعيتين وهو يرى هوية المُتحدث مع

رائف..وبلا أدنى تفكير توجه إليهما مُسرعًا يُمسك ب تلايبب جهاد هادرًا ب

صوتٍ جهوري إسترعى إنتباه الجميع

-قتلتوا مراتي وجيتوا تخلصوا على مراته..مش هتنضفوا بقى يا ***...

ثوان لينجلي الجمود عن رائف لتشتعل عيناه ك جمرتين مُشتعلتين من

النيران الحارقة وهو يستوعب ما يتفوه به أحمد

وعلى الجانب الآخر إبتسم جهاد ب إستفزاز ثم أردف وهو يُحاول إزاحة يد

أحمد عنه

-عيب كدا يا أستاذ..أنا جاي أعزي ف حرم رائف باشا الأسيوطي

-هزه أحمد ب قوة وهدر: أنا مش هسيبكوا...

إتسعت عينا جهاد وهو يتلقى تلك اللكمة التي أطاحت به أرضاً..ثم رائف
يفقد وقاره و هدوءه وينهال عليه ب الضرب والسباب ب أقذع
الشتائم..لينتفض جميع الحضور وهم يروا ذلك العرض المثير

حاول طارق و والده فض الإشتباك بل الحقيقة هجوم رائف على جهاد
الضاري حتى تمكنا ب شق الأنفس..أشار رائف ب تحذير ب يده وقال

-نهايتك على إيدي..هخليك تندم ع اليوم اللي فكرت فيه تلعب مع رائف
الأسيوطي..هخليك تبكي بدل الدموع دم على اللي عملته ف مراتي...

نهض جهاد ونفض ثيابه ثم أردف وهو يمسح الدماء عن فمه المُلطخ ب ذرات
الأترية

-أنا مقدر اللي أنت فيه يا رائف باشا..عشان كدا هعذرك ومش هعمل
حاجة..البقاء لله...

ثم إستدار على عقبه راحلاً وإبتسامته الشامتة تكاد تشق وجهه

كانت تنظر من نافذة تلك الغرفة..سجنها القسري الذي حُبست به رُغمًا عن
 أنفها..تهتدت ب حزن وعينها لا تتوقفان عن البُكاء جاذبة الملاءة المتلحفة بها
 أكثر على جسدها عليها تُخفي عري جسدها..ولكن ماذا عن عري روحها!..عن
 ألمها النازف ب شدة!..عن حق عيشها ب الحياة!..عن الأمانة التي وُضعت ب
 عُنقها!..أجهشت ب بُكاء وهي تُتمتم

-والله تعبت أوي يا ربنا..أنا عارفة إنك هتفرج عليا كربي..بس أمتي!..أنا مش
 عارفة هفضل مستحمة أد إيه!...

مسحت عبراتها وهمست ب قسوة

-لازم أكون قوية عشان أقدر أهرب من المكان دا..لازم أعرف أنا هعمل
 إيه!..يارب قويني...

ثوان و سمعت صوت القفل يُفتح والباب يُدفع ب خفة.. إنتفضت واقفة تضم
الملاءة على جسدها المنكمش ب خوف وإشمئزاز من لمسات حقيرة سيتنعم هو
بها.. ويحرق جسدها بها

ولكنها حدقت ب صدمة من ذلك الشخص الغريب الذي يدلف إليها ومعه
تلك الفتاة الشقراء.. أغلق الباب خلفهما وحدق بها ب جرأة ووقاحة رادفًا
-أنتِ بقي الوجه الجديد!!...-

إزدردت ريقها ب خوف وهي تتضرع ب الدعاء.. ليقترب هو منها ويدور
حولها.. توقفت أنفاسها وهو يهمس ب جانب أذنها
-دائمًا بيعجبني ذوق جهاد.. فيك حاجة غريبة لأ وجديدة...-

ملس على جانب وجهها ثم عنقها لتُبعد يده عنها ب إشمئزاز ب قوة ليُقهقه
قائلًا

-لأ وشرسة كمان...-

جلس على المقعد المُقابل لها ثم أشار إلى الفتاة لتجلس على قدمه ب وقاحة
وأردف ب هدوء

-أنتِ بقي اللي مخبيك عني!..خايف عليك مش كدا!..خايف مني...

عضت نجلاء على شفاها السفلى ولم تتحدث بل قبضت أكثر على الملاءة
وإستمعت إلى حديثه الوقح

-ما تسيبي الملاية دي..عاوز أشوف الجمال الشعبي..طول عمري بي جذبني
الجمال دا...

وأيضًا لم ترد عليه..ليُحيط خصر الفتاة يُقرها منه ثم أردف

-مش ناوية تُردي عليا!!...

نظرت إليه ب إزدراء وأشاحت ب وجهها بعيدًا عنه..ليدفع الفتاة ثم يتجه
إليها..أدار رأسها إليه وهو يقبض على فكها ب قوة لينطلق منها أنين مُتألم ثم
هدر هو ب شراسة

-مش من عادتي أكون هادي كدا مع حد..بس أنتِ تُخصي الغالي وأنا مش
عاوز أوريك مين هو رحيم..فردني عليا كويس يا شاطرة...

دفعها ب خفة ثم عاد إلى مقعده يضع ساق على أخرى والفتاة تقف خلفه و
تقوم ب تمسيد كتفيه ليقول ب إسترخاء

-عاوز أعرف سبب إهتمامه بيك!

-أجابته ب تحشرج وألم: م. معرفش

-ضرب ذراع المقعد وهدر: قولت إيه أنا؟

-صرخت ب قهر: والله ما أعرف...

عاد يسترخي ب جلسته لتعود الفتاة وتُكمل عملها ليردف

-هو قال عنده ليك مهمة..تعرفي إيه؟!...

حركت رأسها نافية..لبيتسم ب خُبث ثم تشدق ب نبرته الثقيلة

-أنا عارف إنك تحت رحمته دلوقتي..وإنك إتأذيتي منه ومش عايز أوضح
إزاي...

أحست ب رجفة قاتلة تسري ب جسدها بدءًا من عمودها الفقري حتى أصابع
قدميها..ليُكمل ب خُبث

-أنا هطلب طلب صغير وليه مُقابل كبير...

لم يبدُ عليها الإهتمام بل كل ما خرج منها إبتسامة مُتهكمة وهي تستنبط
المُقابل الكبير الذي يتحدث عنه..أما تجاهل سُخريتها ليُكمل عرضه

-هتوصليلي أخبار جهاد كلها..الصغيرة والكبيرة مع البنت الأمور دي
والمُقابل...

صمت وكأنه يُثير فضولها وب الفعل نجح في ذلك لينهض ويتجه إليها هامسًا
أمام وجهها ب طريقة أثارت إمشئزها

-الحُرية...

ثم إبتعد عنها..لم تفهم ما يعني لتسأله ب خفوت يأمل الحُرية التي تطلبها

-حُرية بأي مفهوم!!

-ضحك وقال: مش اللي ف دماغك..أنا قصدي تبدأي شُغل ف الشوارع زي

"المومس" كدا..يعني تشوفي الشارع بدل الحبسة دي...

رأى معالم وجهها تتوالى عليها المشاعر..بدءًا من الحزن والكره..حتى الحقد

والقسوة ليردف وهو يُمسك يد الشقراء ويتجه إلى الخارج

-الحُرية اللي ف دماغك من المكان دا يا إما تكوني سلمتي ب الأمر الواقع

وتشتغلي عشان حابة اللي بتعمليه..أو الموت...

سقطت على الأرض الباردة وهي تستمع إلى صوت القفل يُعاد غلقه لتجهش

ب بُكاء مريّر تُخفي وجهها خلف يديها تصرخ ب قهر وهي تُعاني من الظلم

والقسوة التي تتلاقها من أهل وطنها ومن المفترض أنهم "حاميتها" ضد أي

ظلم تتعرض له ولكن هل يزرع الله النخوة ب القلوب بعدما أُجتثت أصول
دينها وأخلاقها!..حتى مبادئ النخوة تم ركلها بعيداً

صعد رائف إلى منزل زوجته ب الحي الشعبي دون أن يكتمل العزاء..غير سامحاً
لأحد غير شقيقته ب المكوث معه

توجه إلى عُرفتها ليجد صغيره يبكي..رفعه إلى صدره وأخذ يربت على صدره
يُهدأه..ليُقبل جبينه هامساً ب ألم

-وأنا كمان وحشاني ماما أوي يا غيث..الدنيا ضلّمت معايا بعدها..بُعدا عني
مخليني ناقصني حاجات لأ مش ناقص..أنا إنتهيت...

أبعد الصغير يُزيل عبارته ب إبهاميه ثم أردف

-أنا هتوه من غيرها يا غيث...

ربت على ظهر الصغير و سار به الغُرفة ذهابًا وإيابًا حتى غفى..وضعه ب الفراش ب رفق ثم نزع سترته وقميصه حلّ أزراره وتركه مفتوحًا

فحص الغُرفة لأول مرة ب تدقيق رائحتها تعبق بها..ضحكتها تملأ أُذنيه..تلك الضحكة الذي كان السبب ب إنحسارها عن شفيتها..أخبرته أكثر من مرة عشقها لتلك الغُرفة التي مُلئت ب أحاديثها هي وجدها

توجه إلى مكتب قديم وُضع أسفل نافذة تطل على الحي..ليبدأ ب تفحص محتوياته..كانت عبارة عن العديد من الكُتب العلمية..لتخصصات الطب والعلوم والهندسة والعلوم الإسلامية..إبتسم وهو يجد ب كل صفحة المقطع المُفضل ب النسبة لها

هبطت عبرة وحيدة على وجنته اليُسرى وهو يُردد آخر مقطع ب تهديج

"دي ليلة حب حلوة..ب ألف ليلة وليلة"...

جلس على المقعد واضعًا يده على جفنيه يفركهما ب ألم هامسًا ب ضعف

-ليه سبتيني وروحتي!..ليه سبتيني أرجع وحيد؟!..ليه سبتيني من ثاني ليه!!...

وضع جبهته على حافة المكتب وأكمل

-مش قولتيلي إنك هتفضلي معايا لنهاية..ليه خلفتي ب وعدك يا زهرتي؟!..ليه

مسبتيش وراك غير شوك?...

وأجهش بعدها ب بُكاء إختزنه ب الأمس حتى إستعاد وعيه وهو يتذكر آخر ما

تفوهت به

-متنساش صلاتك يا رائف..صلاتك هي اللي هتقربنا من بعض...

نهض ب قلبٍ ملكوم لیتجه خارج الغُرفة..ليتوضاً ثم أدى فريضته جالساً على

الأرض عدة دقائق ونهض بعدها

إتجه إلى صغيره النائم ب هدوء ملائكي أسر قلبه ليحتضنه واضعاً أنفه ب

عُنقه هامساً ب ألم

-معلش هنام من غير ماما...

وضع مفاتيحه ب الباب الخشي ثم فتحه ودلف إلى المنزل القديم الذي لم يره
 مُنذ فترةً طويلة..تجعدت أنفه ب إشمئزاز وذكريات ذبح طفولته مرارًا و تكرارًا
 تعود وتُداهمه ليضع يده حول رأسه هامسًا ب قسوة

-بس..خلاص كل دا ماضي..أنت أقوى يا جهاد..بقيت أقوى...

سمع صوتًا من الداخل يردف

-أنت جيت يا جهاد!!!...

بقى جهاد واقفًا ب مكانه حتى سمع صوت باب الغُرفة يُفتح وتطل منه سيدة
 قد تمكن العُمر منها..ب الكاد تسير على قدميها ب مُساعدة عصاه تتكئ عليها
 وعينين غائرتين سوداوين ك عينيه

تقدم منها سريعًا وهو يجدها تبتسم قائلة

-حبيبي..واقف عندك ليه؟!...

قبّل جهاد يدها وإتجه بها إلى الأريكة ثم أردف به هدوء

-معلش أعذريني يا حبيبتي..أنتِ عارفة إني مبجيش هنا غير عشانك

-ربتت على يده وقالت به أسي: عارفة إنه صعب يا ابني..بس دا من ريحة أبوك

مينفعش أتخلى عنه

-عارف..عارف...

نظرت إليه به عينها لتشهق قائلة به صوتها المبحوح

-إيه اللي حصلك يا جهادا!..مالك متشلفط كدا ليه؟...

تذكر جهاد هجوم رائف الضاري ليقول به وجوم

-شوية عيال كدا شاربين طلعاوا عليا وكانوا عاوزين يقلبوني

-إرتفع حاجبها به دهشة وقالت: وبعدين؟!

-ضحك وقال: قلبوني وضربوني كمان...

ضحكت والدته ثم ضربت منكبه قائلة وهي تُعاتبه بـ لُطف

-يعني دا وقت هزارا!..شايف منظرِك يا جهاد؟!

-محصلش حاجة يا ست الكل..المهم إتعشيتي؟

-أجابته نافية: لأ مستنياك...

نهض جهاد عن الأريكة ثم أردف بـ عتاب وهو يتجه إلى المطبخ

-طب يعني ينفع تتأخري كدا ودواكِ تتأخري عليه!...

ذهب إلى المطبخ وعاد بـ الطعام الذي أعدته الخادمة التي أحضرها جهاد

لمُساعدة والدته العجوز..تناولا الطعام بـ صمت حتى قطعته والدته مُتسائلة

بـ تردد

-أنت لسه بتشوفه؟!...

تجمدت يده جهاد على الملعقة ب جمود وعينين تشعان كره ونظرة مُميتة
ولكنه حاول التحكم ب إنفعالاته وأردف ب جفاء

-وشوف وشه بتاع إيه..ياكش يولع ب**جاز ينهش لحمه وعضمه ويريحنا منه

-خلاص خلاص يا جهاد..مكش سؤال

-نهض جهاد ب حدة وتشدق: أوعي تكوني لسه بتدافعي عنه!..أوعي تكوني لسه
بتحبيه بعد اللي عمله فيا وفيك..بعد أما قتل أبويا قدام عيني وأجبرك على
الجواز منه

-هدرت والدته بما يسمح لها صوتها: حُب إيه وزفت إيه؟!..لو كنت أعرف إنه
اللي قتل أبوك مكنتش بصيت ف وشه أصلاً..كنت قطعت لحمه ب إيديا..أنت
مش عارف أنا حاسة ب الذنب ناحيتك أنت بالذات إزاي...

إلتوى فمه ب تهكم وهي تعتقد أن ما ناله منه لم يكن سوى بضع جلدات ب
حزامه تركت أثرها حتى الآن..أو حتى تعنيفه ب السباب وإرساله إلى العمل

لإحضار المال من أجله..بل يتعدى الأمر ذلك..ذبح براءته..طفولته..حقه بـ

الحياة كباقي الأطفال

أردف بـ نبرة جامدة وهو يتحرك إلى غرفته

-متشيليش نفسك ذنب أنتِ أصلاً مش أده..اللي حصل حصل واللي فات

مش هيرجع..أنا داخل أناام..متنسيش دواكِ...

صفق الباب بـ قوة خلفه تاركًا والدته تُحدق بـ إثره بـ حُزن

وضعت الطعام على الطاولة ثم إتجهت إلى المطبخ لكي تُنهي إعداد

الشاي..مُنذ الصباح ووالدتها و والدها لم يكُفا عن الإتصال بعدما إنتقل

العزاء إلى قصر العائلة لِيُزيح والده الجمل عن كتف ولده ف تأخرت هي بـ

إعداد فطور بسيط بـ معاونة بعض الإرشادات من شبكة الإنترنت حتى إنتهت

وضعت الكؤوس و أفرغت الشاي الساخن بهما ثم إتجهت إلى الغُرفة..طرقت

الباب ب رفق عدة مرات ثم دلفت

وجدت رائف لا يزال نائمًا وغيث مُستيقظ يُحرك يديه وكأنه يلعب..إبتسمت

نهلة وهي تتقدم منه ثم حملت الصغير وهمست ب حنو

-صباح الخير يا قلب عمتو..جعان!...

أخرج الصغير صوت زقزقة رقيقة جعلته تُقبل وجنته ب قوة قائلة ب همس

حتى لا يستيقظ رائف

-طب تعالا أفطرك الأول وبعدين نصحي بابي...

سمعت صوت رائف الأجدش وهو ينهض ماسحًا وجهه

-أنا صحيت

-إبتسمت نهلة قائلة: صباح الخير...

أوماً برأسه..ليجلس على الفراش يُحدق بالأرض لتتنحج نهلة قائلة برقة

-مش هتفطر!

-بجمود أجاها: مليش نفس

-عبست وقالت: مينفعش يا رائف..أنت مكلتش حاجة من إمبراح...

نهض رائف عن الفراش لينزع قميصه ف أجفلت نهلة وإستدارت تحتضن

الصغير إلى صدرها لتسمعه يقول

-مش هاكل يا نهلة..أكلي غيث وملكيش دعوة بيا

-تشدقت بتوتر: آآ أنا..أنا هنا أخذ بالي..م..منك ومن غيث

-تحرك بجوارها وتشدق: أنت هنا عشان غيث..وبلاش تتكلي معايا كثير يا

نهلة عشان دا غلط عليك وأنا مش عاوزك تزعلي مني...

تركها وخرج من العُرفة..رفت ب جفنيها عدة مرات وهي ترى تحوله
السريع..مُنذ يومين كان يُعاملها ب حنو و دفاء لم تشعر به قبلاً..أما
الآن!..نفس القسوة والجفاء اللذان خافت منهما ب أول لقاء

ضمت الصغير إليها أكثر تُقبل رأسها هامسة

-هو بابا حصله إيه!!!...

وضع المنشفة حول عنقه ثم رفع الهاتف يُجيب على أحدهم

-أيوة..عملت اللي قولتلك عليه؟

-أتاه الرد: أيوة يا باشا..دبة النملة هعرفها عنه إن شاء الله

-كويس خليك بقى وراه لحد أما أشوف آخرتها معاهم...

قذف المنشفة ب إهمال على الأريكة وجلس بجوارها ثم أردف ب جدية

-والرجالة اللي قولت عليهم!

-رد عليه الآخر: ساعة زمن ويكونوا عندك يا باشا..عنهم هتكون على الباشا

الصغير والهانم الكبيرة

-تمام...

قالها رائف ب عدم إهتمام وأغلق الهاتف ثم قذفه على الطاولة..رفع فنجان

قهوته الذي أعدته شقيقته وتناوله ب شرود..حتى أنهاه وإتجه إلى عُرفته

أما نهلة إتجهت تفتح باب المنزل وهي تستمع إلى الطرق لتقول ب صوتٍ

متوجس

-مين؟!

-أتاها صوت أحمد: أنا يا نهلة إفتحي...

فتحت نهلة بعدما زفرت ب راحة لتُقابله ب إبتسامة قائلة

-إتفضل يا أحمد أدخل...

إبتسم ب خوفوت ودلف..أشارت إليه ليتجه إلى الأريكة ف جلس عليها واضعًا

أمامه بعض الحقائق البلاستيكية..لتسأله نهلة

-إيه دا؟!-

-أجابها ب هدوء: دي شوية حاجات كدا هتحتاجوها

-إبتسمت ب رقة وقالت: مرسية..تحب تشرب إيه؟-

-أجاب نافيًا: لأ أنا جاي أطمئن على رائف وماشي..هو عامل إيه!...

إكتسى وجهها ب حُزن لُتُرجع خُصلاتها البُنْية خلف أذنها ثم قالت ب نبرة يائسة

-ورجعت ربما لعادتها القديمة

-عقد حاجبيه وقال: مش فاهم

-وضحت له ب نبرة حزينة: موت زهرة أثر عليه جامد

-حك ذقنه وقال: رجع زي الأول يعني...

أومأت ب أسى ليتهد هو ب حرارة..يتأكد أن الوضع قد تأزم ب شدة وأن رائف

ينحدر بسرعة لم يكن يتخيلها إلى تلك الهوة مُجددًا

إستفاق من تفكيره على صوت نهلة تسأله ب تردد

-وأنت عامل إيه!

-رفع منكبه السليم وقال: الحمد لله ماشية..قدامي ثلاث أسابيع وأفك

الجبس..الكدمات دي هتاخذ كام يوم وتروح

-أومأت وقالت: ألف سلامة

-الله يسلمك...

إلتفتا على صوت رائف الذي هدر من خلفهما ب قوة

-خير يا أحمد!..قاعد مع أختي ليه?!

-نهض أحمد وتنحنح قائلاً: أنا جيت أطمئن عليك...

رمقه رائف ب نظرات مُطولة قبل أن يقول ب جمود

-كويس عشان أنا عاوزك أصلاً...

ثم نظر إلى نهلة وهتف ب صرامة

-خشي ل غيث جوة يا نهلة

-لوت شذقها وقالت: طيب...

توجه إلى أحمد وانتظر شقيقته حتى أغلقت الباب خلفها وقبل أن يسأل

صديقه كان قد سبقه

-أنا عارف أنت هتسأل ف إيه..ف أنا هقصر عليك الطرق وأقولك

-حك رائف ذقنه وأردف ب جفاء: ويُستحسن ب التفصيل

-أوماً أحمد وقال: جهاد أعرفه لما إشتغلت..بس مكنش بيظهر كثير لأنه الأيد اليمين ل الفرع اللي هنا..ف ظهوره كثير غلط عشان كدا تعاملي معاه أنا وسوزي كان عن طريق الفون...

صمت يأخذ عدة أنفاس ثم أكمل وهو يُحدق ب ملامح رائف التي لم يزل جمودها بل تحولت إلى معالم صخرية

-ولما إعترفت ب كل اللي أعرفه..إتقبض على ناس كثير..ف إضطر جهاد يشتغل ب نفسه وبقي ظهوره أكثر من الأول ب كثير

-وأنت عرفت كل دا منين؟!

أشار ب يده ب معنى إنتظر وأكمل حديثه وقد تحولن نبرته إلى أخرى قاسية
-كنت بتابع اللي بيحصل هناك من شوية ناس كدا كانوا بيشتغلوا معايا..عشان كدا لما مراتي ماتت عرفت إنها إتقتلت مماتتش..دا غير إني

شوفت جهاد لآخر مرة يوم الدفن من بعيد بس مركزتش أوي فيه..وبعدها

شوفته إمبارح ف العزا ف إفتكرته على طول...

عاد رائف ب جسده إلى الخلف وقال

-حلو..أنا بقى وفاضيله..أما أشوف آخرتها إيه

-ناوي على إيه؟!

-نظر إليه رائف ب قوة وقال: الأول معايا!

-دون تردد وقد فهم ما يرمي إليه: طبعًا معاك..فهمني بقى...

قص عليه رائف ما سيفعلانه ب تدقيق وأن سفر شقيقته وأخيه يجب أن

يتم ب أسرع ما يُكمن حتى يستطيع البدء ب مُخطئه دون خوف..وافقه أحمد

ب كل ما قاله وهو يعي حجم المُخاطرة التي سيوضعان بها ولكن "الثأر" هو ما

يُحركهم

وبعدما إنتهى رائف قال أحمد وهو يربت على ساق صديقه

-هنجيب حقهم يا رائف...

أوما رائف وعينيه تلتهبان ب لهيب أسود من الغضب والتصميم على الثأر

لمقتل زهرته..تنحنح أحمد وقال ب نبرة خافتة

-حيث كدا..أنا عاوز أقولك على حاجة مهمة...

بعد مُضي سبعة أيام تمهل بهم رائف ب التحرك كما أخبره أحمد حتى يسمح

له ب التوجه إلى ذلك المكان

ب مدينة الفيوم الساعة الرابعة فجرًا بعدما أدى رائف صلاته ب المسجد

توجه إلى المرحاض وبدل ثيابه إلى عباءة سوداء و خرج من باب آخر ب

المسجد وسط الزحام حتى يصل إلى وجهته

ترجل من السيارة التي إتخذها ب الطريق من أجب تمويه من يُراقبه..كما
أخبره أحمد مُنذ ثلاثة أيام..وهُنَاك سيارة غريبة تقف أمام منزله وتترصد
جميع تحركاتهم

وها هو يصل إلى وجهته ب شق الأنفس بعد صبر دام سبعة أيام لم يعرف
كيف مروا عليه..صعد تلك البناية ب أحد المناطق الهادئة..حتى وصل إلى
الطابق الأخير

طرق الباب ب طريقة مُحددة لتفتح الباب سيدة ب أواخر عقدها
الخامس..مُقتضبة الوجه صارمة الملامح ف أخذت تُحدق به ثوان قبل أن
تُفسح له المجال ليدلف

أغلقت الباب خلفه لتُشير إلى أحد العُرف قائلة ب صوتها المبحوح

-الدكتور مُحي كان هنا الصبح ومشي من ساعتين

-نظر إليها رائف وقال ب إهتمام: والحالة؟!

-مُستقرة...

أوماً لتلك السيدة..والتي كانت تعمل ك مُمرضة ب مشفى الأسيوطي..ولكنها تركت العمل دون إبداء أسباب..وها هي تعود ويطلبها مُحي من أجل خدمة صغيرة وحين تحدث معه رائف يومًا ما

-أنت واثق ف الست دي!..يعني مش هيجي يوم وتخونا?!!

-أجابه والده: الست دي أنا أنقذت إبنها من الموت مرة وهي شايلة الجميل لحد دلوقتي..إبنها مسافر وهي تفدينا بروحنا متخافش يا رائف..أنا عارف حساسية الموضوع وخطورته عشان كدا مش هجيب أي حد..واللي يعرف بيه أنا وأحمد بس حتى رحمة معندهاش خبر...

فاق من شروده ثم قال وهو يتجه إلى الغُرفة المنشودة

-طيب أنا هدخل شوية

-تشدقت ب صرامة: متأخرش جوه عشان لازم ترجع قبل أما الشمس
تطلع..وتروح على المقابر على طول...

أوما رائف ثم إتجه إلى العُرفة ب تهلف..فتح الباب ب هدوء لیتجه إلى الداخل
وأغلق الباب خلفه

وقف أمام الفراش يُحدق ب تلك المسجية على الفراش بلا حول أو
قوة..فاقدة الوعي بما حولها ب لهفة وحنو كبيرين..تقدم منها حتى أمسك يدها
لتتصاعد ضربات فؤاده ب عنف وكأنه مُراهق

إبتلع ريقه ب صعوبة وعيناه تجد صعوبة ب تصديق ما يراه..جثى على رُكبتيه
ليُقبل وجنتها الباردة ب عمق ثم همس ب تحشرج وعيناه تلتمع ب العبرات
-زهرة!!!.....

الفصل الثاني عشر

الحبّ لا يُقاس بعدد الساعات التي كلّمك فيها بالبطاقات الهاتفية،

بل بالزمن الذي في انتظاره،

كنت تحسب الأشهر والأسابيع والأيام بالساعات،

وحده الوفاء يملك عدداً دقيقاً للوقت،

إنه النخاع الشوكي لذاكرة العشاق...

وقف أمام المرأة يتطلع إلى وجهه المكدوم..زفر ب ضيق وأردف

-إيدك ثقيلة يا أبو نسب...

إنحنى يغسل وجهه ثم جففه وخرج من المرحاض..ف وجد نهلة تضحك غيرُ

قادرة على كبح ضحكاتهما..لولهية تجمد أمام روعة إبتسامتها الصادحة بـ

المنزل..كأنها عادت إلى ذلك اليوم الذي إتعرف به بـ عشقه لها مُنذ

سنوات..والآن ها هو يقف أمام تلك الضحكة مرةً أخرى

إرتسمت إبتسامه دافئة على شفثيه وهو يُطالع نظراتها الشقية التي ترمقه

بها وإبتسامتها الخبيثة ليقول وهو يضع يده السليمة بـ خصره

-أضحك يا ست نهلة..ما أخوك مبيتشطرش إلا على العبد لله

-ضمت شفتيها وقالت ب صوتها المكتوم: ما أنت غلطان الصراحة

-تشدق ب دهشة: غلطان عشان كنت خايف عليه وعلى مراته!..لولا إننا خبينا

عليه..مكنش زمانها لسه عايشة...

أمسكت ب عُلبة الإسعافات الأولية ثم قالت وهي تتجه إلى الأريكة ب مُنتصف

الصالة

-طب تعالا أغيرلك ع الجرح

-أردف ب إمتعاض وهو يتجه إليها: طيب...

جلس ب جانبها لتلتفت إليه تفتح الصندوق وأخرجت من بعض القطن

والمطهر الخاص ب الجروح..تركتهم ثم نزعت الضمادة عن جبهته ذلك الجرح

الناجم عن الحادث وب جانبه جرح سببته قبضة رائف ما أن عَلم ب أن

زوجته على قيد الحياة

كانت تعمل ب تركيز غير واعية لنظرات أحمد إليها..كان هو ينظر إليها ب عمق
يُحي أحداث و لت..خُصلاتها البنية التي كانت تتطير ب وجهه كلما جلس
بجوارها تعقصها الآن على هيئة ذيل حُصان طويل..شفتيها التي كانت تطلها ب
أحمر شفاه قاني يُثير غرائزه..الآن شفتيها زهرية ب لون أسره دون أن
يعي..ثيابها المبتذلة التي كانت ترتديها قبلاً..الآن أصبحت أكثر إحشاماً..شتان
ما بين نهلة التي أحبها آنذاك وبين نهلة التي بدأ قلبه ب إعلان العصيان عليه

تنهد ب حرارة أجفلتها لتراجع مُتساءلة ب توجس

-في حاجة!...

أجفل هو الآخر من تراجعها وهو يعي تلك التنهيدة الحارة التي خرجت من

فِيهِ ليقول ب توتر

-لا م..مفيش حاجة..بس بفكر ف اللي هنعمله

-أومأت ب خفة قائلة: طيب...

لم يكن يعي أنه إستغرق وقتًا طويلاً ب ذكرياته إلا عندما وضعت الضمادة
على جرحه..رف ب جفنيه ب دهشة وأردف

-كدا خلاص؟

-عقدت نهلة حاجبها وقالت ب عدم فهم: أنت كنت عاوزني أفتح الجرح مرة
تانية ولا إيه!

-حك جانب عنقه وقال: لا أبداً..بس أصلك خلصتي بسرعة

-ردت عليه ب بديهية: أنا بس بغيرلك مكان الجرح..مأخذش مني كثير يعني...

لملمت الأشياء لتضع بعضها ب سلة المهملات والآخرى أعادتها إلى صندوق

الإسعافات الأولية..حمحم أحمد وقال

-تعالى نقعد ف البلكونة أظرف

-أوكيه...

توجهها إلى الشُرفة ثم جلسا مُقابلين لبعضهما.. إتكَأت ب مرقفها على الطاولة
الخشبية ثم قالت وهي تنظر إلى الحي

-أخبار ملك إيه!..ليه مش بتجيها هنا؟

-أجابها ب خفوت وهو ينظر إليها: خايف عليها بعد اللي حصل معانا..عشان
كدا سايبها عند حد معرفة بروحها كل شوية..

نظرت إليه بسرعة ترمقه ب حدة جعلته يرتد إلى الخلف ثم أردفت ب عصبية
-والحد دا أنت واثق فيه!

-إبتسم أحمد وقال ب لُطف: متخافيش يا ست نهلة..الحد دا يبقى أخو مراتي
الله يرحمها..ف هي ف أمان...

أومأت ب خيبة أمل ف هي كانت تأمل أن تكون هذا الشخص..تعلقت ب إبنته
كثيرًا وأرادت أن تُمضي الكثير من الوقت معها

إنتفضت على ملمس يده الذي أمسك كفها ف نظرت إليه ب أعين مُتسعة من
الخوف..ليردف هو ب إطمئنان

-إهدي يا نهلة..أنا شايف إنك بتتحسني..حتى أنا وأنتِ ف مكان واحد
ومحصلش إنك خوفتي أو حصل مني أنا حاجة

-توترت قائلة: عش..عشان أنا عارفة..إنك مش هتأذيني

-شد على قبضتها وقال: عمري ما هأذيك يا نهلة..أنا عاوز أعتذرلك

-سألته: على إيه!

-نظر إلى زرقاوتها وقال: على اللي قولته من ثلاث سنين..لما إتقابلنا وعرفت

إنك لسه عايشة..قسيت عليكِ من غير أما أسمعك..ف أنا أسف...

إزدردت ريقها ب توتر ثم قالت وهي تُحاول سحب يدها من بين يديه

-أنا نسيت أصلاً اللي حصل..الفترة دي فعلاً أنا مكنتش واعية ل اللي بيحصل

حوليا

-إبتسم على محاولاتها وقال: ومع ذلك أنا أسف...

أومات ب خفوت دون رد..ولم تتوقف محاولاتها في الفكك من بين قبضته

ولكنها باءت ب الفشل لتقول ب يأس

-ممکن تسيب إيدي..أنا مش مرتاحة

-رفع حاجبيه ثم أخفضهما قائلاً ب مرح: تؤ..أنا عاوزها كدا...

زفرت ب ضيق وقررت الهدوء حتى يتركها هو عندما يمل..ولكنه لم يمل

أبدًا..نظراتها ضد نظراته..ضيقها مُقابل حنانه وشقاوته..خوفها يُبدده نظرة

الدفء ب عينيه وكأنه يعلن أنها تحت كنفه وحمايته..أنها مُستحقاته التي

سيستردها ب الوقت الملائم

زفرت ب حنق لُتُبعد ناظرها عنه أما هو ف حدق بها ب حُرية أكثر..وعادت

خُصلاته تتطاير مع النسيم الهادئ لتلمس أطرافه الناعمة وجهه الخشن ف

تشابك مع لحيته الخفيفة..في يتمرد القلب ويضرب جنبات صدره ب عُنف

مسح على خُصلاتها السوداء عدة مرات وهو يتأكد أنها بين يديه..لم يكن حُلْمًا أو وهمًا وهو يراها مُمدة على الفراش..ب الرغم الأجهزة التي تُبقها على قيد الحياة إلا أنها بعثت به أمل جديد..حبل نجاته لم ينقطع بعد

مال يهمس ب أذنها وهو يُقبل كل إنش حولها

-مش مصدق إنك هنا ف الدنيا..لسه معايا وهتفوقي إن شاء الله قريب..عارفة يا حبيبتي...

إرتفع ب رأسه إليها ونظر إلى عينيها وكأنها تراه ثم أردف

-أنا منستش الصلاة زي ما وصتيني..قولتي هي اللي بتقربنا لبعض..وفعلًا كل ما بصلي وأنام بتجيلي ف المنام..ونقعد نتكلم مع بعض زي زمان...

رفع كفها يُقبله عدة مرات ثم أكمل وعيناه تلمعان ب عبرات يحتبسها قدر

الإمكان

-عشان خاطري متخذلنيش وتسبيني..أنا ممكن أضيع من غيرك..الأمل بس
اللي أحمد رماه بعد أما قالي إنك عايشة كان محسبني إني ف وهم..بس وأنا
شايفك دلوقني خلاني أصدق إنك بتعافري عشان متسبنيش...

هبط يُلثم ثغرها المكتنز ب رقة وهو يُغمض عينيه ف أدت إلى سقوط عبرة من
بين جفنيه فوق جفنها هي..إبتعد وهمس

-بحبك يا زهرة ف بستان مفهوش إلا شكوك...

نهض وكاد أن يخرج إلا أن تلك الممرضة دلفت ثم قالت وهو تمد يدها ب
طبق ملئ ب الماء ومنشفة صغيرة مغمورو به

-حاول ترطب جسمها براحة عشان الجروح اللي فيه

-تناول منها الطبق وقال: طيب..الدكتور مُحي هيجي تاني!

-لأ..هو هيجيلك المقابر..متأخرش الشمس قربت تطلع...

وإستدارت تعود أدراجها ليعود هو إليها..جلس على طرف الفراش ثم أخذ
المنشفة وإعتصرها ب قبضته ليضعها فوق جبينها ب خفة مُتَحَاشِيًا
الجروح..إبتسم وقال

-فاكرة لما مكنتيش بترضي أخذ شاور معاك!..أهو أنا اللي بعملها
دلوقتي..وهذلك بيها لما تفوقتي...

عاد يغمر المنشفة ب الماء ثم إعتصرها وكرر ما فعله مع باقي أجزاء
جسدها..وبعد أن إنتهى مال يُقبل جبينها وقال ب حنو
-مش هتأخر عليك..يومين وهجيلك تاني...

ثم نهض وإتجه إلى الخارج..وجد السيدة تقوم ب أعمال المنزل ليُشير إليها ب
الرحيل ف أومأت له

هبط الدرج ب حرص..ثم نظر حوله ف وجد أن الحركة قليلة إذ لم يستيقظ
الناسُ بعد..أخرج من جيب عباءته نظارة شمسية و وضعها على عينيه

الزرقاوين ليتحرك بعدها مُستقلًا أحد مواصلات النقل العامة

وبعد أن وصل إلى القاهرة..ذهب إلى شقته ب القاهرة ب الخفاء ليصعد إلى
الطابق المُخصص له..دلف إلى الداخل ليجد والدته تُجالس الصغير..تجمد
لحظات ولكنه أَرَدَف ب جمود

-صباح الخير...

نهضت رحمة وهي تحمل الصغير قائلة ب إبتسامة حانية

-صباح النور يا حبيبي..كنت فين من الصباح!

-أجابها ب شيءٍ من التحفظ: كنت بصلي الفجر...

تهللت أساريرها لتتجه إليه تُعطيهِ الصغير الذي أخذ يلوح ب يديه ب الهواء

رغبةً ب الوصول إلى والده..ليتلقفه رائف رادفًا

-متتعيش نفسك..أنا هجيبله حد ياخذ باله منه

-عاتبته رحمة: دا اسمه كلام!..دا حفيدي يا رائف يعني حتة مني زيك

بالظبط..أنت بس لو تسمع الكلام وتيجي البيت

-تشدق هو ب صلابة: مش هينفع..أنا مش هقدر أعتب البيت دا تاني..أنا بس

عاوز أفهم إزاي قدرتي تعيشي مع واحدة أذت ولادك وأذتك معانا!...

إبتسمت رحمة و وضعت يدها على ذراعه التي تحمل صغيره ثم هتفت ب

هدوء

-اللي فات مات..وجدتك طلعت مريضة ف مقدرش أعاتبها ف حاجة زي دي..دا

غصب عنها...

تشنجت عضلاته من لمستها ولكنه لم يُحاول إبعاد يدها عنه ف هو أراد أن

يُختبر إحساس أن يكون قريبًا من والدته كما أخبرته زوجته دائمًا..ولكنه

أردف ب عُنف

-وقبل كدا!

-قبل كدا دي كانت والدة أبوك..و جوزي..أنا أه إتأذيت منها..كلنا إتأذينا
ومحدث قدر يسامحها لكن مكناش نقدر نسيبها كلنا ونديها ضهرنا..يمكن
أنت شايفها واحدة مخربتش غير حياتنا..بس على الأقل يا رائف لما كانت
بتأذيك حاولت تصلح غلطها لما فاقت من غير أما تعرف...

شدت ب قبضتها على ذراعه وأكملت

-إحنا مش ملايكة يا رائف..وأنت مكنتش ملاك..ف مطحتش كل ذنب على
ناس غيرك وأنت اللي برئ وإتظلمت..لأنك زي ما إتظلمت ظلمت..وأولهم زهرة
وبعدين أنا...

إتسعت عيناه ب قسوة وقبل أن يهتف كانت هي سبقتة هاتفة ب قوة

-أيوة..زهرة وقعت ف طريقك صدفة..ولولا إنك عرفتها ف الوقت المناسب كان
زمانها كرهاك دلوقتي..وأنا مكنش ليا إيدك ف اللي حصلك بس أنت مُصمم

تعاقبني..زبي زي أبوك..اللي بيحاول يصلح اللي إتكسر بس أنت مش
بتساعده...

ربتت على ظهر الصغير وقالت ب حنو ناظرة إلى عينيه التي تُطالعها ب جمود
-عشان خاطر إبنك إتغير..متورثوش الكره والحقد..متخليش قلبه يتملا
سواد..جايز ميكنش حظه زي حظك ويلاقي اللي يفوقه...

تمهدت أخذةً نفسًا عميقً وقالت

-أنا أكلته..هو صاحي من زمان..يعني شوية وهتلاقيه هينام تاني..ف إقعد معاه
شوية وبعدين شوف هتروح فين...

ثم تركته وإتجهت إلى أحد الغرف مُغلقة الباب خلفها..تاركة إياه يتصارع مع
نفسه وحديث والدته ذكره ب حديث صغيرته التي طالما أخبرته تلك العبارة

-متاخذش ناس ب ذنب ناس يا رائف..أنا جنبك لسه عشان عرفت إنك
مظلوم..بس مش معناه إنك مظلمتش..صفي قلبك يا حبيبي..صفيه عشان
تقدر تعيش وأقدر أنا أعيش معاك...

إحتضن صغيره ب قوة يُقبل رأسه ثم غمغم ب ضيق وهو يتجه إلى عُرفته
-والله مش عارف أعمل إيه!..أنت إيه رأيك؟...

غمغم الطفل ب كلماتٍ غير مفهومة ليقول رائف ب موافقة

-أنا قولت كدا برضو...

إندفع إلى عُرفته ك المجنون ليدفع الباب ب قوة هادرًا دون أن يهتم ب ذلك

المشهد المُبتدل أمامه

-أنت قولتلها إيه!...

إبتعد رحيم عن الفتاة وجذب بنطاله يرتديه ثم قال ب برود وهو يُبعد
خُصلاته عن وجهه

-مش المفروض تخبط قبل ما تدخل!..أديك شوفتنا ف وضع مش كويس...

أطاح جهاد ب المقعد أمامه ثم هدر ب صوتٍ جهوري

-البت دي خط أحمر يا رحيم لو قربت منها..هقتلك وأنت عارف إني أقدر
أعملها...

إستمع رحيم إلى حديثه ب لا مُبالاةٍ ساخرة ثم تشدق وهو يسكب كأسًا من
النبيد الأبيض

-كنت عملتها من زمان يا بن أمك..بس أنت لسه جبان..وهتفضل جبان لحد
أما أنا أموت

-صر جهاد على أسنانه ليقول ب غضب: أنت أقدر بني آدم شوفته

-رفع رحيم كأسه يُشير به وقال ب سُخرية: من بعض ما عندكم...

تقدم منه ومر بجواره ليسمع صوت تنفس جهاد الحاد ثم جلس على الأريكة

يُخرج من عُلبة سجائره لُفافة تبغ وأشعلها قائلاً

-سيبك من الهري دا كله وخلينا ف المهم...

إلتفت جهاد إليه ثم تقدم منه وضع قدمه على الطاولة التي أمامه وهمس بـ

فحيح أفعى

-صدقني يا رحيم هندمك ع اليوم اللي دخلت فيه للبت دي

-ليقول رحيم ب نفاذ صبر: يوووووه..ما خلاص يا جهاد بقى ميبقاش مخك

صغير..دي مجرد بت لا راحت ولا جت...

كور قبضته وضرب سطح الطاولة لتتهشم مُسببه جرح ب يده ولكنه لم

يُبالى..نظر رحيم إلى شظايا الرُجاج المُهشم ثم إلى جهاد ليردف بعدها ب خُبث

-طيب أنا عندي .. deal (إتفاق

أخذ لُفافة التبغ بين شفتيه ثم أردف بعدما زفر سحابةً رمادية

-لو إتفقنا يبقى خلاص..السنيرة بتاعك دي هخليك تاخدها for free

إرغي-

إبتسم رحيم ب مكر وقال: أخت رائف-

-عقد جهاد حاجبيه وتساءل: مالها

-تُخصني...

-تُخصك إزاي مش فاهم!

-إبتسم حتى ظهرت أسنانه الصفراء وتشدق: يعني عاوزها..يعني زي البت

بتاعتك..يعني تبقى هنا ف ظرف أسبوع ودا عشان خاطرک...

نظر إليه جهاد مُطولاً ثم تساءل ب إستفهام وهو يحك ذقنه

-وأنت تعرفها منين!

-تراجع رحيم ب ظهره إلى الخلف وقال: ملكش دعوة ب دي..أنا عاوزها وخلاص

-ماشي...

قالها على مضض ولكنه رفع سبابته مُحذراً ثم هدر

-لو رجعت ف إتفاقنا..متزعلش من اللي هيحصل

-ضرب رحيم على جانب عنقه وقال: عيب عليك..كلمتي سيف على رقبتى...

مدّ يده ليُصافحه قائلاً ب مكر

-حط إيدك ف إيدي نوثق الإتفاق...

نظر إليه جهاد ب إزدراء قبل أن يتركه ويرحل..قذف رحيم ما تبقى من لفافة

التبغ ودهسها هاتفاً ب إبتسامة عابثة

-كله يهون عشانك يا أم عيون زُرق...

ثم نظر إلى ذراعه الموشم ب صورتها وهي تضحك وأسفل ذلك الوشم خط

حروف اسمها الذي يحفظه عن ظهر قلب

صف رائف سيارته أمام المقابر تحديداً أمام قبر زوجته المزيف..فتح البوابة

ثم دلف ليجد والده جالساً ب إنتظاره

توجه رائف إليه وحياه ليجلس ب جانبه ف سأله مُحي مُباشرةً

-شوفت مراتك يا سيدي!

-أوماً رائف وقال: أيوة..نفسى أفهم أنت عملت كدا ليه؟

-أغلق ملف كان ب يده وقال ب جدية: عشان اللي بيخونا طلع من المستشفى

عندنا...

رفع رائف حاجبيه ب تعجب..ليمد مُحي يده ب ملف يطلب منه أن يقرأ اسم

الطبيب فقط ثم أكمل هو

-شغال دكتور ف قسم (مخ وأعصاب) ب المستشفى..لما حصلت الحادثة وزهرة
 إتقلت كان مُصمم يعرف إيه اللي بيحصل..بحجة إنه بيظمن على مرات
 ابني..بس أنا كنت أصلاً شاكك فيه من زمان ف عشان كدا عملت الفيلم دا

-وليه مراتك متعرفش؟..ليه أنت وأحمد بس؟

-أجابه مُحي ب جدية: عشان دا الصح والأمن لينا كلنا

-إلتفت إليه رائف وأردف: عاوز أفهم كل حاجة...

أوما مُحي وهو يستعيد أحداث ذلك اليوم

"عودة إلى وقتٍ سابق"

بعدهما تلقى الإتصال من أحمد أمر ب تجهيز غُرفة الجراحة على عجل..وعندما

وصلوا جميعًا كان أحمد قد تلقى الإسعافات الأولية ف إصابته كانت طفيفة

عدا الشرخ ب يده اليُسرى

لم يعرف أحمد سبب إصرار مُحي على بقاءه ب المشفى تلك الليلة..ولكنه
إمتثل لما يقول

وعلى الناحية الأخرى بدأت إجراء الجراحة لإنقاذ زوجة إبنه..كان مُحي
يتصصب عرقًا ولكنه كان من التصميم والإرادة لكي يُنقذها

ولكن لسوء الحظ توقف القلب عن العمل..حاول إنعاشه أكثر من مرة ولكن
بلا فائدة..لذلك أمر الطبيب أن يُخبر إبنه أن زوجته ماتت ف هو لن يحتمل
وب مجرد خروج الطبيب أعاد مُحي إنعاشها مُتخذ كل السبل حتى حدثت
المُعجزة وعاد نبضها الضعيف يرتسم على الشاشة..زفر ب إرتياح وأرسل إلى
أحمد ب القدوم

وما ساعده ذلك الهرج الذي أصاب الجميع ب الخارج..دلف أحمد دون أن
يلحظه أحد وب قدر الإمكان عاون مُحي ب إجراء الجراحة

"عودة إلى الوقت الحالي"

-تساءل رائف ب جمود: طب كل دا حصل إزاي وليه؟

-وضح مُحي قائلاً: أحمد لما دخل الأوضة كنت أنت مُنهار مع أختك..هو

إستغل الوضع ودخل..محدث عرف..رغم أن وضعه مكنش يسمح بس هو

متأخرش

-ونقلتوا زهرة إزاي؟

"عودة إلى ذلك اليوم"

ليلاً بعد مُنتصف الليل..وما أن تأكد مُحي من هدوء الأوضاع ب الخارج..توجه

إلى مكتبه وأغلق كاميرات المراقبة ب الطريق الذي سيسلكه وأمر أحمد ب أم

يذهب إلى غرفة الأمن وإخبارهم ب أن هناك أعطال ب تلك الكاميرات

توجهها الإثنين إلى غرفة خاصة..وبحرص قاما ب نقل إسراء..وتم نقلها ب سيارة

إسعاف مُجهزة ب أحدث الأجهزة كي يتم نقلها

ب الرغم المعاناة والصعوبة اللتين عانيا منهما ولكنهما لم ييأسا..و تم نقلها إلى

الفيوم ب نجاح

"عودة إلى الوقت الحالي"

ليُضيف مُحي قائلًا

-وبكدا عملنا كل حاجة إحنا الإثنين..مش هقولك الموضوع كان سهل..لأ دا

كان أصعب مما تتخيل..أي غلطة مراتك كانت هتروح فيها..عشان كدا

مرضتش أقولك ساعتها لأنني عارف إنك متراقب وأي حركة مش محسوبة

أنت اللي هتتضرر...

تهند رائف وهو يحمد الله لما حدث..لم يعرف ما يقول سوى أنه غمغم ب

خفوت

-شكرًا...

صُدِم مُحي للحظات ولكنه إبتسم وربت على ساق رائف ثم هتف

-العفو يا سيدي..عشان تعرف غلاوتك بس...

نظر إليه رائف دون تعبير مُحدد ولكن مُحي لمح ذلك الإمتنان الخفي ب نظرة

عينه الضائعة..ليقول بعدها ب جدية

-المهم دلوقتي..أنا كلمت حد معرفة عشان نخلص من الموضوع دا

-قاطعته رائف: أهم حاجة..طارق وهايدي إختفوا!!

-أجابه مُحي ب تأكيد: حصل..متقلقش..دلوقتي بقى يا سيدي..حد ف الداخلية

هيساعدنا..قالي إنهم هيدسوا حد بينهم ويجيب أخبارهم وبكدا نخلص منهم...

نهض رائف ونفض الأتربة عن ثيابه ثم تشدق ب نبرة قاسية تحمل الكثير من

الوعيد

-مفيش داعي..دا موضوع يخصني وأنا اللي هخلصه

-نهض مُحي هو الآخر وتساءل ب توجس: قصدك إيه!..هتهدم اللي بعمله؟

-حرك رائف رأسه نافياً ثم أردف: لأ..أنا اللي هكون وسطهم..والأخبار أنا اللي
هوصلها

-سأله ب شك: تفتكر هيثقوا فيك!!

-أجابه ب ثقة: هو دا اللي عاوزين يوصلوله من الأول..إني أرجع..بس أرجعهم
راكع..وأنا مش هحرمهم من حاجة....

هبطت الدرج خلفه وهى تنظر إلى ظهره ب خجل..حديثهم ب الصباح جعل حدة
توترها وخوفها يتلاشى شيئاً ف شيئاً..وكم أحببت أحاديثه..أخبرها كيف تم
إستعادة زهرة وإخفاءها عن الأنظار

فاقت من شرودها على صوته وهو يقول

-هاتي إيديك يا نهلة!

-ضيقت عينها وتساءلت: ليه؟...

لم يرد عليها بل جذب كف يدها و أطبق عليه ثم قال وهو ينظر إليها

-كدا أنا مطمئن أكثر..أنتِ أمانة لازم أوصلها...

أبتسمت ب تردد ثم توجهوا إلى السيارة..صعدت هي وتبعها هو ليقود السيارة

ب صمت..قطعته هي ب صوتها الرقيق

-أنت ليه ساعدت رائف!

-إبتسم أحمد وأجاب: أنا ورائف صُحاب يا نهلة..إخوات كمان يا ستي مش

صُحاب..ومهما حاولت أكرهه زمان معرفتش..أنا مكرهتش غيرك وقتها

-شهقت وقالت ب إستنكار: بتكرهني!!!

-ضحك أحمد وقال ب مرح: كنت..كنت يا نهلة..فعل ماضي يا ماما...

أومأت ب رأسها ب شيءٍ من الخجل..ليردف هو ب مكر

-مسألتيش يعني دلوقتي حاسس ب إيه ناحيتك!

-محممت وقالت ب إرتباك: م..مش عاوزة أعرف..خليها ف سرك...

ضحك ب قوة ثم نظر إليها من طرف عينه ليجدها تتلاعب ب ثيابها ب توتر

ليرحم إرتباكها قائلاً ب مُزاح

-خلاص يا ستي..هخليها ف سري...

أومأت ب خفة ثم نظرت إلى الطريق تتحاشى النظر إليه

بعد دقائق وصلا إلى البناية التي يقطن بها رائف بُناءً على طلبه..همت أن

تترجل ولكن أحمد إستوقفها قائلاً

-نهلة؟

-نظرت إليه وأجابت ب رقة: نعم!

-فيه إثنين عينهم رائف عشان ياخدوا بالهم منك..يعني متخافيش منهم..هما

واقفين هناك...

أشار ب يده إلى مدخل البناية لتنظر إليهما ب رهبة ف إلتفتت إليه سريعًا تنظر إليه ب عين قطة مُتسعة ثم طلبت ب رجاء لم يستطع رفضه

-متسبنيش أنزل لوحدي..هخاف...

أمسك يدها وقال ب نبرة حانية وكأنه يُحادث طفلة ب الخامسة من عمرها

-هطلع معاكِ..كدا كدا والدتك فوق

-أومات عدة مرات قائلة: طيب...

كادت أن تترجل مرةً أخرى ولكنه ضغط على كف يدها وقال ب صرامة مُحببة

-نهلة!!!..إسمعي كلام الشخصين دول..متطلعيش لوحديك فاهمة؟

-أومات ب طاعة: حاضر..يلا بقى ننزل أنا تعبت

-يلا...

ترجلا من السيارة لتنتظره وتُمسك بـ يده ف تفاجئ هو من تلك الحركة ولكنه
 ضغط على يدها وسحبها خلفه صاعداً البناية يتبعه الرجلين
 وعلى الجانب الآخر من الطريق.. تابعت أعين ذلك الرحيم تلك الحورية
 الصغيرة.. تتحرك بـ خفة فراشة وجسد يخطف أنفاسه الجائعة
 إليها.. خُصلاتها التي تتراقص خلف ظهرها فتجعل شهواته تتراقص معها

وضع يده على صدره وهو يلحق شفثيه بـ رغبة في إمتلاكها ثم همس وهو
 يُدير مُحرك السيارة

-هانت يا قمر.. هانت وهتبقى بتاعتي...

الفصل الثالث عشر

كل ما عليك فعله هو النضال.. المثابرة

لتتحدي ماضي أقسمت على عدم الرجوع إليه بكامل إرادتك...

صباح يوم جديد يحمل معه الكثير

بعدما إستيقظ رائف وجد والدته وشقيقته تتناولان الإفطار وصغيره يجلس

على المقعد المخصص له يتلاعب ب طعامه

ليقول ب صوته الهادئ وهو يُقبل وجنة غيث

-صباح الخير

-ردت عليه نهلة ب إبتسامة: صباح النور..هتفطرا!...

إتجه إلى أحد المقاعد وجلس ب جانب نهلة ثم أردف وهو يأخذ قطعة خُبز

-فين كوباية الشاي بتاعي!!

-حالا...

قالتها نهلة وهي تسكب بعض الشاي ب الفنجان وتسأله

-أحطلك سكر!

-حرك رأسه نافيًا وقال: لأ هاتيه كدا...

أومات و وضعت أمامه الشاي الخاص به..تنحنح رائف وقال

-أنا إحتمال مرجعش النهاردة..يعني بلاش تستنوني

-تساءلت رحمة: خير عندك شغل؟

-حك ذقنه وأجاب: أها..وأهو أول يوم ف هتأخر

-طيب يا حبيبي..خد بالك من نفسك...

أوما ب خفة وأكمل طعامه ليقول بعدها ب صرامة

-نهلة!..بلاش خروج من البيت..أظن أحمد فهمك كل حاجة

-تشدقت ب طاعة: حاضر والله..أحمد حفظني الإسطوانة وأنت كمان بلاش

تكمل

-أنا بس بعرفك...

إلتفت إلى رحمة وقد بدى مُتردداً ولكنه تشدق وهو يُخفض نظره

-وحضرتك بلاش شُغل..خليك مع غيث ونهلة..دول ميتسابوش لوحدهم

-إبتسمت رحمة ثم قالت ب حنو: متقلقش..أنا إتفقت مع أبوك على كدا..لحد
أما تحب ترجع البيت براحتك...

لوى شذقه ب تهكم ولم يرد بل نهض وإتجه إلى عُرفته..تنهدا رحمة ب أسي
لتربت نهلة على يدها وأدرفت ب تعاطف

-رائف محتاج وقت يا ماما..اللي حصله مش سهل كل اللي هو محتاجه
وقت..واحنا نصبر عليه

-تشدقت رحمة ب ألم: والله صابرة وهصبر..بس رائف يرجعلي..أنا محضنتش
إبني لحد دلوقتي زي الناس..محتاجة أحس إني أمه

-عانقتها نهلة وقالت: ولحد الوقت دا..كفاية عليكِ حضني..مش أنا زي رائف
ولا إيه؟!

-أردفت رحمة بسرعة وهي تُشدد على إبنتها: طبعًا يا حبيبتي..أنا فكرت إن ربنا أخذ أمانته لما ولدك..ومصدقتش نفسي لما لاقيتك قدامي..أنتوا حتة منا يا نهلة..حتى من روجي...

كور رائف قبضته وهو يستمع إلى حديثهما ف قد توقف يسترق السمع لما تتحدثان به..ثم أكمل طريقه إلى عُرفته ب عينين تتأكلهما الغضب

فتح خزانة ثيابه وانتقى منها قميص من اللون الأزرق الداكن و بنطال أسود قُمَاشي..ترك أول زرين مفتوحين و رفع أكمامه حتى ساعديه

صفف خُصلاته البُنِيّة إلى الخلف وهذب لحيته المتوسطة ثم أخذ حاجياته الشخصية وخرج

وجدهما تجلسان على الأريكة أمام التلفاز إنحنى يُقبل غيث الذي يُشاهد الرسوم المُتحرّكة ب إهتمام ثم شقيقته وعاد يُخبرهم ب حزم

-أظن مش هكرر كلامي كتير..يلا خدوا بالكوا من نفسكوا

-أردفت رحمة وهي تنظر إليه: لا إله إلا الله

-أجلى رائف حنجرته وغمغم بـ خفوت: سيدنا محمد رسول الله..أنا ماشي...

ثم تركهم ورحل..وقف أمام الحارسين وتشدق بـ صرامة وتحذير

-مش عاوز دبانة تُدخل..فاهمين؟

-أوماً الرجلان ليقولا بـ نفس النبوة: فاهمين يا باشا...

تركهم وهبط الدرج..صعد سيارته و وضع الهاتف على أذنه ف أتاه الرد بعد

لحظات..ليردف وهو يُدير المُحرك

-أنا رايح دلوقتي أهو...

فتحت جفنيها بـ ثناقل لتجد أحدهم يتلاعب بـ خُصلاتها لتتسع عينيها بـ رهبة
وهي تجده أمامها.. إنتفضت جالسة لتسمع صوته الهادئ وعيناه تتمهل بـ
تفحصها

-صباح الخير...

لم ترد عليه ليصعد هو على الفراش ويجلس أمامها..أبعد خُصلة سوداء عن
وجنتها ثم همس وهو يُحدق بـ عينيها بـ شغف

-تعرفي إنك حلوة أوي وأنتِ نايمة!..أول مرة ألاقى متعة فـ مراقبة حد وهو
نايم

-نفضت يده عنها بـ إشمئزاز: عاوز إيه!...

عقد حاجبيه بـ حزن وقال بـ نبرة آسفة

-بقي دا جزاتي إني جاي أطمئن عليكِ بعد اللي الـ** عمله معاكِ

-صرت على أسنانها وأردفت: وأنت فاكِر أنك تفرق عنه..أنت زيكَ زيهِ
حيوانات...

أطلقت ماردِه..حقًا أطلقتَه دون أن تعي..أكثي ما يكرهه هو أن يكون ب نفس
الجهة مع ذلك الحقيِر..إشتعلت عيناه وهو يُحاوط وجنتها ثم هدر وهو
يُحركها بين يديه

-إوعي تُحطيني أنا وهو ف نفس الكفة..متفكريش أصلًا ف حاجة زي دي
أحسنك...

إتسعت عينها ب دعر وبدأت أنفاسها تتسارع ب التزامن مع إرتجافة جسدها
التي إستشعرها هو..ف توقف عن هزه لها و وضع جبهته على جبهتها يهمس ب
عذاب

-بلاش تقولي عليا حاجة أنتِ متعرفيهاش..أنا ضحية زيكَ..بس الفرق إني
قويت نفسي مش زيكَ بفضل محلِكَ سر...

ضربت صدره في محاولة يائسة لإبعاده ولكنه لم يتوقف بل أكمل وهو
يُغمض عينيه

-أنا إنجذبتك لأنك شبيهي..أنا وأنتِ مجبورين على العذاب دا

-صرخت وهي تعتصر جفنيها: إبعد عني يا حقير..إبعد عني أنا بكرهك

-صرخ بـ المُقابل وعيناه تحتد: وأنا بحبك...

وأسكتها بـ شفتيه وهو يُقبلها بـ رقة جديدة عليها..إتعست عينها بـ صدمة
ولكن سُرعان ما تحولت الصدمة إلى غضب وإشمئزاز لتضرب صدره بـ كفها
الصغيرين ولكنه لم يتوقف..بل وضع يد خلف رأسها يُقربها منه ليُعمق قُبلته
بكت بـ حرقة و هي ترتخي بين يديه بعدما يَأست من تركه لها..أما هو فـ لأول
مرة يشعر بما يشعره الآن..ضربات قلبه تتسارع بـ شكل مُقلق وجسده لا
يستجيب له..كلما حاول الإبتعاد يجد نفسه ينجذب أكثر

إلا أنه عندما فتح عينيه وجدها تبكي ب شدة حتى شهقاتها كانت طريقها
جوفه..ليبعد عنها سريعًا..وضعت هي يدها على شفيتها تمسحها ب تقزز
وعنف حتى أدمتها

أبعد يدها ب القوة هادرًا وهو يُكبل تحركاتها العنيفة

-بس كفاية خلاص

-تلوت صارخة بإهتياج: إبعد إيدك عني..بقولك إبعد يا قدر..إبعد!!!

-أحكم تقييده لها وأردف ب صرامة: لما تهدي هسيبك...

تلوت أكثر وأكثر ولكن فرق القوى لم يكن إلا أن أنك قواها..لتستسلم باكية

ب نشيج..أحكم كف حول يديها وب الأخرى أمسك ذقنها ب رقة ورفع

إليه..حدقت سوداوتيه ب خاصتها ليهاله حالتها ليهمس ب عدم تصديق

-كل دا عشان قربت منك؟!..لدرجادي قرفانة مني!

-زمجرت ب شراسة: وأكثر مما تتخيل...

كانت تُريد نهش وجهه ب أظارفها وخاصةً شفثيه التي تستبيح جسدها بلا
رحمة ولكنه يُكبلها ب يدٍ من حديد..إزدرد جهاد ريقه وأردف ب خوفوت

-لو لمستي ب تقرفك كدا..مش هقرب منك إلا بمزاجك

-ضحكت ب عذاب رادفة: مزاجي!!..مزاجي إزاي وأنت إغتصبتني..مزاجي إزاي
وأنت سرقت مني عفتي!..أنت بتحلم...

وجدته ينظر إليها ب صدمة لتنخر عظامه ب نيران كلماتها القاسية

-هفضل أكرهك لحد أما أموت..وبدعي ربنا تجيلي الفرصة عشان أقتلك
وأخلص الناس من شرك أنت والقذراالتاني...

توقعت أن يتركها أو يُنكس رأسه ب خزي..ولكنها تفاجأت ب إبتسامة تُزين ثغره
القاسي ليردف بعدها ب هدوء

-لو كان قتلي هيرحك ف أنا معنديش مانع..هسيبك تقتليني بس لما أخذ حقي
الأول..هسيبك وقتها تشفي غليلك مني بس أخذ روح اللي عمل المسخ اللي
قدامك دا

-أنت واحد مريض...

وضع جبهته على جبهتها ف تلوت بين يديه ولكنه أحكم أكثر عليها وهمس ب نبرة
صادقة نبعت من تلك التجربة التي خاضها منذ دقائق معها
-وكل اللي عاوزه منك..إنك تعرفي إني بحبك...

ثم طبع قُبلة طويلة على جبينها جعلتها تُجعد أنفها ب نفور لينهض بعدها وهو
يُحدق بها ب إبتسامة..وقبل أن يخرج تشدق ب حزم

-خليك عاقلة يا نجلاء..أنا هخرجك من هنا وهديك حُرَيْتِك..بس إعملي اللي
هقولك عليه وإتفاقنا اللي إتفقا معاك بيه قبل كدا...

ثم خرج وأغلق الباب خلفه..لتضم هي الملاءة إلى صدرها لتبكي بـ عُنْفٍ غيرِ
 أمهه لما وعدّها به "حُرّيّتها"..إن كان بقاؤها هُنّا عَلمها شيئاً ف لن يكون سوى
 "ألا تثق بـ مبدأ الحرية بـ مفهومهم"

وصل رائف إلى وجهته ليصف سيارته وهو يعلم أنه مُراقب..لهيبط بـ وقاره
 المُعتاد ونظرة قاسية تعلقو قسمات وجهه..وضع نظارة شمسية على عينيه ثم
 دلف إلى شركته التي كان يُديرها شقيقه

إنتفض الجميع واقفاً يُهنئ رائف على رجوعه مُجدداً وهو يرد عليهم بـ إِماءة
 بسيطة..لم يخلُ الوسط المُحيط به من التعجب والهمهمات التي وصلتته
 واضحة عن كيفية عودته إلى العمل و زوجته قد توفت مُنذ ما يقرب عشرة
 أيام

إستقل المصعد حتى وصل إلى مكتبه القديم..فتح الباب ليجد والده وشخصًا

آخر ب إنتظاره..نزع النظارة الشمسية ثم أردف وهو يُغلق الباب

-أسف على التأخير دا

-تولى مُحي الحديث: لأ أبدًا إحنا لسه جاين من خمس دقائق بس

-تمام...

جلس رائف ب مقعده خلف المكتب وشابك يديه يتكئ بهما على سطح المكتب

ثم تشدق ب جدية

-نبداً بقى ب الجدا!

-أوما الشاب وقال: الأول أنا حابب أعرفك على نفسي..أنا سمير عابد ظابط

شُرطة والدك كلمني وكلم الجهات المعنية ب الأمر عشان الموضوع دا

-أوما رائف وقال: وطبعًا قالك إني اللي هدخل وسطهم

-أيوة ودا شئ كويس..رغم أنك هتقابل عقبات كتير لكن حضرتك أدها...

وضع سمير بعض الأوراق أمام رائف الذي تناولها ف أوضح له الأول ما

تحتويه هذه الأوراق

-دي معلومات عن جهاد الطليبي..هو كان عايش ف حي بسيط مع أهله قبل

أما والده يتقتل و أمه تتجوز واحد تاني...

صمت وهو يُحدق ب رائف الذي يتفحص الأوراق ب إهتمام ثم أكمل

-من تحرياتي عنه..اللي حوالية قالوا إنه و أمه كانوا بيتعرضوا للضرب من

الراجل اللي اسمه رحيم جوز أمه..ودا من الصريخ والدوشة اللي بتطلع من

البيت

-قاطعه رائف وهو يقول ب عدم إهتمام: وأنا إيه دخلي ب كل دا!

-رمقه مُحي ب تحذير وقال: أصبر يا رائف..خلي حضرة الظابط يكمل كلامه...

أشار رائف ب يده ب معني أكمل وهو يتأفف ب ضيق ليُكمل سمير وهو يُخرج
إحدى الأوراق

-المهم ف الموضوع إن العيلة كلها إختفت فجأة..وبعدين ظهرت الأم و بعدين
جهاد دا بعد حوالي خمس سنين بعد الإختفاء..اللي أنا بخمنه إن جهاد مجرد
طابية ف اللعبة كلها

-أردف رائف: طب ودا معروف

-تشدق سمير دون الإلتفات إلى حديثه: اللي بفكر فيه إن جوز أمه يا إما
إتقتل يا إما هرب..بس اللي مُتأكد منه..إنه له إيد ف اللي جهاد بيعمله..وهو دا
الخيط اللي هيخلينا نوصل أسرع ل اللي بيدير الموضوع دا هنا

-تساءل مُحي: طب وهنجيب جوز أمه منين؟!

-أجابه سمير ب جدية: سيب الموضوع دا عليا..لو إتقتل أكيد هوصل ولو هريان هجيبة..وغير كدا أنا حاطط مراقبة على بيت أمه لأن جهاد بيتردد عليه كتير ودا ممكن يوصلنا لحاجة...

أعطى سمير الورقة ل رائف ثم تشدق

-دي البنت اللي المفروض إنها بتشتغل معاهم..حاول تلقطها ودي هتكون أول حاجة تساعدنا من جوه بعدك..إحفظ ملامحها كويس عشان هتحرق الورقة دي تمامًا...

حدق بها رائف جيداً قبل أن يُمزق الورقة وكافة المعلومات عنها..ثم قام ب حرقها بعدما أخرج قداحة من أحد أدراج مكتبه

نهض بعدها وقال ب جدية

-أنا هعمل كام حاجة وبعدين هروح النهاردة..خليكوا معايا على طول...

نهض سمير وتقدم منه ثم مدّ يده ب شئ صغير وأدرف

-دا جهاز تصنت..واحد ليك و واحد للبتت..أحنا عاوزين نعرف الكبيرة
والصغيرة هناك

-وضعهم ب جيبه وقال: تمام..هستأذن أنا بقى...

خرج رائف وتركهم ليتساءل سمير ب شك

-هنقدر نعتمد عليه يا دكتور!

-أوما قائلاً ب تأكيد: الموضوع بقى شخصي ب النسباليه..ف متقلقش..رائف مش
هيستريح إلا لما يخلص عليهم تمامًا...

وصل أحمد إلى منزله ليجده فارغ ك عادته..ألقى مفاتيحه ب عدم إهتمام ثم

دلف إلى مرحاض وأخذ حمامًا عله يُزيل إرهاق يومًا كاملاً من العمل

بعدهما خرج قام ب إعداد شطيرةً ما ثم إتجه إلى التلفاز وهو لا يُتابعه حقًا..بل

كل تفكيره مُنصب على دوره بما سيحدث وتلك الصغيرة..نهلة

إبتسم وهو يتذكر أحداث أمس..كانت تُمسك يده وكأنه والدها وكم أعجبه
هذا!..وضع يده خلف رأسه وراح يُفكر لما لا يعودان ك سابق عهديهما

هي لم تكن خائنة بل كانت ضحية..هي أول من أحب..هو تزوج سوزي والدة
طفلته وأحبها حقًا وإعتاد حياته معها..ولكن ظهور نهلة من جديد جعل
موازينه تختل..صحيح يشاق زوجته كثيرًا ويرثي غيابها عنه ولكن قلبه
الملعون ب حب تلك الجميلة

تنهد ب ثقل وسحب هاتفه يتعلل أتصاله بها ب غرض الإطمئنان عليها لا أكثر

إنتظر قليلاً حتى أتاه صوتها الرقيق

-ألو

-حمحم وأجاب: ألو..إزيك يا نهلة!

-كويسة..وأنت!

-إبتسم وقال: بقيت كويس دلوقتي

-أتاه صوتها القلق: ليه أنت كنت تعبان!...

وضع يده على فمه يضحك ب خفوت ثم أردف

-أه..يوم طويل عريض من الشغل..بصراحة هلكني جدًا

-تشدقت نهلة ب تعاطف: معلش يا أحمد..دا شغلك برضو...

ساد الصمت لعدة لحظات قبل أن يقطعه أحمد وهو يتوجه إلى الشرفة

-بتعملي إيه!

-رفعت نهلة منكبيها وقالت: قاعدة مع غيث ف البلكونة...

سمعتة يضحك لتسأله ب عقدة حاجب وشفتمها تبتم لضحكه

-بتضحك ليه!

-أصلي أنا كمان ف البلكونة

-بجد!

-حرك رأسه وقال: أه والله...

إبتسمت نهلة ب رقة لتسمعه يتهد ف سألته ب إرتباك

مالك!-

أخرج زفيرًا وقال: بفكر أخذ شقة ف نفس العمارة عشان أكون -

قريب منكوا..لأني قلقان ومش مطمئن

-ردت عليه ب عدوبة: إحنا كويسين متقلقش

-رد نافيًا ب قوة: لأ أقلق يا نهلة..خصوصًا أنتوا أمانة...

صمتت قليلًا وقبل أن تتحدث كان هو يستكمل حديثه ب نبرة عميقة جعلت

وجهها ييهت من الصدمة

-خصوصًا إنك بعيد عن عيني..محتاج أشوفك طول الوقت عشان

أطمئن..عشان قلبي يطمئن...

حبست أنفاسها ولم تجد القدرة على الحديث.. نظرت إلى غيث الذي يلعب بـ
صمت ثم عادت تنظر إلى الطريق أمامها ليقول هو بـ تعجب

-أنتِ معايا يا نهلة مش كدا!

-تلعثمت قائلة: آآ.. أه

-إبتسم وقال بـ مرح: بحسبك نمتي ولا حاجة

-ردت عليه بـ حنق: رخم على فكرة.. رخم أوفر يعني...

ضحك أحمد بـ إستمتاع لتبتسم نهلة بـ خجل.. قبضت على الهاتف ثم تنشقت

الهواء وسألته قبل أن تفقد شجاعته

-هو أنت ليه خايف عليا أوي!

-أجابها بـ دهشة: عشان مش مطمئن وأنتِ بعيد

-زفرت ب ضيق وأردفت: وليه مش مطمئن وأنا بعيدا!..فيه حراس على فكرة
قدام البيت...

فتح فمه ينوي الرد بما يقتضيه المنطق..ولكن الحروف أبت الخروج..زفر ب
قوة ثم قال ب نبرة قوية أسرت الرجفة ب جسدها
-عشان أنتِ تهمني..عشان قلبي عاوزك قريبة منه...

إتسعت عيناها ب قوة وضربات قلبها أصبحت تصم أذنيها..حبست الهواء ب
رئتها وفقدت قُدرتها على الحديث..لتسمع بعدها صوته وهو يُكمل ب نفس
النبرة القوية

-دي أكثر إجابة منطقية ممكن أقولها..وغير اللي فكرت أرد بيه ب
دبلوماسية..دي إجابة نابعة من جوايا يا نهلة...

تفاجئ أحمد من صوتها المتلثم وهي تقول على عجل

-تصبح على خير يا أحمد..ماما بتنادي عليا...

ثم أغلقت الهاتف وضمته إلى صدرها..تبتسم ب سعادة..وضعت ظاهر يديها على وجنتيها اللتين تتشتعلان ب وهج الخجل والحماس..لتقفز عدة مرات قبل أن تُقبل ابن شقيقها هاتفة ب سعادة تطرق بابها بعد غيابها الطويل

-طلعت مهمة عنده زي ما هو مُهم..وشك حلو يا حبيب عمتو...

وعلى الجانب الآخر نظر أحمد إلى الهاتف ب صدمة قبل أن يبتسم ثم أخرج تنهيدًا حار من فمه يتكئ على سور الشُرفة ب مرفقيه يترك لخياله العنان ب تصور خجلها وتوترها اللذين تُعاني منهما الآن

نظر إلى الحلقة الفضية ب بنصره الأيسر ثم أزاله مُتشدقًا

-أسف يا حبيبتي..بس قلبي دق تاني..وبرضو ليك مكانتك المميزة جويا
محدث هيقرب منها...

نظر رائف إلى ذلك المكان بـ تقززها هو يعود بعد غياب دام ثلاثة أعوام..مُنذ
أن خطت زهرته إلى حياته وهو ترك هذا المكان بلا عودة

تهند بـ ثقل وسار بـ بُطء بـ المكان بـ غرض لفت الأنظار إليه حتى وصل إلى
المكان المنشود

وبـ عُرفة جهاد إبتسم بـ مكر وهو يرى الذئب يعود إلى وكره..موطنه الأصلي..لم
يكن يعتقد أنه سيسلم من جديد بـ تلك السرعة..حقًا تلك الفتاة كانت
القيود التي تمنع شرسته بـ الخروج

رفع سماعة الهاتفة أردف بـ جمود

-جهوزا البنت الجديدة..ونزلوها على تحت خليها تقع قدام رائف...

ثم أغلق الهاتف ونهض يتجه إلى عُرفتها..إنتظر بعض الوقت حتى خرجت بـ
زيها الفاضح..رغم إمتعاض ملامحه والغضب الذب تسرب إليه إلا أنه حافظ
على جمود ملامحه

عندما مرت ب جانبه لاحظ إرتعاشة جسدها ليقبض على مرفقها جاذبًا إياها
إليه ثم همس ب تحذير

-متخليهوش يلمسك..سامعة!...

أبعدت يده عنها ب حدة و تحركت بعيدًا عنه..لكم الحائط بجواره ثم عاد إلى
غُرفته يُتابع ما سيحدث

كان رائف يجلس على أحد الطاومات وهو يدور باحثًا عن تلك الملامح إلا أنه
لم يجدها..زفر ب ضيق و وضع يده ب جيب بنطاله الأسود

رفع رأسه عندما أتى النادل يُرحب به ب حبور وكيف لا وهو أشهر ضيف كان
يتردد ب ذلك المكان قبل سنوات

-رائف باشا!..نورتنا والله..إيه الغيبة دي كلها!

-رد رائف ب فتور: مشاغل بقى..المهم هاتلي كاسي اللي أنت عارفه..وحضر
الأوضة بتاعتي..شكلي كدا هرجع لأيام زمان تاني

-عنيا يا باشا..ثواني وطلبك يجهز...

أوما رائف ليرحل النادل..توقف عن المراقبة حتى لا يلفت الأنظار إليه..حتى أتى النادل واضعًا أمامه ما طلبه ثم رحل..هنا وحدث ما ينتظره..يراها على الحقيقة لا مجرد صورة تُشبهها..تُشبه صغيرته..حبس أنفاسه ثم أشغل نفسه بهاتفه وهو يراها بعيدًا عنه

وهو به الأعلى يُراقب رائف و ما يحدث عندما لفتت أنظاره تلك الفتاة التي ترتدي ملابس فاضحة تكشف جسدها..وهي تتلوى به جسدها من هذا الوحش الذي يُحاول الإنقضاض عليها..ليترك كأس الخمر من يده..ويتجه فورًا إليها..سحبها من خصرها به قوة جعلتها تشهق..فزعة مما حدث..تفرس النظر إلى وجهها البرئ وكان مُصيبًا..واااه من ذلك الوجه الذي يُشبه إلى حدٍ كبير محبوبته الضائعة

أبعد ناظريه عنها ونظر إلى ذلك الثمل ثم قال به غلظة

-البت دي تلزميني

-ليرد صاحب الجسد المُترهل..قائلاً ب حدة: يعني إيه!..أنا اللي واخدها الأول

ب الطبع المكان مملؤ ب العاهرات ولكنها هدفه..ف تلك الفتاة تُشعل ب داخله

ذكرى زوجته..من خفق قلبه لأجلها..من أمنت مكر الذئب

أتى العامل يهرع وهو يقول ب تهدئة بعدما لاحظ حدة الشجار الذي على

وشك النشوب

-رائف بيه!..خير!!

-تتطلع إليه رائف ب برود ثم قال ب صوتٍ قاتم: جهزلي الأوضة..عشان هقضي

الليلة دي هنا...

ثم سحب الفتاة خلفه دون نبس حرف

تنشق العامل الهواء وهو يُشير إلى جهاد الذي كانت جمرتين مُشتعلتين من
النيران ب أن كل شئ سار وفق الخطة.. ف إستدار على عقبه يُمسك ب تحفة
أثرية وقذفها ب الحائط لتتناثر إلى أشلاء من شدة غضبه

وعلى الجانب الآخر ما أن وصل إلى غُرفته المُخصصة حتى فتحها ودفعها ل
تدلف.. أستشعر إرتجافتها بين يديه ولكنه لم يُبد أي رد فعل

أغلق الباب خلفه وتبعها.. وجدها تجلس على الفراش مُنكمشة على نفسها ب
خوف.. مسح ب يده على وجهه ثم إقترب منها لتنكمش أكثر

أغمضت نجلاء عينها ب خوف وهي تراه ينزع قميصه الأسود ولكنها سُرعان ما
إتسعت ب دهشة عندما وضع القميص على جسدها يستر عريها أمامه

رفعت أنظارها إليه سريعًا ليقول ب نبرة مُطمئنة

-متخافيش أنا مش هعملك حاجة...

ضمت القميص على جسدها أكثر دون أن ترد..ولكن بقت عينها تُحدق بـ
خاصته ليبتعد عنها حتى مُنتصف الفراش ثم أردف

-أنا اسمي رائف..أنتِ نجلاء مش كدا!

-إهتزت حدقيتها وهي تسأله ب صدمة: أنت تعرفني

-أوماً ب تأكيد وقال: طبعاً أنا هنا مخصوص عشانك

-مش..مش فاهمة

-وضح قائلاً: والدتك طلبت مني أساعدها عشان ندور عليك..وبعدين

الظروف رمطني هنا عشان أساعدك...

نهض عن الفراش ثم قال وهو يضع يديه ب جيبه بنطاله

-أنا جاي عشان أخرجك من المكان القدر دا..أنا هنا حبل نجاتك يا نجلاء...

الفصل الرابع عشر

أريحيني على صدرك

لأنني متعب مثلك

دعي اسمي وعنواني وماذا كنت

سنين العمر تخنقها دروب الصمت

وجئت إليك لا أدري لماذا جئت

فخلف الباب أمطار تطاردني

شتاء قاتم الأنفاس يخنقني

وأقدام بلون الليل تسحقني

وليس لدي أحباب

ولا بيت ليؤويني من الطوفان

وجئت إليك تحملي

رياح الشك.. للإيمان

إنتفض جسدها ب لهفة وحماسة وهي تستمع لما قاله..نهضت سريعاً وقد

نست القميص الذي يستر عريها ليحيد ب نظره عنها ثم إتجهت إليه وقالت ب

تحشج

-قولي إنك مش بتكذب عليا!

-رد عليها ب نبرته الرجولية: وهكذب ليه!..أنا هنا فعلاً عشان أخرجك...

حمحم ب إحراج ثم همس وهو يبتعد عنها

-مممكن تلبسي القميص!...

شبهقت وهي تضع يدها على صدرها ف قد أنستها السعادة عريها لتركض إلى

الفراش وتلتقط القميص واضعةً إياه على جسدها..ثم عادت إليه وهمهمت ب

خجل

- خلاص...

نظر إليها من طرف عينه ليجدها أحكمت غلقه حول جسدها.. ليزفر قائلاً بـ

جدية

- بس هحتاج مُساعدتك

- تشدقت بسرعة: معاك ف أي حاجة

- تمام.. إقعدني عشان الكلام دا مش هيتعاد تاني...

جلست على الأريكة أمام الفراش وهو إتخذ المقعد أمامها.. أخرج من جيبه

ذلك الجهاز الصغير و وضعه أمامها وأردف بـ جدية

- الجهاز دا ميفارقيش أبداً.. عاوزه أربعة وعشرين ساعة معاك

- إلتقطته وقالت: تمام

-أكمل حديثه وهو ينظر إليها: بصي يا ستي..عاوز أصغر معلومة تسمعها
تفضلي حفظاها لحد أما أجي..أي حاجة تشوفها حتى لو صغيرة برضو أكون
على علم بيها...

أومأت ب رأسها..ليُخرج هاتفه ثم وضعه أمامها وقال

-دلوقتي قدامك حبة صور..شوفي تعرفي مين فيهم...

أمسكت الهاتف وحدقت ب أول صورة التي كان صاحبها "جهاد" فورًا تقلصت
ملامح وجهها..لاحظ رائف ذلك التغيير الذي طرأ عليها ما أن رأت أول صورة
ليقول ب شك

-تعرفي صاحب الصورة!

-أومأت ثم أردفت وهي تبتلع غصة ب حلقها: أه أعرفه

-حلو تعرفي عنه إيه؟

-رفعت منكبها وقالت: معرفش عنه كثير..بس يُعتبر هو اللي بيدير المكان دا

-حك رائف ذقنه وتساءل: يعني مفيش حد غيره...

رفعت منكبيها ب معنى "لا أعلم"..ليتهد ب خفوت ثم أردف

-طب شوفي اللي بعده...

لمست ب أصابعها النحيلة الشاشة لتأتي صورة رحيم..فورًا إنتابتها رجفة

جعلت الهاتف يسقط منها ف تداركها رائف وأمسك الهاتف..ومن حالتها عليم

أنها تعرفه..بل وأيقن الآن أنه حي

لم يتحدث رائف..وإنتظرها حتى تهدأ وب الفعل رفعت رأسها وهي تضم

جسدها ف تقلصت معاملة ب غضب وهمس ب صوتٍ مكتوم

-قرب منك!...

هزت رأسها نافية ولكن غضبه لم يهدأ لتزدرد ريقها ب صعوبة هامسة ب نبرة

مهزوزة

-هو مقربليش..بس مجرد إني شوفت صورته فكرني لما دخل أوضتي

-تحفزت حواس رائف ليقول ب إهتمام: كملي وبعدين!

-أكملت وكأنها ترى ما حدث ذلك اليوم: شكله مُريب..تخاف من مجرد صوته العادي..حركاته، كلامه..كله على بعضه مُريب...

أوما رائف ب رأسه ثم قال

-خلاص مش هضغط عليكِ أكثر من كدا..أنا طلعت ب معلومة حلوة أوي..عشان كدا المرة الجاية إعملي حسابك في كلام كثير...

نهض رائف من مجلسه لتنهض هي رادفة ب خوف

-رايح فين!

-إستدار إليها وقال: مش رايح متخافيش..أنا هفضل هنا شوية عشان

ميحسوش ب حاجة

-قربت يدها من صدرها وتساءلت: طب..طب هخرج من هنا أمتي؟

-دا بيعتمد عليك..كل أما عرفتي معلومات أكثر..كل ما خروجك من هنا كان أسرع...

إتجه إلى الشُرفة ثم قال قبل أن يقف بها

-روحي نامي وإطمني أنا هفضل ف البلكونة...

ذهبت إلى الفراش وجلست عليه..ضمت ساقها إلى صدرها وظلت تُحدق بـ
 ظهر رائف..كان ك البطل ب الحكايات التي كان تقصها عليها والدتها..ظهر فجأةً
 ليُنقذها..حمدت الله أنها ستخرج قريبًا من ذلك المكان المثير للغيان

أما رائف كان قد بعث إلى ذلك الضابط سمير أن زوج والدته جهاد لا يزال
 على قيد الحياة وهو هنا يُدير المكان ب معاونة جهاد

ثم وضع الهاتف ب جيبه وإتكى عليه ينظر ب شرود إلى البعيد..حيث تقبع تلك
 الحاضرة بقلبه والغائبة عن عالمه..لا يزال ب صدمة أنها لا زالت على قيد

الحياة..إبتسم وذلك الأمل بـ داخله يشع من جديد..الحياة تضحك له من جديد..لم ينقطع حبل نجاته وإنما سيعود..وسيحبه إلى الطريق الصحيح

عند الساعة الخامسة صباحًا كان رائف قد ترك ذلك المكان وإتجه إلى حيث زوجته..هذه المرة إنتهج طريقةً مُختلفة..صعد إلى سيارته وإتجه إلى مُجمع تجاري ليخرج من أحد مخارج الطوارئ ثم صعد سيارةً أُخرى كان قد تركها أحمد من أجله

وصل إلى الفيوم ثم إتجه إلى البناية التي تقطن بها تلك السيدة..طرق الباب بـ نفس الطريقة لتفتح هي الباب و تركه يدلف

ك العادة تساءل عن أحوال زهرة وإن كانت تحسنت أم لا ثم دلف إليها بعد ذلك

أدى صلاة الضُحى حيث الساعة قد تخطت الساعة والنصف بـ قليل و
 جلس بجوارها يتلو عليها ورده الذي جاهد من أجل المُداومة عليه كما كانا
 يفعلنا بـ غلاسكو وبعد أن إنتهى وضع المُصحف على الطاولة وأمسك يدها ثم
 حدثها قائلاً

-النهارة رجعت المكان دا تاني..مش عشان يعني أرجع زي ما كنت..بس عشان
 أساعد البنت اللي طلبتي مني أساعدها...

إنحني يُقبل جبينها ثم أردف وهو يتلاعب بـ خُصلاتها

-شبهك ف الملامح شوية..يُعتبر نفس الشكل..وهو دا اللي زود تصميمي إني
 أساعدها...

وضع أنفه بـ عنقها وأكمل حديثه بـ هممة خفيضة

-والدتك لسه ف غيبوبة..هي كويسة أحمد بيظمني كل يوم عليها..مش ناوية
تحني على قلبي المسكين دا وتقومي!..أنا تعبان من غيرك يا زهرة..تعبان ومش
قادر أواجه كل الموج دا لوحدي...

طبع قبلة خفيفة ثم أكمل ب صوتٍ مبحوح

-فرحي قلبي و فوقتي..كفاية كل دا نوم...

إبتعد عنها يُحذق ب ملامحها ثم أردف وهو يُملس على وجنتها ب حنو

-أنا لازم أمشي دلوقتي..مينفعلش أفضل أكثر من كدا..بس هجيلك تاني
وساعتها مش هسامحك لو لاقيتك لسه نايمة...

نهض ثم إنحنى يُقبل جبينها ب حب وعاد ب جزعه..خرج من الغُرفة لتتجه هذه
السيدة إلى الغُرفة..تفحصت مؤشرات زهرة الحيوية و قامت ب تبديل
المحاليل الطبية ولكنها أستمعت فجأة إلى همهمة

-رائف...

كاد رائف أن يرحل ولكنه تجمد مكانه عندما سمع صوت باب الغرفة يُفتح و

تردف السيدة ب صدمة

-مراتك فاقت...

إندفع إلى غرفتها ك المجنون وكأنه يُصارع وحوش خفية.. لتنتفض هي ب فزع

ناظرة إليه ب خوفٍ أحرق خلايا جسدها

إندفع إليها يُمسكها من ذراعيها ثم هدر وعيناه تُطالع جسدها ب تهور يتأكد

من سلامته

-سبتيه يلمسك صح!

-أردفت ب فزع: سبت مين!...

شدد قبضته على ذراعيها ف تأوهت ب شدة ولكنه لم يأبه ف عقله مُشبع ب

فكرة أن رائف إستباح جسدها.. ليهدر ب غضب

-أنتِ هتستعبطي!

-صرخت به ب حدة: إبعد إيدك عني يا حيوان..إبعد بقولك...

صفعها ثم رمى بها إلى الفراش وقبل أن تستوعب ما حدث..كان هو يُشرف

على جسدها ب جسده..يده تُحاوط وجهها وإحدى رُكبتيه موضوعة بين ساقها

إنحني أكثر إليها لتغمض عينيها ب نفور..ف تشدق من بين أسنانه التي تُصدر

صرير

-ردي عليا أحسنلك يا نجلاء..أنا مش ف وعيي دلوقتي...

خرج لهاثًا حاد من بين شفتيها وهي تصرخ به ب حدة

-وهو أنت كنت باعتني له ليه!..مش أنا هنا عشان كدا؟!..عشان أسيب أي

قذر ، حيوان مبيجريش غير ورا شهواته ينهش فيا !..مش دا الغرض اللي

جبتوني هنا عشانه ولا أنا غلطانة!

-إعتصر فكها بين قبضته وهدر: دا قبل كلامي إمبراح..لكن من دلوقتي أنتِ
تُخصني..وإوعي تفكري إن بستهون ف حاجة تُخصني

-ضربت صدره ب قبضتها وقالت ب نشيج: أنت واحد مريض ، سادي ،
مُتخلف..يستحيل تكون بني آدم...

كَبَل يديها ب يد ثم صرخ ب وجهها ب صوتٍ جهوري

-ردى عليا..لمسك ولا لأ!...

صرخت به ب كل قوتها أن يتركها و أضحت تتلوى ب هستيرية بين يديه عله
يتركها ولكنه ضغط ب جسده عليها يُقيد تلويها..ليهمس ب فحيح وعينين
تكتسحها الظلام

-أنا هعرف ب نفسي...

أمسك ثوبها ومزقه لينظر إلى جسدها..صرخت صرخة مذبوحة وهي تُحاول
إبعاده عنها حتى تُخفي جسدها عن عينيه التي تخترق روحها لا جسدها

أما هو كان بـ عالم آخر.. يتأكد أن جسدها لم يكن تحت رحمة آخر.. جسدها
وهي ملكية حصرية له فقط.. هدأت عيناه وتراخى جسده يحتضنها غير أبه
لأظافرها التي تخدش بشرة عنقه ووجهه.. ليقول بـ خمول

-مسبتهوش يلمسك عشاني صح!!...

كانت تبكي وتخدشه بـ كل قوتها ولكنه لم يتزحزح عنها.. بل كان يحتضنها أكثر
دافناً رأسه بـ عنقها.. فبكت أكثر وأكثر إلا أنه همس بـ نبرته الهادئة

-هششش.. خلاص مفيش حد هيلمسك.. إهدي يا نجلاء

-أردفت بـ ضعف: إبعد عني.. بكرهك...

رفع رأسه عن عنقها ثم أردف وهو يُبعد خُصلاتها عن وجهها

-هششش.. متقوليش إبعد دي خالص.. أنتِ خلاص بقيتِ ليا.. بقيتِ بتاعتي...

سقطت يديها بجوارها وقد خارت كل قواها ولكن عينها لم تفقد قدرتها على

البُكاء ف راحت تبكي بـ قهر

أما هو أبعد ثقل جسده عنها ودثرها ب الملاءة ثم جذبها إلى صدره وهي
مُستسلمة ك جثة هامدة لا تقوى على فعل شئ..ملس على خُصلاتها الطويلة
وهو شارد الذهن وقد فقد قدرته على الإحساس ب الألم

إضطرت نهلة إلى الخروج من المنزل لشراء بعض الأشياء..وجدت الحارسين
يسدان عليها الطريق..ف تشدقت هي ب عقدة حاجب

-على فكرة أنا لازم أنزل

-رد عليها أحدهم ب صوته الثقيل: أسف يا هانم..رائف باشا مأكد علينا
منسبش حد يخرج من هنا

-زفرت ب ضيق وقالت: يعني هفضل محبوسة!

-رفع منكبيه وقال: دي الأوامر..مقدرش أخالفها...

وضعت يدها ب خصرها تتنفس ب حدة تُحاول التفكير ب الخروج ولكنها

إلتفتت على صوت أحمد الذي تساءل

-إيه اللي بيحصل!...

نظرت إليه نهلة ب لهفة وخجل ف لا تزال كلماته أمس تتردد ب أذنها..لتتشدق ب

رجاء

-بليبيز لازم أنزل أجيب شوية حاجات للبيت وهما مش راضيين يخلوني

أنزل...

صعد أحمد درجات السلم ونظر إلى الحارسين ف قال أحدهم

-دي أوامر الباشا

-طب خلاص أنا هنزل معاها..خليكوا أنتو هنا...

تهللت أساريرها لتنسل من بينهما تقف خلف أحمد الذي إبتسم على

طفوليتها ليقول أحد الحارسين ب تردد

-يا دكتور أحمد..رائف باشا هيعمل مشاكل

-أردف أحمد ب هدوء: متخفش..لما يعرف إنها معايا مش هيقول حاجة...

تردد الحارس ولكنه أوماً على مضض..صفقت نهلة ب سعاد وإنطلقت تهبط

الدرج..ناداها أحمد ب صدمة

-نهلة!..أنتِ يا بنتي خدي هنا...

ضحكت وهي تقف أسفل الدرج واضعة قبضتها خلف ظهرها تُناظره ب

براءة..جعلته يُخرج زفيراً حار وهو يعلم أن تلك الشقية لن تكون سوى إرهاب

لقلبه..ف جنونها لم يقل بل إزداد بعد شفاءها

أمسك يدها يسحبها خلفه وهو يتشدق ب صرامة

-إيدك متسبش إيدي..يا إما هنرجع تاني

-ضحكت وقالت ب طاعة: حاضر مش هسيب إيدك...

نظر إليها يلوي شدقه ب حنق ولكن إبتسامتها أذابت حنقه ف جعلته يبتسم
هو الآخر ثم سألها وهو يحك خلف عنقه

-ها عاوزه تشتري إيه يا ست نهلة!

-نظرت إلى إحدى المحال الأغذية وقالت: شوية حاجات عشان الغدا

-طيب..مش عاوزين نتأخر

-حالااضر...

قالتها وهي تنحني ب رأسها دليلاً على الطاعة ليُضيق عينيه ب شك ولكنه لم
يجد بدءاً من مُسايرتها

إتجها إلى محل الأغذية وإشتريا ما تحتاجه وب طريق العودة رأت بائع حلوى

هُلامية "غزل البنات" لتقول ب حماس

-عاوزه غزل بنات يا أحمد

-بت إكبري...

ضمت يديها إلى صدرها وشابكتها ب بعض ثم أردفت ب نبرة أوعدت بها كل رقتها فهدمت حصون الرفض

-عشان خاطري..بليبيز يا أحمد..بليبيز

-إنتفخت أوداجه ب غيظ وقال ب قلة حيلة: طيب يا عيلة...

صرخت ب حماس لتجذب يده وتتجه إلى البائع..إشترت واحدة ذات لون وردي ليدفع أحمد ثمنها ثم أكمل طريقها..قربت قطعة من فمه ب يدها وقالت

-تاكل!

-غمغم ب حنق: مش عاوز...

وقفت أمامه ويدها لا تزال أمام فمه ثم قالت بصرامة وهي تُضيق عينها

-كُل...

إتسعت عيناه ب دهشة وأبت عضلات فكه الإنصياع له.. ف عادت تهتف ب
صرامة أكبر ليفتح فمه ب ذهول غير قادر على الحديث.. لتعود وتسير بجواره
هاتفة ب مرح

-شُفت لما تسمع الكلام هحك إزاي!

-رفع حاجبه ونطق ب إستهجان: لا بجد؟...

أومأت ب رأسها وهي تلتهم الحلوى التي بين يديها ب نهم.. جعلت عينها تُطالعها
بشغف كبير.. حتى وصلا أمام أحد المحال تعرض ثوب أخضر قصير.. يكاد
يصل إلى مُنتصف الفخذ

ضيق من الصدر من خامة قُماشية لامعة بلا أكمام عاري الظهر ويحده من
الخصر حزام من اللون الأسود ذو خامة جلدية.. ومن الأسفل خامة التُل ب
عدة طبقات يتدرج بها الأخضر من اللون الداكن عن الأبيض

إنهت عينا أحمد به وهو يرى نهلة ترتديه من أجله!!!..جذب يدها وقال بـ

إبتسامة

-تعالى عاوز أشترى الفستان دا

-تخصرت وهى تسأله بـ حدة غير مقصودة: لمين إن شاء الله

-غمزها بـ شقاوة: هتعرفى لما ندخل...

جذب يدها و دلفا إلى المحل..وقعت عينه على العاملة ليقول دون تردد

-عاوزين نشوف الفستان الأخضر..اللى معروض بره

-حاضر يا فندم...

بعد دقيقة كانت العاملة أحضرت الثوب وأعطته لأحمد الذى بـ دوره مد يده

به إلى نهلة التى كانت تُطالعه بـ شرر ليضحك وهو يسألها

-بتبصيلي كدا ليه!

-أشارت ب سبابته إلى أنفه: من أمتي وأنت بتشتري فساتين بناتي!

-طالعتها ب مكر وقال: من دلوقتي يا ستي

-مش هقيسه...

قالتها ب إباء وهي تُشيع وجهها عنه ليقترب منها وهو يقول ب نبرة رجولية

عجزت عن الرفض أمامها

-عشان خاطري..أنا جبتلك غزل بنات..دلوقتي بطلب منك خدمة

-جذبتة ب عنف وقالت ب إقتضاب: عشان نبقي خالصين...

ثم إتجهت إلى الغُرفة المُخصصة ب تبديل الثياب..ليضحك أحمد ب سعادة

وهو يهمس

-مجنونة والله...

وضعت الثوب على المقعد بـ غُرفة التبديل ثم قالت وهي تنزع سترة الثوب
الذي ترتديه بـ غضب

-البجح طالب مني أقيسيه عشان خاطر الهانم اللي بيحبها..وأنا الغبية اللي
فكرت إنه بيحبني...

زفرت بـ ضيق وكادت أن تنزع كنزتها ولكنها شهقت وهي ترى الباب يُفتح ويده
توضع على شفيتها تمنع صرخة تكاد تنفلت من بين شفيتها..وجسد ضخم
يضغط على جسدها لتصطدم بـ الحائط خلفها

إتسعت عينيها وهي ترى تلك النظرة المُخيفة بـ عينيه وهو يردف بـ فحيح
-أخيرًا بين إيديا....

إتكئ إلى الحائط يتعجل خروج والده من غرفتها..كان قلبه يقرع ك الطبول
وهو يستمع إلى ما تفوهت به تلك السيدة..إستمعت إلى تهديده ف إستيقظت
حينها حاول الدلوف ولكن المُمرضة منعتة قائلة

-إستنى الدكتور مُحي..هو يفهم أكثر منك

-هدر ب عصبية: أنا كمان دكتور

-ردت هي ب المُقابل: بس بقالك كثير ما مارستش المهنة..ف إستنى الدكتور مُحي

أحسن...

لم يعلم كيف تسلح ب الصبر حتى أتى والده مُنذ ما يقرب العشرون دقيقة

وهو ب الداخل..زفر رائف ب غضب وهو ينظر إلى ساعة معصمه والتي تدل

على أن والده أكمل الواحد والعشرون دقيقة مع زوجته

هدر ب عصبية وهو يضع يده على مقبض الباب

-لااا..أنا كدا مش هستحمل...

وقبل أن يُحركه كان والده قد فتح الباب و خرج..حاول رائف النظر ب

الداخل ولكن مُحي أغلق الباب وأدرف

-إيمان جوه بتغيرلها هدومها

-تساءل رائف بلهفة: وهي عاملة إيه؟

-إبتسم مُحي ثم قال وهو يربت على منكبه: متخافش هي كويسة جدًا

كمان..بس الإصابات الجسدية هتاخد وقت عما تخف

-مش مهمم..المهم إنها كويسة ورجعتلي

-رد عليه أحمد: الحمد لله..إن شاء الله ترجعلك أحسن من الأول...

لم يشعر رائف بنفسه إلا وهو ينحني ويُعانق مُحي الذي تجمد من

المُفاجأة..إلا أنه عانقه هو الآخر ب قوة وعيناه تطفران عبرات السعادة..سمع

صوت إبنه يردف ب تحشرج

-شكرًا..شكرًا يا بابا...

-تأوة مُحي وهو يقول ب نبرة حارة: ياااه يا رائف..أخيرًا يا حبيبي سمعتها

منك..أنا كنت خاص فقدت الأمل...

إبتعد رائف عنه ثم جذب يده يُقبلها مما جعل مُحي يربت على خُصلاته ثم

سمع همهمة

-أسف..بس كنت محتاج أفوق وأعرف إني مليش غيركوا..أنتوا سند بجد...

أزال مُحي عبراته وهو لا يستطيع وصف روعة المشاعر التي يحسها وإبنه قد

عاد إليهم..جذبه مُحي يُعانقه بقوة وكأنه لا يُصدق ما حدث الآن

أبعده مُحي عنه ثم قال وهو يحمل حقيبتة التي سقطت

-يلا خش شوف مراتك..يلا

-إبتسم رائف وقال: ماشي...

فتح الباب وقبل أن يدلف نظر إلى والده ثم قال وهو يُشير إليه

-قدمنا كلام كثير أوي...

أوما مُحي وقد أحس أنه عاد إلى الحياة مرةٍ أُخرى

دلف رائف ليجد إيمان الممرضة تضع وسادة أسفل ساق زهرة المُجبرة ثم
قالت وهي تعتدل ناظرة إليه

-حمد لله على سلامتها...

أوماً رائف دون وعي وعيناه تتشرب من ملامحها تُشبع جوعه المشتاق إلى
دفع النظرة التي تُطالعه بها

أغلقت إيمان الباب ولكنهما كانا ب عالم غير العالم...ينظران إلى بعضهما
وكأنهما يتأكدان من سلامتهما

فتحت زهرة ذراعها السليم وقالت ب نبرتها الرقيقة

-تعالا...

تقدم ب ببطء يُحرق بها جيداً قبل أن يتحرك أسرع يضمها إليه ب حنو خوفاً
أن يؤلم جسدها المنهك..سمعتة يتأوه ب حرارة ثم همس وهو يضع وجهه ب
عُنقه

- اااا يا زهرة.. وحشتيني أوي

- وأنت أكثر...

قالتها وهي تلف يدها حول عنقه تتلاعب بـ خُصلاته.. إبتعد عنها بعد مُدة و

حاوط وجهها يسألها بـ عدم تصديق

-أنتِ صاحية وبتكلميني!

-إبتسمت ثم قالت وهي تتلاعب بـ ذقنه: وبحضنك كمان...

إنتهى وقت المرح ليهبط إلى شفيتها الباهتة يُقبلها بـ شغف وكأنه يتأ من

سلامتها بـ طريقته.. صعد على الفراش و أكمل ما يفعله ويتعمق أكثر وهي تزيد

من جنونه بـ تمسكها به

إبتعد عنيت عندما إنحصر الهواء عن رئتئهما.. ولكنه بقى يطبع عدة قُبلات

خفيفة ثم إستند على جبهتها يُبعد خُصلاتها هاتفًا بـ نبرة مُشتاقة

-دلوقتي الحياة ردت فيا تاني...

إبتسمت وهي تُغمض عينيها لتسمعه يهمس وشففتها تتلمس شففتها بـ قُبلات
أُخرى أكثر خفة

-أنا جسد بلا روح من غيرك..أصل روجي فيك...

الفصل الخامس عشر

ضربات قلبها كانت تضرب بـ قوة جعلتها تتألم..عيناها تنظران إليه بـ رهبة
ممزوجة بـ الهلع الذي أثار غرائزه بها..صرخات مكتومة خرجت منها ولكنه

كان يكبحها..جسده الضخم يضغط على جسدها يُكبل حركتها

أغلقت عينيها بـ نفور وهو يقترب منها ويهمس بـ فحيح ماكر

-أخيرًا بين أيديا يا نهلة...

وضع أنفه بـ وجنتها يشتم رائحتها لتسقط عبراتها بـ قهر غيرُ قادرة على الصُراخ..ثم همس

-متعرفيش بقالي أد إيه بحلم بيك..بحلم تكوني بين إيديا...

سار بـ يده على وجنتها نزولاً إلى عنقها حيث بقى بـ إيهامه هُناك يتحسس ذلك العرق النافر ثم أكمل حديثه وهو يُحدق إلى زرقاوتها الهلعتين

-سنين يا نهلة وأنا مستني اللحظة دي..بس مش وقته..مش وقته أخذك معايا...

تصاعدت أنفاسها بـ قوة وقد بدأت تشعر بـ إختناق ليقول هو بـ نبرةٍ خفيضة -أنا هسيبك دلوقتي..بس مش لوقت طويل..ولحد الوقت دا متخليهوش يقرب منك...

ثم طبع قُبلة عنيفة على عنقها ورحل..لتسقط هي على الأرض تحتضن رُكبتها تبكي بـ إرتجاف لذلك الموقف الذي وُضعت به

وب الخارج عندما تأخرت نهلة وأثارت قلق أحمد..توجه إلى حيث توجد وطرق

باب الغُرفة ونادها ب قلق

-نهلة!..أنتِ كويسة!!...

إنتظر يسمع ردها ولكنه لم يسمع سوى نشيج صادر من الداخل..تصاعد

الخوف والقلق ليطرق ب قوة أكبر هادراً

-نهلة في إيه!..إفتحي الباب دا...

جن جنونه وهو يستمع إلى نشيجها يتعالى مع شهقات مزقت البقية الباقية

من عقله..ضم قبضته وطرق على الباب ب قوة أوشكت علة تحطيمه وصرخ ب

حدة

-نهلة بقولك إفتحي الزفت دا...

ولكنه لم يترك لها الوقت لكي تفتح إذ ضربه بـ كتفه مُسببٍ كسره لينظر بـ أرجاء الغُرفة ف وجدها متكومة على ذاتها وتبكي بـ أحد الأركان..تقدم منها دون تفكير ثم جثى على رُكبته ليتساءل وهو يضع يده على ذراعها

-نهلة!..مالك ردي عليا!...

ما أن وضع أحمد يده على ذراعها حتى صرخت وظلت تضرب صدره بـ كفيها..تفاجئ هو من رد فعلها ذاك ولكنه أمسك يدها وضمها إلى صدره مُتشدقًا بـ تعجب

-أنا أحمد يا نهلة..مالك في إيه!...

كانت يدها تُحاول دفعه بعيدًا عنها ولكنه جلس على الأرض وضمها أكثر يربت على خُصلاتها هامسٍ بـ أذنها بـ طُمأنينة

-إهدي يا نهلة..إهدي يا حبيبتي..ركزي ف صوتي وهتلاقني أحمد...

توقفت عن حركتها وبدأت تستعيد أنفاسها المسلوقة لتنظر إلى عيناه اللتين
تُناظرها بقلق لتهمس قبل أن تغيب عن الوعي لما تعرضت له من ضغط

-أنا خائفة

-هدر أحمد ب عصبية: نهلة!!..نهلة!!..فوقي...

زفر ب يأس ليضع يده السليمة حول خصرها ثم رفعها مُحاولاً حملها ب طريقة
تجعله يتدارك ثقل جسدها..واتجه إلى الخارج..كان الجميع يقف وينتظر أن
يعلموا ما سبب تلك الضجة..حتى تفاجؤا ب أحمد يحمل تلك الشابة والتي
يظهر على ملامحها الذبول والرعب

نظر أحمد إلى العاملة وقال ب أسف

-أي خسائر أنا هتحمليها والفيستان لو سمحت هاخده..بس أنا حالياً مراتي
تعبت ولازم تروح المستشفى...

أومأت العاملة ليرحل هو بعدها..قام ب إيقاف سيارة أجرة ليصلا إلى المنزل

وعلى الجانب الآخر من الطريق كان يُشاهد ما يحدث ب غضب وعينيان

تشتعلان غضبًا..ليُدير المُحرك ب عنف هادرًا ب نبرة شيطانية

-موتك على إيدي...

-خلاص يا رائف مش هقدر أكمل أكثر من كدا..كفاية...

قرب الملعقة من فمها وقال ب نبرة أمره

-إفتحي بوقك..آخر ملعقة

-لوت شدقها قائلة ب غيظ: من نص ساعة وأنت بتقول كدا

-ليرد ب بساطة: طيب يعني لسه في قابيلة للأكل..يلا إفتحي بوقك...

نفخت ب نفاذ صبر لتفتح فمها على مضض تستقبل ما يُقدمه من الطعام

إلها..ليقول ب إهتمام

-حاسة ب إيه يا زهرة!..يعني الوجع؟!

-ردت ب هدوء: وجع خفيف ف كل حنة غير دراغي المكسور..والرضوض اللي ب

رجلي..غير كدا تقدر تقول صحتي بومب

-إبتسم وقال ب تهكم: ماشي يا عم البومب

-متتقريش عشان مفرقعش ف وشك...

وضع الطعام بجواره على الطاولة ثم وضع يديه حول جزعها العلوي الشبه

جالس ثم قرب وجهه منها وهمس ب مكر

-وريني هتفرقي إزاي!..أصلي بقالي مُدة وحشاني الفرقعة

-زمت شفيتها ثم قالت ب خجل: بلاش قلة أدب يا رائف..عيب كدا على

فكرة..أنا واحدة مريضة والمفروض تراعي يعني

-إقترب أكثر ثم أكمل ب عبث: وأنا!..أنا مين يراعييني يا مفترية...

وضع قُبلة خفيفة على أنفها ثم همس وهو يبتسم

-أنتِ لازم تخفب بسرعة يا ست زهرة عشان دا غلط عليا

-ضيقت عينيها وقالت ب تهكم: غلط عليك ليه إن شاء الله!

-غمزها ب عبث وقال: لم تخفي وترمي عضمك هقولك...

عضت على شفاها السفلى ب خجل ونكست رأسها غيرُ قادرة على مُجاابه

طوفان المشاعر الذي تُرسله عيناها

وضع يده أسفل ذقنها ورفع رأسها إليه ثم قال وهو يتشرب من قدحي القهوة

-تعرفي إني إتصالححت مع بابا

-إتسعت عينيها وقالت ب غباء: بابا إزاي!...

ضحك وهو يعتدل ليجلس بجوارها ثم قص عليها ما حدث وما فعل الجميع

من أجله..لتبتسم ب عذوبة قائلة

-كنت عارفة إنك مش هتخذلني

-قبّل جانب شفاها وقال: كل دا عشان أنتِ روضتيني

-إبتسمت وقالت: لأ عشان أنت أب ومش هتستحمل إبنك يعمل كدا..وبعدين

أنا عاوزة أشوف غيث..هشوفه أمتي؟

-ف أقرب فرصة يا حياتي..لأن حاليًا أنا متراقب وبجيلك ب شق الأنفس والله

-همست ب حزن: بس هو واحشني

-رد عليها ب تعاطف: عارف والله..عارف ومُتأكد..بس إستحملي يا حبيبتني

عشاني وعشانك وعشان كل اللي بنحيمهم...

قطع حديثهم طرق الباب لتدلف إيمان قائلة ب نبرتها الباردة ك العادة

-أنا عاوزة أشوف الجرح وأغير عليه...

نهض رائف وإتجه إليها..مد يده ب الطعام وأخذ صندوق الإسعافات ثم أردف

-خدي أنتِ الأكلِ دا وأنا هقوم ب الواجب...

نظر إلى زوجته ثم قال ب خُبث وهو يغمزها

-مش عاوز أتعبك معايا

-حركت إيمان منكبيها وقالت: أنت حر..لو إحتاجت حاجة أنا بره

-بعون الله مش هحتاجك...

خرجت إيمان ليتها هو إلى زوجته..حك كفيه ب بعضهما ثم قال ب خُبث

وعيناه تتفرس خجلها وتوجسها منه

-إستعنا على الشقى بالله

-أشارت ب تحذير: رائف إ عقل كدا وإهدى ها

-رفع حاجبيه قائلاً ببراءة: الله أنا عملت حاجة!..أنا بس هاخذ بالي من

مراتي..غلطت أنا يا ناس!

-ضيق عينيها وقالت: يا خوفي يا بدران...

ضحك رائف بقوة ثم قال وهو يقترب منها

-وهو بدران عمل حاجة!..دا غرضه أشرف من الشرف

-أنت هتقولي...

أمسك ب يده زُجاجة المُطهر وبعض الضُمادات والمراهم اللازمة ليقول وهو

ينظر إليها

-يلا إقلعي...

إستيقظ جهاد بعد وقتٍ طويل وكأنه لم ينم..نظر إلى نجلاء التي تنام على

صدره..لأول مرة يشعر ب هذا الكم من الراحة..ينام ويستيقظ وهي بين

أحضانها

تلاعب بـ خُصلاتها بـ خفة حتى لا تستيقظ..وتنفسه حاول السيطرة على
 علوها حتى لا تجفل وتبتعد..أصبحت جزء منه حتى وإن كان صغيرًا..أغلق
 جهاد عيناه وقال بـ همس

-الماضي بـ النسبالي عائق يا نجلاء..عائق مخليني مش عارف أعيش ولا أنسى...
 قَبْلَ جبينها فـ إستيقظت..تململت ونظرت حولها لتجد جهاد يطبق على
 جسدها..إنفضت وإبتعدت عنه ترمقه بـ غضب..ليبتسم هو قائلاً
 -طب صباح الخير...

لم ترد عليه..ليتهد جهاد بـ حرارة ثم تشدق دون أن يقترب منها حتى لا تخاف
 -أنا عارف كلمة أسف قليلة على اللي حصل بس أنا مكنتش فـ وعيي
 -أردفت بـ جمود: لو سمحت إطلع برة

-همس بـ عذاب: نجلاء...

وصلتها همسته المُعذبة لتنظر إليه ب صدمة قبل أن تردف وعيناها تعود
لجمودها بل ونبرتها تُصبح أقسى

-نجلاء معتش فيها حاجة..سرقت روحها وحياتها..قضيت على حقي ف
الحياة..رميتني ف البحر وقولتي عومي لوحذك..أنت بني آدم تستاهل اللي
بيحصل فيك..بتمنى من ربنا إن تدوق من نفس الكاس...

ضحك جهاد ب آسى ليرتفع حاجبها بدهشة..إعتدل ب جلسته ثم قال وهو
يضع رأسه بين يديه

-ومين قالك إني مدقوتش من نفس الكاس..أنا دوقت اللي ألعن منه
-هسمت ب تلعثم: مش..مش فاهمة...

إبتلع جهاد ريقه ب صعوبة وهو يُقرر لأول مرة الإفصاح عن ذبح براءته بل
وكل ما يُقاسيه عليه يرتاح أو يهدأ..عله يجد مرساه وكم تمنى أن تكون هي
مرساته..لذلك أردف ب نبرة قاسية بعض الشئ

-حكيتك حكاية عن طفل مبلغش سن التسع سنين.. طفل كان عايش حياته طبيعي بين أم وأب مبيتمنوش غير سعادة إبنهم ويضمنوله مستقبل كويس...

إختنق صوته وهو يكمل حديثه

-لحد أما أبوه مات.. أو هو اللي فكر كدا.. أمه كانت بتحب أبوه وعشان كدا قررت إنها تعيش عشان إبنها.. بس طلع واحد وغصب أمه تتجوزه.. وهنا بدأ عذاب الطفل اللي سمع ف يوم ان الواحد دا هو اللي قتل أبوه البننا.. الراجل الطيب اللي الناس قالت إنه وقع من على السقالة بتاع العمارة من الدور العاشر...

إختفى لون وجهه ثم أكمل وهو ينظر إلى عينيها التي تُطالعه بعدم تصديق

-سمعه وهو بيقول لواحد إنه لو عَرَف حد عن اللي حصل وإن هو اللي زقه من السقالة هيقتله هو كمان.. كان ساعتها طفل صغير معندوش أي فكرة يعمل إيه.. مكنش يقدر يعما حاجة غير إنه خاف.. غصب عنه والله.. مجرد

طفل محدش هيصدقه..ويكذب راجل كبير كان صاحب أبو الطفل دا
وإتجوز أمه عشان خاطر يربيه...

وضع يديه على وجهه ثم أكمل غير قادر على النظر إلى عينيها

-ف يوم سمع أمه بتنضرب من الراجل دا..طلع يشوف في إيه..تقدري تقولي
فضول..فضول دبح طفولته..مترحمش من ضربه ومن إهانتته..حزامه كان
بينزل على جسمه ويسيب أثر ف روحه قبل جسمه صعب يتمحي...

رفع نظره إليها وهو يراها ب حالة ذهول تام ثم أردف ب نبرة مُختنقة

-والجرح الأصعب إنه إغتال براءته..مش بس مرة لأ دا لسنين..سنين طويلة
إنتهاك جسدي ونفسي والطفل ساكت مش قادر يقول ولا يعمل
حاجة..الخوف الحاجة اللي مقدرش يتغلب عليه وقتها..عشان كدا كان
بيتمادي ب طغيانه..الطفل روحه إطفت وكره كل حاجة..إدبح بسكينة باردة
أخذت كل حاجة حلوة جواه..و كونت مسخ...

شہقت نجلاء وهي تضع يدها على فمها وقد بدأت تفہم أن ذلك الطفل لم

يكن سواہ..سمح ل الضعف ب السيطرة عليه ليقول ب نبرة شبه تہكمية

-أقدمك أعظم أعماله..أنا..أنا الطفل والمسح...

الفصل السادس عشر

أَيَحِقُّ لِي فِي غَيْرِهَا الْغَزْلُ

وَعَلَى فَمِي مِنْ قَلْبِهَا قُبْلُ

وَكَأَنَّي فِي عَيْنِهَا لَهَبٌ

بِفُؤَادِهَا الْوَلَهَانَ مُتَّصِلُ

يَبْدُو زَمَاداً حِينَ تَلْحَظُنَا عَيْنُ

وَحِينَ تَغِيْبُ يَشْتَعِلُ

وضعت إسراء يدها السليمة على ثوبها ثم قالت بـ توجس ونبرة صارخة

-أقلع إيه يا قليل الأدب!

-إدعى رائف البراءة وهو يقول: إيه دماغك دي راحت فين؟

-ضيق عيناها ثم قالت ب حنق: ف نفس المكان اللي راحت فيه دماغك...

إرتفع حاجبي رائف ثم ما لبث أن ضحك وقال ب مرح

-طيب في توادر ذهني ما بينا أهو

-إيه!..أنت بتقول إيه!!

-حمحم وقال: مش توادر ذهني معناه إننا بنفكر ف نفس الحاجة؟...

ضغطت على شفيتها كي لا تضحك ولكنها فشلت ف انفجرت ضاحكة لتقول ب

تقطع

-طالما..مش عارف..بتتفلسف ليه!...

إقترب منها أكثر ثم قال ب همسٍ وهو يرفع أحد حاجبيه

-أنت بتوهي الموضوع ليه!..مش قولت إقلعي!..يبقى تقلعي يا زهرة عشان رائف

بتاع زمان ميطلعش

-توترت وهي تقول ب تهكم: مين اللي ميطلعش؟..هو أنت راحم نفسك!

-كدا!!!!..طيب يا زهرة يا بنت أم زهرة...

إرتكز على رُكبيته ودنى منها ف إجفلت وتراجعت ب شئٍ من الخوف..ولكنه ثبتها

ب يده القوية ثم قال وشفتيه تقرب من خاصتها ب همسٍ

-فاكرة المستشفى يا زهرة!..شكلي هي الذكرى..وبدل أما يكون فتح هدومك

صدفة هخلي العبد لله يقوم ب المهمة دي

-عضت شفاها السفلى وقالت ب تلعثم: ع..على فكرة..مم..مممكن إيمان تيجي

فجأة..ووآآ..أنت بتعمل إيه!!...

صرخت سؤالها ب هلع ويده تتجه إلى أزرار ذلك الثوب الأزرق الخفيف

لتفتحها ب خُبث كما ملامحه تمامًا..ليقول وهو ينظر إليها بعيني ذئب مُفترس

-هاخد بالي من مراتي حبيبتى..الأمورة..أم لسان أطول مني شخصيًا

-رائف عشان خاطري...

قالتها ب أنفاس مُتسارعة ويده تُزيح الثوب عن منكبيها ليظهر أمامه أول جرح.. إمتعضت ملامح وجهه وتقلصت ب غضب.. أما عيناه التي رأت بهما إسراء

الجحيم كانت تحرق جسدها ب نظراته

ولكن بعدها ب ثانية كانت ملامحه ترتخي وهو يرفع عينيه الغاضبتين إلى عينيه المترعدين ليبتسم ب دفء قائلاً

-إيه بس يا زوزو!.. إجمدي كدا.. أنا لسه ف أول جرح...

غمزها ب عبث لتشهق ب خجل واضعة يدها على وجهها وهي تسمع صوت ضحكاته الرجولية تكاد تُمزق قلبها من فرط روعتها

إستشعرت يده تسير على الحرج ب خفة ف إقشعر بدنهما.. أزال الضمادة ب رفق وبدأ ب تطهير الجرح ومداواته.. فتحت عينها اليُسرى وأبعدت إصبعين ترى ما

يحدث في ذلك الصمت والسكون

إتسعت عينيها وهي تراه يميل إلى منكمها يوزع قُبلات رقيقة على طول الجرح
صعودًا إلى نحرها النابض..حاولت إبعاده ب قبضتها هاتفة والخجل يأكل
وجهها

-كدا..كدا مش هنخلص

-وضع قُبلة أخيرة أسفل أذنها ثم همس: وأنا مش عاوز أخلص...

أمسك يدها ثم قبل قبضتها المضمومة وهمس ب صوته الساحر

-مش عاوز اللحظات دي تخلص..لأن دا اللي ب إيدي حاليًا أعمله وأنتِ قدامي

ومش قادر ألمسك

-نظرت إليه ب نصف عين وأكملت ب خجل: كل دا ومش عارف تلمسني!..أومال

لو عرفت هتعمل إيه يا ظالم؟

-ضحك ثم قال وهو يغمزها: هعمل الهوايل يا روح الروح...

كلماته كانت كارثية.. ف أجبرتها على الضحك ليُزيل باقي الثوب عن منكبها الآخر
 فظهرت ثيابها الداخلية.. عض على شِفاه لتقول زهرة ب حنق وهي تضع يدها
 على جسدها

-عيب بقي.. كمل شغلك.. أنت لما كنت تعبان مستغلتش الموضوع دا.. ف خلي
 عندك شوية عدل

-إتسعت إبتسامته وقال ب عبته المُعتاد: بس كدا!.. أنا فكرتك يا شيخة
 هتطلبي لبن العصفور

-همست ب رجاء: عشان خاطرب بلاش كلامك دا يا رائف.. بس إنك مش رائف
 ابن الناس الكويسة اللي أعرفه

-قَبَّلها أسفل ذقنها وقال: لأ دا أنا صايح قديم.. وتربية حوارى أصلاً

-لوت شذقها قائلة ب إمتعاض: كنت شاكة أصلاً...

ضحك رائف ملء فاه هازاً لرأسه ب سُخرية..ساعدها ب التمدد على ظهرها
لتظهر الجروح ب معدتها..داواها رائف ب حنو ولم تخلُ من قُبلاته التي جعلت
إسراء تتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعها

عاودت الجلوس كما كانت ليُعيد وضع الثوب كما كان..جلس بجوارها وقال
-خلصت...

كانت زهرة مُخفضة لوجهها ف رفعته عندما سمعت صوته..كانت وجنتها
مُتوردتين حتى أنفها ليبتسم ب خُبث أثار إستفزازها لتهدر

-أنت قليل الأدب..ومفيش عندك دم يا رائف عشان بتستغل الموقف وأنا
مش مسمحاك...

كان يتكئ على مرفقه فوق رُكبته و وجنته تستند على كفه..ويبتسم ب
إستفزاز قبل أن يقول دون أن يغير من وضعيته

-مش مسمحاني!..تؤتؤؤ..ميرضنيش إن الست زهرة تبقى زعلانة
ومصالحهاش..هاتي راسك أبوسها...

وقبل أن تستدرك ما يقول كان يضع يده خلف عنقها يفرس أصابعه ب
خُصلاتها ثم جذبها إليه ف تلتقي شفتيه مع خاصتها في لحن عذب تعزفه
شفتيه ب حرفية وإتقان..يرعى زهرته الوحيدة ويُسيقها من رحيق عشقه ب
طريقته التي يُتقن فنونها وخباياها

طرق أحد الحارسين الباب ما أن وجدا أحمد بالكاد يحمل نهلة
ثوان و فتحت رحمة التي شهقت وهي ترى إبتها فاقدة للوعي..سألت أحمد ب
هلع

-بنتي جرالها إيه يا أحمد!

-بعد إذنك بس يا مدام رحمة..هدخلها الأوضة الأول...

أومأت ثم أفسحت المجال لهما ب العبور..عاونته رحمة على وضعها ب الفراش
وعملت على إفاقتها لتسأله ب جزع

-إيه اللي حصل!

-رفع منكبيه وقال: معرفش..كانت داخلة تقيس فستان ولما إتأخرت دخلت
أشوفها..ولما سألتها مالك قالتلي "خايفة" وبعدين أغمى عليها

-مسحت رحمة على جبينها ب حنو وقالت ب تعاطف: يا حبيبتي يا بنتي...

جلب أحمد إحدى قنينات عطرها ثم نثره على يده وقربه من أنفها..عاود تلك
التجربة عدة مرات حتى إستفاقت وهي تنتفض تسأل ب فزع

-إيه في إيه!!...

أمسكت رحمة ب يدها ثم قالت ب قلق

-أنتِ اللي فيه إيه!..أنتِ كويسة!!

-أومأت ب تعجب وتساءلت: إيه اللي حصلني؟!!

-تقدم أحمد وتساءل ب إهتمام: المفروض أنا أسألك السؤال دا..مش فاكرة

إيه اللي حصلك قبل الإغماء؟

-تساءلت ب غباء: إغماء إيه!..كل اللي أنا فكراه إنك خلتنني أدخل أجرب

فستان وبعدها مش فاكرة أي حاجة

-يا بنتي أحمد قال إنك آآ...

قاطعها أحمد ب تدخله وهو يُحذرها ب عينه لينظر إلى نهلة ب إبتسامة

-خلاص يا نهلة..ألف سلامة عليك..شكك كدا تعبتني من الخروج

-رفعت منكبها وقالت ب فتور: يمكن

-نظر أحمد إلى رحمة وقال: ممكن يا مدام رحمة تحضريلها حاجة خفيفة مع

شوية عصير وأنا هكتبلك دوا معين تاخده!

-نهضت رحمة على الفور وقالت: عنيا...

خرجت رحمة ليتبعها أحمد وما أن إبتعدا وأغلقا الباب سألته

-ليه مرتضش تخليني أسألها وأقولها؟

-حك أحمد جبهته وقال: عشان ممكن يحصلها إنتكاسة..وممكن يجيب

نتيجة عكسية ونرجع لنقطة الصفر...

إتجهت إلى المطبخ و بدأت ب إعداد الطعام لتقول وهي تضع القدر على الموقد

-طب إيه اللي خلاها تنسى!..مفيش سبب!..يعني لا إتعرضت لصدمة ولا

ضربت راسها ولا المخ إتأثر!..إيه سبب النسيان؟

-أجابها أحمد ب هدوء: ساعات المخ بيتصرف تصرفات ملهاش تفسير..وبعدين

إحنا منعرفش إيه اللي حصل..المخ عضو مهم وذكي بيحاول يحمي نفسه

ويحمي الجسم من ضرر ممكن يصيب الإنسان

-برضو مش فاهمة

-وضح أحمد: اللي قصدي أقوله..إن نهلة أكيد حصلها حاجة جوه..لأن خوفها
كان باين أوي زي ما تكون شافت عفريت..عشان كدا أنا هحاول أعرف إيه
اللي حصل بدون أما أزي نهلة...

أومأت رحمة وهي تُقلب محتويات القدر وقد رُسمت تعابير يائسة وحزينة
على وجهها إلا أنها إستعمت إلى نبرة أحمد الهادئة وهو يقول

-متقلقيش يا مدام رحمة..إن شاء الله خير..أنا هكلم الدكتور الخاص بيها
أستفسر منه وأسأله نعمل إيه

-شكرًا يا بني

-إبتسم وقال: على إيه بس!..دا واجبي...

ثم خرج تارگا رحمة تقف أمام الموقد تبكي بصمت هامسة

-ليه ولادي مش مكتوب ليهم الفرح أبدًا ولا يعيشوا حياتهم زي باقي
الناس!!!...

تقدم ب الممر المؤدي إلى عُرفتها حتى وصل..طرق الباب قبل أن يدلف ليجدها

جالسة على ذلك المقعدة..تضم ساقها إلى صدرها وتنظر إلى الفضاء

وقف برهه يتأملها ب صمت..كانت ترتدي سروال جينز يصل قصير و كنزة

فضفاضة ذات فتحة عُنق واسعة ف أبرزت عظمتي الترقوة

إرتسمت على فمه إبتسامة ليتقدم ويجلس أمامها..سألها ب خفوت

-عاملة إيه دلوقتي؟...

نظرت إليه ب نظرات فارغة تتذكر حديثه مُنذ ساعات

"كانت تضع يدها على فمها وهي تستمع إلى حديثه..هو أيضًا كان تضحية

أخرى لم يُلقِ أحدًا لها بالأ بل تعامل الجميع على عدم وجودها..كما هي تمامًا

نظر إلى عينها وقال ب إبتسامة فاترة

-شوفتي المسخ اللي قدامك هو أصلاً لسه طفل..طفل إتقتل جواه..متناقض
 كلامي أنا عارف..بس دي حالي يا نجلاء..ساعات كتير بحس إني طفل لسه
 مشفش الحياة..وساعات بحس إني مسخ هو نجح ف تكوينه...

أمسك يدها ف سحبها منه تُزيل بها عبراتها التي هطلت تعاطفًا ثم أردفت
 -لو فاكر إنك كدا هتصعب عليا ف أنت غلطان..أنت بدل أما تاخذ من اللي
 حصلك عبرة إتجبرت..محاولتش تتخطى اللي حصلك ف لسه عايش فدوامة
 أنا إتظلمت ف من حقي أظلم

-ضحك جهاد ب جنون وأردف: حقي إني أظلم لما إتظلمت ملقتش اللي
 يساعدني..محدث مدّ إيده والكل كان عارف بيحصلي إيه..بس هما أخذوا
 دور المُشاهد المتعاطف اللي بيقول دا ضحية وفين العدل...

نهض ثم ركل مقعد وإستدار إليه هاتفًا وهو يضرب على صدره ب غضب

-لو ما قوتش نفسك مش هتعرف تاخد حقك..لو مظلمتش هتفضل ماشي جنب الحيط زيك زي أي كلب مرمي ف الشارع بعد أما شوية عيال ضربوه...

مسح على وجهه ب يد ترتعش من الغضب ثم أكمل

-هنا ف بلدنا الطيب والملتزم حقه مهذور..هنا كله ماشي ب الدراع والنفوذ..لما تقوى هتعرف تقود..وأنا مش هسيب حقي اللي إستنيته من ولاد حتي يجيبوه..لكن كله قال "رحيم ميقدرش عليه غير ربنا"..واللي قال "أنا أخاف على عمري وعلى عيالي..راجل معندوش رحمة"...

أجفلت وهو يقترب منها ليُمسك ذراعها وأخذ يُحركها بين يديه هادرًا ب عنف -كله إتخلى عني وأنا صغير..ف لما أكبر أكيد هيتولد جوايا مسخ كاره كل الناس..و أولهم اللي إتخلى عني.. والمسوخ دا هو نفسه اللي مخليني عايش ب قوة..وهو اللي هيقول كل اللي ظلمه..دا كان كل تفكيري ولسه ما زال...

توقف عن هزها ثم قال وعيناه تفقد كل عنفها

-بس أنتِ صحيتي جوايا طفل فكرته مش هيطلع للنور أبدًا..أنا مش ضعيف
بس أنا محتاج أعيش وأنتِ فرصتي

-حركت رأسها ب هستيرية نافية: أنت مريض ول لازم تتعالج..اللي بتفكر فيه دا
هو الجنون ب عقله..وأنا مش هديك الفرصة دي..مش هسمحك تعيش بعد
أما قتلتني..."

حينها أخرسته تلك العبارة..ليتركها ب هدوء دون أن ينظر إليها ثم رحل..وها
هو يعود إليها بعد عدة ساعات..تنظر إليه ب فراغ وكأن رغبة الحياة والحرية
إنعدمت ب داخلها وهي تعي أنها ليست الوحيدة التي كانت ضحية مُجتمع
تفشى به الجهل أكثر من المرض

تنهد جهاد ب فتور وقال ب غلظة لم يقصدها

-إنسي اللي قولته قبل ساعات..مكنتش تقربًا فوعي

-رفعت منكبها وقالت ب لأمبالاة: ولا أصلًا يهمني..دي حاجة متخصصينش

-حلو...

أخرج من جيب بنطاله ورقة ثم وضعها على ساقها وقال

-شوفي وقولي رأيك

-أزاحت الورقة وقالت ب حدة: مش عاوزة أشوف ولا هوافق

-إلتقط الورقة ثم قال ب عنف: نجلاء!!!..بلاش تخليني أفقد أعصابي...

أمسك يدها ثم جعلها تقبض على الورقة وعينه تُحذرهما أن ترفض..زفرت ب

قنوط ثم فضت الورقة وقرأتها

تابعها جهاد وهو يرى عينيها كلما إنتقلت إلى سطر تزداد إتساعًا قبل أن

تنهض ب غضب هادرة وهي تُلقي ب الورقة ب وجهه

-أنت أكيد إتجننت..أنت فاكر إني ممكن أوافق على الكلام القذر دا

-وضع يده ب جيبي بنطاله: دا المخرج الوحيد اللي قدامك

-هدرت وهي تكور قبضتها: لأ..أنت واحد حقير..مُتخيل إني ممكن أوافق على

الجواز العرفي

-وليه لأ؟...

كان يسأل ب برود تام ف أطاحت ما فوق الطاولة التي بينهما قبل أن تتجه

إليه تضربه ب صدره هادرة ب غضب وشراسة

-لو عندك ذرة كرامة متخلنيش أشوف وشك تاني...

أظلمت عيناه ب شرٍ تام وهو ينظر إليها..أمسك يدها ثم أدارها ليواطه صدره

العريض ظهرها ثم همس ب أذنها

-إفتكري إني فرصتك الوحيدة عشان تخرجي من هنا

-صرخت وهي تتلوى بين يديه: مش عاوزاها...

تحركت يده على خصرها لتصرخ ب رفض ثم سمعته يهمس ب فحيح

-لو إيدي ملمستكيش ف إعرفي إن غيري هيلمسك يا نوجة..أنا فُرصتك
إستغليها كويس...

كانت تتنفس من فمها ب قوة وخصلاتها تتحرك إثر تنفسها السريع..ليتركها
بعدها ب هدوء ثم إنحنى يطوي الورقة ويضعها على مقعده ليقول وهو يتجه
إلى الخارج

-هسيبك تفكري..وياريت متسرعيش...

وخرج ب هدوء تاركًا إياها تنظر ب إثره ب كره وب داخلها رغبة عنيفة ب قتله

إبتعد رائف عنها ب بُطء وكأنه يرفض إبتعاده عنها..ثم نظر إلى عينيها
المُغلقتين ليرتفع ويُقبل جفنيها ب حنو هابطًا إلى وجنتيها يوزع قُبلاته الرقيقة
حتى هتفت هي ب خوف وتلعثم

-را..رائف..إيمان..تدخل

-خليها تدخل...

كان صوته أجشًا ، هامسًا وشفتيه تاركًا العنان لها تفعل ب بشرتها وبها

الأعاجيب..حتى هبط إلى عنقها مُقررًا دمه به طابع حبه

وضع يده على عنقها يُزيل خُصلاتها ثم أكمل عمله..أغمضت زهرة عينها وهي

تتنفس بسرعة هامية ب خجل

-رائف!..والله مش هقدر...

وهي ب الفعل عاجزة عن مُجاراه مشاعره المتوهجة ب شوقٍ إليها..تعلم كم

قاسى طوال تلك الأيام بعيدًا عنها..هي وحدها من تُعطيه الثبات..ف كيف..لا

يشتاقها

إبتعد رائف عنها والباب يُفتح دون طرق ف نظر إلى إيمان التي تضع يدها ب

خصرها ثم أردفت ب حدة

-كنت عارفة إنك مش هتسيب المسكينة ف حالها..من الأول مش مستريحة
أسيبك معاها وهي فايقة

-مسح على وجهه ب غضب وأردف من بين أسنانه: نعم يا مدام إيمان!

-نظرت إليه وقالت: لازم تمشي..بقالك كثير هنا..ودا غلط عليها وعليك

-ضيق عينيه وتساءل ب حنق: هو بابا معينك ممرضة ولا بودي جارد

-الأتنين...

إنتفخت أوداجه غضبًا لينظر إلى زوجته ب غية توديعها ولكنه وجدها تضع

يدها على فيها تكتم بها ضحكاتهما ليمس لها ب وعيد

-إضحك يا زهرتي دلوقتي..بس مترجعيش تزعلي مني بعدين

-أشارت ب عينها: مع السلامة يا رأوفتي..متتأخرش عليا بكرو

-قَبَل وجنتها وهمس ب غيظ: حقي هعرف أخده كويس...

ثم نهض ونظر إلى إيمان ب غضب ليضع يده على نحره وحركها ب معنى أنه
سيقتلها ولكن نظراتها لم تهتز ليخرج..إنفجرت زهرة ضاحكة ف إبتسمت
إيمان قائلة وهي تتجه إليها تُعدل من جلستها

-جوزك مجنون

-ردت عليها زهرة ب إبتسامة دافئة: لأ جوزي عاشق...

الفصل السابع عشر

عسى

حين تكونين حرفاً

أن أمسك طير الفرح بقلبي

بعد أربعين قرناً من الطيران الأعلى

عسى

أن ألتقي نقطتي فألتقط منها طلسماً للحبّ والطمانينة

وألتقي هلالاً فأراه يركض نحو العيد

صعد رائف درجات السلم وهو يضع سترته على كتفه ليتذكر ذلك اللقاء

القصير مع نجلاء

"عودة إلى وقتٍ سابق"

عندما دلف إلى ذلك المكان وقد حرص على تصوير كل إنش به ب آلة التصوير الصغيرة الموضوعة ب جيب سترته بناءً على تعليمات الضابط سمير.. وإتجه إلى المكان المنشود وجد نجلاء جالسة مع جهاد تنظر إليه ب ضيق شديد ولكن لم تُخفَ عليه تلك الرجفة التي تأكل بدنها

إتجه إلى مكان تواجدهما وقبل أن يضع جهاد يده على خصر نجلاء كانت يد رائف تسبقه وتمنع وصوله إليها.. نظر إليه الأول ب غضب ثم هتف من بين أسنانه

-في حاجة يا رائف بيه!

-تشدق رائف ب برود وهو يُبعد يده: لا أبدًا.. بس أنا جاي عشانها

-إحتقنت عينا جهاد وهدر ب عُنف: بس هي مشغولة النهاردة.. شوفلك حد غيرها...

إرتفع حاجبي رائف ب تهكم قبل أن يدنوا ب جزعه العلوي ويهمس ب أذنه ب
خُبث

-مش دي اللي حطيتها ف طريقي عشان توقعني يا جهاد؟..مش دي كانت
الطعم زي مراتي اللي قتلتوها؟..

أمسكه رائف من تلايبه وقد تحولت عيناه الباردة إلى أخرى شرسة ثم هدر
ب صوته الجهوري مما جعل العديد من الأوجه تلتف إليهما

-مش كانت خطتكم إني أرجع هنا للمكان دا زي الكلب..عشان كدا قتلتوا
مراتي..عاوزين تلتقموا مني..وفعلاً نجحتوا ف كدا..وأديني أنا هنا قدامك زي ما
خطتت بالضبط أنت وال** اللي مشغلك...

نظر جهاد إلى نجلاء التي إنكمشت على نفسها ب خوف ولكن نظرة الكره
والإشمئزاز التي ترمقهما بها أو هو على الأخص كانت الدافع ب أن ينتقم منها

لرفضه.. أن تستبيحها يداً أخرى ف دفع رائف ثم أردف بعدما تجرع كأس
الخمير دُفعةً واحدة

-إشبع بيها...

دفعه لكي يمر بجواره وشياطينه تُلاحقه ب لا رحمة.. عدل رائف سترته ثم
أشار لنجلاء ب أن تنهض وتتقدمه وب الفعل قد فعلت.. وصلا إلى الغرفة
المخصصة لتجلس على الفراش وهو يجلس على الأريكة أسفل النافذة

كان أول من قطع الصمت ب سؤاله الهادئ

-سجلتي اللي قولتلك عليه...

أخرجت من جيب سترتها ذلك المسجل الصغير وأعطته إياه قائلة

-كل حاجة.. أعتقد إن جوز أمه هو اللي ورا الموضوع دا

-نظر إليها رائف سريعاً وقال: مُتأكدة!!

-أومأت ب تأكيد قائلة: هو اللي قالي ب نفسه..غير إني شوفته شخصياً زي ما

قولتلك قبل كدا

-يعني هو مش شغال هنا زيه زي جهاد؟!...

حركت رأسها نافية قبل أن تُسهب في شرح ما لم تستطعه قبلاً

-لأ هو اللي بيدير المكان..حرية الحركة وهو بيسمع كلامه..زي العبد كدا...

ثم أكملت الحديث عما تعرفه دون التطرق إلى ما أصاب جهاد..لم تعلم لما

ولكنها تمنعت..وشرحت كيف يتم الأمر ومن يُساعدهم ب الخارج

تشدق رائف وهو يحك ذقنه

-تمام كدا...

نهض وقال دون النظر إليها

-أنا همشي مش هقدر أقعد أكثر من كدا

-حركت رأسها ب موافقة وقالت: طيب...

تحرك خطوتين ولكنه عاد وقال ب إبتسامة

-الظابط اللي ماسك القضية قالي إنهم قبضوا على البنت اللي جابتك هنا

وبحققوا معاها..خروجك من هنا قرب...

إتمعت عيناها ب عبرات لتشهق واضعة يدها على فمها وهمست

-بجد!

-أوما ب تأكيد وأكمل ب نفس الإبتسامة: بجد..خلي بالك من نفسك يا

نجلاء..حافظي على نفسك عما تخرجي كلها حكاية وقت...

ثم فتح باب الغُرفة ورحل..أما هي لم تستطع كبح عبراتها التي هطلت ب

كثرة..لا تعلم أسعادة أم أن كلماته أصابتها ب مقتل وأنها خسرت نفسها على

يد ذلك الطفل المسخ

"عودة إلى الوقت الحالي"

وصل إلى الطابق الخاص به..حيا الحارسين وقبل أن يدلف سمع أحدهم

يهتف ب اسمه

-رائف!!!...

بعدما خرج رائف من الغرفة وتركها تبكي..توجهت إلى الشُرفة تقف بها ناظرة

إلى السماء تتمنى الحُرية وتتوقع ما هي ردة فعل عائلتها ما أن تعود

إلتفتت ب صدمة وهي ترى باب الغرفة يُفتح ب همجية و جهاد يدلف وعيناه

خيرُ دليل على حالته..تمسكت ب سور الشُرفة من خلفها وحبست أنفاسها

وهي تراه يقترب منها

توقف على بُعد إنش واحد حتى أن أنفه طال خاصتها قبل أن يهمس ب عُنف

-حصل إليه!...

كانت تُغمض عينيها خوفاً منه ومن أنفاسه التي تحرق بشرة وجهها ف لم

تستطع الرد..لتسمع يده تضرب السور من خلفها وصرخ ب جنون

-إنطقي يا نجلاء

-صرخت هي ب المقابل ولكن خوفاً: محصلش حاجة...

إرتسمت الصدمة على ملامحه قبل أن يُردد ب خفوت

-محصلش حاجة!..محصلش حاجة إزاي؟!

-أجابته ب تهدج: ملمسنيش...

إزداد الصدمة قبل أن ينفجر ضاحكاً ف فتحت عينيها تُحدق به ب غرابة

مُمتزجة ب الخوف..حاولت دفعه ب صدره ولكنه أمسك يدها واضعاً إياها ب

مكانها ثم دنى يهمس وهو يتنفس رائحتها

-بتعملي إيه من ورايا يا نوجه!..ها قوليلي بتقرطسيني إزاي!...

شحبت ملامحها وعلت ضربات قلبها حتى ظنت أنه يسمعها..لُغْمَضَ عَيْنِهَا
وهي ترد بـ تلعثم

-مش..مش فاهمة..قص..قصداك إيه!

-ضحك جهاد وقال: مش فاهمة!..رائف الأسيوطي بيعمل إيه من ورايا؟..يعني
بيحاول يسجنا مثلاً!...

لم ترد عليه بل زاد تشبثها بـ السور خلفها وأظافرها تحتك بـ الطلاء..ليدنو
أكثر وهو يصعد إلى فكها..ثم أكمل همسه
-هممم!..مستني ردك يا نوجه...

إبتعد عنها ونظر إلى ملامحها المترعبة ليضحك ضحكة مكتومة ثم تشدق بـ
مرح لا يشعر به

-قولي يا حبيبتي..قولي ومتخافيش مش هتصعب ولا هزعل منك

-أخرجت تنفس مُرتجف من بين شفطها وهمست: إبعد عني...

إلتوى فمه ب شبه إبتسامة ليضع يده على خصرها يُقرها منه والأخرى ترك

يدها ليُمس بها على صدغها ثم أدرف وعيناه تفقد كل مرحها

-هبعد..بس لما أعرف كل حاجة..وأنا عارف إنك مش هتكدي عليا عشان أنا

محبش الكذب..وبزعل وأنا زعلي وحش جداً جداً...

خارت قوى تماسكها لتُسقط رأسها على منكبه باكية ب عنف أثار دهشته

ليضع يده على خُصلاتها ويهمس

-نجلاء!

-إرتخت يديها وهمست ب تعب: أنا تعبت وعاوزة أمشي من هنا..حاسة إني

بتخفق واحدة واحدة...

نظرت إلى عينيه بعذاب عليها تستميل قلبه وقد حدث..ف عيناه تحولت إلى

رقة القلق لتقول وهي تقبض على قميصه

-لو عندك ذرة رحمة واحدة هتسيبني أمشي من هنا..لو صحيح بتحبني زي ما بتقول خليني أرجع لماما..أنا هموت والله هموت..أنا آآ...

لم تستطع المواصلة ف أجهشت ب بُكاءٍ عنيف..ليضع جهاد يد أسفل رُكبيتها والأُخرى أسفل ظهرها وحملها..ب قرارة نفسه يعترف إنها تُذكره ب ذلك الطفل الذي بكى كثيراً..تُذكره ب ضعفه وقلة حيلته عندما تخلى الجميع عنه..تُذكره ب بعض الشفقة الذي يمتلكها جانبه الإنساني الذي لم يستطع طمسه

وضعها على الفراش ثم قال وهو يجثو أمامها

-نجلاء!!..بُصيلي...

حركت رأسها نافية وهي تضع يديها على عينيها ليُبعدهم هو قسراً ثم أكمل
ب صرامة

-قولتلك بُصيلي...

فتحت جفنيها لتنظر إليه ب عينين مُتورمتين وشهقاتها لا تستطيع كبحها
ليقول ب جدية

-إحكي لي كل حاجة..و وعد مني هنفذلك كل حاجة..أنتِ حاجة مينفعش
تكون ف المكان دا..حاولي تثقي فيا

-هدرت من بين شهقاتها: إزاي أثق ف واحد زيك أخذ مني كل حاجة!..إزاي
عايزني بعد كل دا أفكر أثق فيك لمجرد إني عيظت قدامك وأنت مُستعد
تساعد عشان مزاجك كدا؟

-أمسك رأسها وصرخ: مش مزاجي..عشان بحبك..أيوه ليه مش مُقتنعة!..والله
حبيتك ظهريتي ف وقت فكرت فيه إن كل جانب إنساني فيا إتقتل..صحيتي
فيا الطفل اللي إدبح ب سكينه تلمة..أنا مش ملاك وعارف إني هتعاقب على
كل اللي بعمله..بس أخذ حقي وبعدها مش عاوز حاجة...

وضع جبهتها على جبهته وأكمل ب نبرة خافتة ، مُعذبة

-لأ هعوزك أنتِ..هختارك يا نجلاء من وسط ألف

-إزاي عاوزنا نكون مع بعض وإحنا طرقتنا مُستحيل تتلاقى!..أنا مش هقدر

أكون مع واحد وأنتفس نفس الهوا اللي هو بيتنفسه لأنه ف يوم دبطني زي ما

هو إدبح بالظبط...

إبتلع جهاد ريقه ب صعوبة يبتلع تلك الغصة المُسننة ب حلقة لهتف بعدها ب

جمود أجاده

-إحكي لي رائف بيحي هنا ليه وإشمعني أنتِ؟...

أغمضت جفنيها وقد إستسلمت لليأس ف إن هربت من ذلك المكان لن تهرب

منه أو من تلك الذكرى التي ستمعنها باقي حياتها من العيش ب طبيعية ثم

أردفت بجمود ونبرة ميتة

-قالي إنه هيساعدني إني أخرج من هنا..ومش كدا وبس..لأ دا هيقفل المكان

دا..وهينضفوا من أمثالكوأ...

توقف رائف ما أن سمع أحدهم يهتف ب اسمه ليلتفت ف وجده أحمد لیتجه
إليه ويقول ب تعجب

-مالك يا أحمد قاعد زي المتسولين كدا لیه!...

كان أحمد یجلس على أحد درجات السلم المؤدي إلى الطابق الأعلى لينظر إلى
رائف من أسفل وابتعد قليلاً قائلاً ب إنهاك

-إقعد يا رائف..إقعد عاوزك ف موضوع

-مينفعش يتأجل!

-حرك رأسه نفيًا وقال: لأ..بخصوص نهلة...

ما أن سمع اسم شقيقته حتى جلس رائف وهتف مصعوقًا

-مالها نهلة!..طب تعالا حتى نتكلم جوه

-تأفف أحمد وقال: وهو أنا لو مش عاوز نهلة تسمع هقعد هنا برضو!!

-طب قول...

بدأ أحمد ب سرد ما حدث صباحًا ورائف يستمع ب إهتمام قبل أن يهدر ب

جنون وهو يُمسك بتلابيب الآخر

-غبي عشان كدا قولتلك متخرجهاش من البيت

-أزاح يده وقال: يا بني آدم إفهم..أختك نست الي حصل..تقريبًا عقلها

مستوعبش الصدمة..فما فقدت الوعي نست كل حاجة

-عضت رائف شِفاه السُفلى وأدرف ب غضب: والحل

-هروح بكرة أكلم الدكتور بتاعها..وأنت و المدام رحمة متخلوهاش تحس

بحاجة..إتعاملوا ب طبيعية...

نهض رائف دون أن ينظر لأحمد ودلف شقته..ألقي سترته على المقعد المجاور

لباب الشقة ثم إتجه إلى عُرفته أبدل ثيابه وخرج

ليجد نهلة تتجه إلى المطبخ ف تبعها

فتحت الثلجة لتأخذ قنينة ماء لتنتفض على صوت شقيقها

-صاحية تشربي مائة ساعة!...

مسحت فمها ثم إستدارت لتجد رائف ينظر إليها رافعًا لحاجبه..وضعت يدها

على صدرها وقالت

-خضتني الله يسامحك

-جذب القنينة منها وقال: بلاش تشربي مائة وأنتِ لسه صاحية

-ليه!

-أجابها ب بساطة: غلط...

فتح القنينة ثم شرب منها وجذبها معه لتقول نهلة ب عقدة حاجب

-واخذني ورايح فين!

-هنام أنا وأختي

-تضرجت وجنتيها بـ خجل وتساءلت بـ توتر: أنا وأنت إزاي؟!...

دلف إلى الغرفة ثم قال وهو ينظر إليها بـ دفء

-زي الناس..متخافيش يا نهلة..عاوزك تثقي فيا..ف توأمك...

إبتسمت بـ بُطء ثم أومأت بـ موافقة..ليجذبها إلى الفراش وتمدد عليه ثم

جذبها لتنام على صدره..قَبَّلَ رائف جبينها وأردف بـ مرح

-خدي بالك محدش نال شرف إنه ينام معايا غير زهرة..شوفي بقى مكانتك

عندي إيه

-ضحكت نهلة وقالت: يعني نولت الشرف!

-أوما مُهممًا: أها..خليها فـ سرك بقى

-ردت عليه بـ مكر: حاضر مش هقول غير لزهرة بس...

ضرب رأسها بـ كف يده لتضحك بـ مرح ف ضحك هو الآخر وعاد يُقبل رأسها

ثم همس بـ عذوبة

-تصبحي على خير يا توأمتي

-قَبَّلت وجنته وقالت: وأنت من أهل الخير يا رأوفة...

في صباح اليوم التالي

توجه أحمد إلى ذلك المحل الذي وقع به الحادث بعد أن ذهب إلى صديقه

الطبيب النفسي وأخبره بما حدث ليأتيه رده

-بلاش يا أحمد تخليها تفتكر..كدا ممكن يكون غلط عليها..شكها كدا

إتعرضت لصدمة كبيرة ف مستوعبتش اللي حصل..حاول أنت تعرف وتبلغني

عشان أقولك نتصرف إزاي...

لم يُها تف رائف بل قرر أن يتخذ تلك الخطوة بـ نفسه

صف سيارته أمام المحل و توجه إلى الداخل حيا العاملة وسدد مُستحقات

المحل بما سببه من أضرار وكذلك ثمن الثوب الذي إنتقاه خصيصًا

دنى من العاملة وقرب منها مبلغ مالي ثم همس

-ممكن خدمة!...

أخذت العاملة المبلغ المالي لتضعه ب حقيبتها ثم قالت

-أؤمر يا باشا

-عاوز اشوف الكاميرات بتاع المراقبة..شرايط إمبارح

-لوت شدقها ثم قالت ب تردد واهي: بس يا باشا آآ...

وضع أحمد ورقة مالية فئة المئتين لتأخذها ب إبتسامة واسعة..لتعبث ب

الحاسوب أمامها وجعلته يُشاهد مقاطع أمس

قبل وصولهما كان كل شيئاً على ما يُرام..ولكن بعد أن دلفا ودلفت نهلة إلى
 الغُرفة التبديل حتى وجد شخصاً ما يدلف من الباب الخلفي للمحل ولكن
 لم يتبين ملامحه

إتسعت عينا أحمد وهو يرى ذلك الشخص يدلف نفس الغُرفة التي بها
 نهلة..كور قبضته ب غضب واحتقنت عيناه ثم أطلق السباب وقد علم ما
 أصابها

خرج دون أن يرد على العاملة..إنحنى أحمد يضع يده السليمة على رُكبته ثم
 زأر ب صوتٍ جهوري..ليتجه إلى سيارته وقبل أن يصعد ركل إطارها ب غضب
 ثم صعد وأدار مُحركها ورحل

-يا رائف بتعمل إيه بس!!...

تدمرت زهرة وهي ترى رائف ينحني ويحملها بـ خفة وكأنها لا تزن شيئاً فـ

أدارت يدها السليمة حول عنقه خشية أن تقع ليُجيبها رائف بـ مرح

-هخليك تشي شوية هوا يا زهرة..مزهقتيش من القعدة دي!

-سألته بـ تردد: بس كدا مش غلط؟

-وهو لو كان غلط كنت طلعتك!...

إتجه بها إلى الشُرفة ليجلس على أرجوحة خشبية ثم أجلسها على ساقيه

لتقول زهرة بـ خجل

-عيب يا رائف

-داعب أنفه بـ أنفها ثم قال بـ عبث: متخلكيش خفيفة كدا أو مال..محدث

هنا ولا هيشوفنا فـ الهو دا..حتى إيمان سربتها عشان يخلي الجو لينا...

غمزها بـ عبث لتشهق وهي تستشعر يده تتسلل أسفل كنزتها لتضرب يده

مُزجرة بـ غضب وخجل

-إحترم نفسك..يعني أنت مطلعني البلكونة عشان تقل أدبك!

-ضحك وقال: حاجة زي كدا...

لوت شدقها ب غيظ ولم ترد عليه..ليضحك رائف ب خفوت..ثم جذبها ليضع

رأسه على صدرها ف تفاجأت من حركته المبالغتة ولكن ما لبثت أن حاوطت

رأسه مُداعبة لُخُصلاته ليمس بعدها

-إشتقت لنومي ف حضنك..وحشني نومي على رجيليك وأنا بحكيك عن

تفاصيل يومي يا زهرة..وحشني حياتنا أوي

-قَبَلت رأسه وهمست: هانت يا حبيبي..أنت بتعمل اللي عليك...

رفع رأسه ثم نظر إلى عينيها ب عمق هامسًا ب تردد

-واثقة فيا يا زهرة!..واثقة إن جوزك مش هيرجع السكة دي؟!...

صدمها بما يتفوه به ولكنها إبتسمت ثم إنحنت ب مُبادرة نادرة منها..وضعت

شفتيها على خاصته وقَبَلته ب رقة أذابته وقد وصله إجابتها كاملة

إبتعدت عنه ثم سألته ب إبتسامه خجلة

-وصلك جوابي!

-إبتسم ب خُبث قائلاً: بيتهيقلي محتاج توضيح أكثر...

ضربته زهرة ب منكبه لتراه يقترب منها ف قطعت هي المسافة الفاصلة لتعود

وتقبله..حاوط رائف خصرها ب قوة يُقربها إليه..ليشعر بها..ليشعر أنها بين

يديه وأنه لا يحلم بل حقيقة وها هي تُقبله ويُقبلها ب كل جوارحه

إبتعد عنها لتضع وجهها ب عنقه وسألتها ب خجل ونبرة خافتة

-إتأكدت!!

-لثم ذقنها وهمس: ف الإعادة إفادة...

ضربته ب خجل ليُقهقه رائف ب شدة .. ليُعانقها ب قوة يتنفس عبقها المزهر ثم

أردف

-مش عارف من غيرك كنت هكمل إزاي!..خبر إنك لسه عايشة كان محسني
إني بحلم أو حد هيقولي إننا بنضحك عليك..بس لما شوفتك قدامي حسيت
إن الحياة ردت فيا وإن ربنا مخذلنيش...

كانت تستمع إلى كلماته وقد رق قلبها لضعفه بها..هو لا يُمكنه الإستمرار
دونها..لظالما علمت إنها مراساته وأمانه..رائف الأسيوطي الذئب الذي
إختطفها أصبح فريستها وهي المعلمة الوحيدة

ضمته برقة إلى صدرها ف هذا لا ينفي كونه طفلها الأول

سمعته يهتف بحماس

-تعرفني إني كنت بحافظ على الورد اللي إتفقنا عليه سوا!..حتى كمان
حافظت على الصلاة يا زهرة

-وضعت يدها على وجنته وأردفت ب حنان: كدا لما أغيب عنك مخافش

-هدر ب عصبية: أنتِ عبيطة!..كنت بقولك مش هقدر من غيرك تقولي لو

غبت ما أخفش..أنتِ الحادثة أثرت على مُخك

-زمت شفيتها ب ضيق هاتفة: طب متزقش..قولي ماما عاملة إيه!

-تمهد رائف وقال: لسه على حالها..بابا قالي إنها لما تفوق هيبلغني..إن شاء الله

تقوم ب السلامة...

أومات زهرة ب حزن ثم نظرت إلى الطريق أمامها..كانت الأشجار تحف الطريق

الترابي..تكاد المنطقة تكون معزولة عما حولها..علمت من رائف أنهم ب الفيوم

وأن هذا المنزل ملك السيدة إيمان..وكم راقها هذا الهدوء وتلك العُزلة ف

إبتسمت ونسمات الهواء تلفح وجهها

شبهت على يد رائف التي تعبت ب كنزتها حتى تسللت إلى ظهرها ف يقشعر

بدنها لحرارة يده ف تضربه هاتفة ب حدة

-رائف!!..عيب بقى والله هزعل

-هتف ب تعجب: الله!!..ما الجو أمان ومحدث بيحي هنا أهو...

وضع يده خلف عنقها وزمجر ب حدة

-بت أنتِ أنا صبري وصل لهننا...

قالها وهو يُشير إلى أنفه ثم أكمل وهو يجذب رأسها إليه أكثر

-ف متستزفزنيش عشان موصلش لأخري..وسبيني أطلع كبتي

-تلعثمت وهي تُجيبه: طب..طب خ..خلاص متزعلش كدا...

تحكم ب عضلات فكه حتى لا ينفج فاه ب ضحكة تُفسد عليه ما ينوي فعله

ليقول ب همس وهو يقترب منها

-كدا أحبك وأنتِ مُطبعة...

همست ب خجل وصله دلال ف إشتعلت عيناه ب وهج

-رااائف!!!

-قَبَّلَ شفتيها بـ خفة وهمس: أنتِ اللي جنيتي على روحك يا قلب رائف...

صرخت وهي تتعلق بـ عنقه حاملاً إلى ثم ترك الشرفة و إتجه بها إلى

الداخل..وضعها على الفراش بـ رقة ثم قال وهو ينحني بجوارها ليأخذها بـ

أحضانه مُراعياً جسدها المُصاب

-عاوز أنام ف حضنك يا زهرة..أنا إبنك الأول...

الفصل الثامن عشر

أغرّك مِنِّي أن حبّك قاتلي

وأنتك مهما تأمري القلب

يفعل يهواك ما عشت القلب

فإن أمت يتبع صداي صداك في الأقبّر

أنت النّعيم لقلبي والعذاب له

فما أمرّك في قلبي وأحلاك

وما عجي موت المحبّين في الهوى

ولكن بقاء العاشقين عجيب

لقد دبّ الهوى لك في فؤادي

دبيب دم الحياة إلى عروقي

كانت تُلمس على خُصلاته البنية ب حنو..نائم ب أحضانها ك الطفل..فاه مُنفرج
 قليلاً ويصدر صوتًا جعلها تبتسم ب شدة..كل حين وآخر كانت تطبع قبلة على
 جبينه

تهددت وهي تتمنى أن تنتهي من هذا الألم..مُحي والده كان قد أخبرها ب كل شئ
 وما يحدث لذلك هي لا تملك سوى الصبر والإنتظار..وهو يهون عليها ذلك
 الإنتظار

إستشعرت به يتململ لتنظر إليه ف وجدته يفتح جفنيه الناعسين..نظرت
 إليه ب إبتسامة مُشرقة ف بادلها ب أخرى أكثر إشراقًا ثم قال ب صوته الأَجش
 الناعس

-بقالي كثير نايم؟!

-حركت رأسها نافية وقالت: لأ مش أكثر من ساعتين...

نهض يتكئ ب ظهره على الفراش ثم قال وهو يحك فروة رأسه

-تصدقني منمتش ب العُمق دا قبل كدا!

-إبتسمت وقالت: المكان هنا هادي..عشان كدا عرفت تنام كويس..أنا برضو

بنام هنا كويس

-مال إليها ثم همس: لأ وأنتِ الصادقة حُضنك هو اللي دافي ف نمت...

عضت على شفاها وتبسمت ب خجل..قهقهه رائف وإقترب أكثر ليُقبل فكها ثم

تساءل وهو يُشير ب رأسه ب إتجاه الباب

-هي إيمان هاجرت ولا إيه!

-ضحكت وقالت: لأ هي كلمتني من نص ساعة كدا وقالتلي إنها مش هتقدر

تيجي..إبنها رجع من السفر هو ومراته ف مش هتقدر تسيبه...

شابك أصابعه ثم مدّ ذراعيه لُتصدر صوتًا ليقول ب خُبث

-يعني أنا وأنتِ براءة النهاردة

-ضكت ثم قالت ب تحذير: رائف إحترم نفسك..وبعدين المفروض تمشي بقى

-رفع حاجبيه ب دهشة وقال: وأسيبك لوحدك!..وأضيع على نفسي الفرصة؟!!

-يا مُثبت العقل والدين يارب..ملكش دعوة بيا...

نهض رائف ونزع قميصه ليبقى ب كنزته الداخلية البيضاء لتظهر عضلاته

التي جعلتها تُصدق أنها عُصفور ب قبضة تنين أسطوري..إبتلعت ريقها ب توتر

ثم أزاحت نظراتها عن جسده لتقول

-أنت قلعت ليه؟!!

-نزع حزام بنطاله وقال ب مكر: هناخد شاور

-أها..إيييه!!!...

صرخت بها ب دهشة وهى تنظر إليه مصعوقة لتجده ينظر إليها ب عبث تعرفه

جيدًا وتعرف ما ستؤول إليه الأمور بعدها

أشارت ب تحذير وهي تردف ب تلعثم خاجل

-را..رائف..إيمان..مم..مممكن تيجي..ومنظرنا

-أكمل وهو يدنو ب جزعه العلوي إليها: منظرنا هيبقى فائلة..بس عادي يا

بيبي..أنتِ مراتي يعني مش واحدة كدا...

قررت أن تستدرج إستعطافه لتقول ب براءة وهي ترفع ذراعها المُجبر

-طب ودا هعمل فيه إيه!

-غمزها ب وقاحة: متخافيش عامل حساب كل حاجة...

أغمضت عينها ب يأس لْتُمسك الهاتف قائلة بسرعة

-أنا هكلم إيمان...

طار الهاتف ب الهواء بعدما أخذه ثم ألقاه ب إهمال..ليضع يده أسفل ظهرها

وأخرى أسفل ساقها وأردف ب خُبث

-أنا النهاردة هاخذ بالي من مراتي..ومتنسيش بعد الشاور هغير ع الجروح

-على فكرة كدا مش هينفع..يعني الجروح مينفعش يجي عليها مائة..عشان

كدا سبني أنام وأنت خد شاور

-عامل حسابي برضو..يعني هو أنا هأذي مراتي!..مكنتش فاكرك بتفكري فيا

ب السوء دا...

صرخت إسراء ب فزع وهي تراه يدلف بها إلى المرحاض خارج الغرفة لتهدر ب

صوتها الخائف

-رااااائف!!...

صعد أحمد الدرجات ثم طرق الباب لتفتح رحمة وتُحييه ب بشاشة قائلة

-تعالا يا أحمد..إتفضل...

دلف أحمد وهو يحمل حقيبة ب يده..بحث عنها ب أرجاء المنزل ولكنه لم
يجدها..تنحنح وهو يستدير إلى رحمة ويسألها

-أومال نهلة فين!..وأخبارها إيه؟

-أجابته رحمة: نهلة مع غيث ف الحمام بتديله شاور..أما هي عاملة إيه!..ف هي
كويسة ويظهر إنها مش هتفتكر حاجة

-كويس..أنا رحى لدكتور وقال بلاش نضبط عليها عشان ممكز يجي ب نتيجة
عكسية ونرجع لنقطة الصفر..نسيها تفتكر لوحدها ومنقولش حاجة...

أومات رحمة ب تفهم لتسأله ب إهتمام

-وعرفت اللي حصل!!...

إنقبضت يده ب شدة حتى برزت عروق ذراعيه..والغضب ينطلق ب شر من
عينية المظلمة..لكنه أجبر نفسه على الهدوء وقال

-لا لسه معرفتش بس هعرف إن شاء الله

-طيب يا أحمد..تعابيناك معنا

-ولا تعب ولا حاجة يا مدام رحمة...

إلتفتا على صوت نهلة وهي تضحك حاملة غيث وعلى رأسه منشفة..فغر
أحمد فاه وهو يراها ترتدي سروال وكنزة جينز ذات حمالات مُلتصقان ب
بعضهما..يكاد يصل إلى مُنتصف فخذاها..ترتدي كنزة بيضاء تكشف ذراعها
أسفله

أما خُصلاتها البنية كانت ترفعه على هيئة جديلتين على جانب وجهها وغُرة
مُثيرة تُظلل جبهتها

إبتلع ريقه ب صعوبة وأشاح ب نظره ب صعوبة أكبر..ليسمع صوتها المرح يصدح
ونغمته تقترب

-أحمد!!..صباح الخير

-حك طرف أنفه ب توتر وقال: ص..صباح النور...

نظرت رحمة إلى طفلتها وثيابها ثم إلى أحمد المتوتر لتقول رحمة ب نبرة ذات

مغزى

-روحي يا نهلة دخلي غيث اوضته وتقلي..الجو برد يا حبيبتي

-بس التكييف شغال يا ماما

-عادت رحمة تقول ب صرامة: خشي يا نهلة قولت...

لوت شدقها ب ضيق ثم نظرت إلى أحمد وقالت ب خفوت

-ثواني وجاية...

أوما دون أن يرد..دلفت هي لتتجه رحمة به إلى الأريكة ثم قالت

-أنت فطرت!

-أه الحمد لله

-إبتسمت وقالت: طيب هقوم بقى أعملك عصير

-حرك أحمد رأسه نافياً وقال: لأ أنا ماشي حالاً..بس هقول لنهلة حاجة

-نهضت وأردفت ب عتاب خفيف: عيب يا أحمد..بعد إذنك

-إبتسم أحمد وتشدق: أتفضلي..مع إني مش عاوز أتعبك

-مفيش تعب..أنت زي أبني...

إتجهت إلى المطبخ ليتنهد هو ويستريح ب جلسته..ما لبث أن أتت نهلة ب ثوب

أظهر براءتها وأخفى عُمرها الحقيقي..لتبتسم إبتسامة جعلته يُحدق بها ب

بلاهه

جلست أمامه ثم أردفت ب خجل وهي ترى نظراته التي تلتهمها

-آآ..أزيك يا أحمد؟...

إستغرقه الأمر ثوان حتى يستوعب سؤالها وأجابها ب شرود

-تمام..تمام..أنتِ إيه أخبارك!

-إبتسمت بـ عذوبة وقالت: الحمد لله تمام

-إبتسم هو الآخر وأردف بـ نبرته العميقة: طب كويس..قوليلي بقى بتاكلي

كويس وبتاخدي الدوا!

-عقدت حاجبها ثم قالت بـ مرح: على فكرة أنا تعبت بس إمبراح..يعني مش

من زمان..عمومًا أخذت الدوا إمبراح ف معاده وأخذت النهاردة الصُّبح

-لوى شدقه وقال بـ سُخرية: كان ممكن تردي بدا بس يا نهلة..مش لازم الكام

كلمة اللي ف الأول دول...

زمت شفيتها بـ ضيق ولم ترد عليه لتأتي رحمة بـ هذه اللحظة ولكن أحمد

نهض ثم قال وهو يمد يده بـ تلك الحقيبة لنهلة

-دا عشانك يا نهلة..إتفضلي

-أخذته ثم أردفت بـ شك: إيه دا؟؟

-حك ذقنه وقال بـ نبرة ذات مغزى: هتعرفي لما تفتحيه..أنا همشي

-إستوقفته رحمة قائلة: طب مش هتشرب العصير!

-المرّة الجاية يا مدام رحمة..يلا مع السلامة...

تحرك أحمد ب خطوات سريعة ثم فتح الباب وقبل أن يخرج ألقى نظرة على

نهلة التي تنظر إلى الحقيبة ب فضول..ليضحك ثم رحل

إتجهت نهلة إلى غُرفتها وبدأت ب فتح الغرض ب فضول..فتحت ذلك الصندوق

المُستطيل لتشقق وهي تجده ذلك الثوب الذي أرادته

وقع منه قطعة ورقة صغيرة لتضع الثوب على الفراش والتقطتها..فضت

الورقة وقرأت ما كُتب بها ب صدمة وأعين لا تستوعب ما تحويه

-"الفيستان دا أول أما شوفته..شوفتك فيه عشان كدا كنت حابب أشوفه

عليك..الساعة سبعة النهاردة إطلعي سطح العمارة هتلاقيني سايب خبر مع

الحرس واحد منهم هيطلع معاك..متأخريش يا نهلة في كلام مهم..هو مش

كلام هي كلمة لازم أقولها"

سقطت الورقة من بين يديها بدهشة ثم نظرت إلى النافذة ب نظرات فارغة
قبل أن تضع وجهها ب الوسادة صارخة ب سعادة

طرق جهاد باب الغُرفة ثم دلف..وجد رحيم يجلس ب مكتبه ويطلع على بعض
الأوراق ليتقدم منه وجلس أمامه ثم تساءل ب جموده المُعتاد
-خير!!...

ترك رحيم الأوراق من يده ثم أعطاها إلى جهاد وقال
-إقرأ الورق دا...

أخذ جهاد ينظر إليه سريعًا وقد تعرف على المحتوى دون قراءته ب شكل
دقيق ليضع بعدها الأوراق على سطح المكتب وأردف
-وبعدين؟

-عاد رحيم ب ظهره إلى المقعد وقال: دي شحنة متكونة من ثلاث بنات جُداد

هيجوا هنا..سنهم التلاتة تمتاشر سنة

-حك جهاد ذقنه وقال ب فتور: بس دول بتوع ملجأ!

-رفع رحيم منكبيه وقال: وإيه المُشكلة؟..إحنا طول عُمرنا بنجيب بنات من أي

مكان..إشمعنى الملجأ لأ؟

-صر جهاد على أسنانه وقال: أنت حر..بس مدخلنيش ف الموضوع دا..أنا مش

هاخد بنات من الملجأ..عاوز تجهم إتصرف أنت...

ضرب رحيم سطح المكتب ب غضب ثم قال وهو يدنو ب جزعه العلوي إليه ب

نبرة حادة

-جرى إليه يا جهاد مالك كدا إتغيرت!..هي البت دي لعبت ف عقلك ولا إيه؟!

-هدر جهاد ب غضب: سيرتها متجيش على لسانك النجس دا..أما حكاية الملجأ

مش موافق..وبعدين دول لسه صغيرين إزاي تفكر ف كدا!

-عاد رحيم إلى هدوءه وأجابه ب برود: أنا كدا بقدملهم خدمة..البنات اللي جاية من الملجأ دي مش عارفين هيواجوا إيه لما يخرجوا..بدل أما يحصل غصب عنهم..هقدم الخدمة إنه يحصل ب مزاجهم...

مط رحيم شفتيه ثم أكمل وهو ينظر إلى الأوراق

-وبعدين سُمعة الملجأ دا مش حلوة..لو كنت قرأت الأوراق كوبي كنت هتعرف إن فيه مُنهم اللي واحد من العُمال إغتصبها..أو تحرش بيها على الأقل..والأعمال اللي بيخلوهم يقوموا بيها..غير كل دا مُعاملة الكلاب اللي بيتعاملوا بيها..ذُل وضرب وحرمان من الأكل...

نظر رحيم إلى جهاد الذي لم ترتخي معالم وجهه ثم أكمل ب فتور

-فكرك يعني عشان مؤسسة حكومية هتكون نضيفة!..دا ألعن وأوسخ..على الأقل هنا مبندعيش الفضيلة..هنا كل الناس عارفة إحنا بنعمل إيه..ف

متعملش نفسك شهم ومش هتقرب ناحية بنت يتيمة لسه خارجه من ملجأ
سرق منها حياتها.. أنت لسه مغتصب البت الجديدة...

نهض جهاد بـ عنف ثم جذب رحيم من تلايبه بـ شراسة لهدر بـ نبرة مُظلمة
وعينيان تقتدان بـ نيران

-بحذرك مرة ثانية يا رحيم.. سيرتها متجيس على لسانك القدر دا...

دفعه بـ عنف ولكن ملامح رحيم لم تكن غاضبة أو خائفة بل
ساخرة.. ليعتدل بـ جلسته راقماً جهاد الذي يتحرك صوب الباب بـ نظراته
المُستهجنة

إستدار جهاد ثم أردف بـ تحذير

-نهايتك هتكون على إيدي يا رحيم.. هتكون قريبة أوي.. أكثر مما تتخيل...

إلتقط رحيم لفافة تبغ وأشعلها دون أن تتغير نظراته المُستهجنو وبقى يُحدق
به حتى خرج وصفق الباب بـ حدة خلفه

عقدت ذراعها أمام صدرها ب حنق ونظراتها الغاضبة تحرق ظهره وهو يعلم

أنها تنظر إليه ب غضب بل ب الكاد تماكنت نفسها حتى لا تقتله

إبتسم رائف وهو يتذكر تعنيفها له مُنذ قليل.. يُقدر خجلها منه ولكن يجب

أن تعتاده..تنقل ب خفة ب المطبخ ليتساءل وهو يرفع قدرًا ما عن الموقد

-وبعد أما أسلق المكرونة أعمل إيه!!...

لم يأتته الرد ليستدير بعدما وضع بعض الماء البارد على المعكرونة ف وجدها

تنظر إليه ب غضب جعله يجفل ثم قهقهه ب خفة وقال ب مرح

-إيه بس يا زهور!..زعلانة مني ليه!...

تفاجأ ب تلك المزهريه التي قذفته بها ب يدها السليمة ثم أردفت ب حنق

-وليك عين تسأل يا قليل الأدب...

إتسعت إبتسامة خبيثة على محياه ليقترب منها..ضمت شقي مئزرها الثقيل
إليها حتى وقف أمامها..وضع يده حولها ثم أردف ب همس

-بذمتك مش غمضت عيني ف أكثر اللحظات الحرجة!

-ضمت جفنيها ب يأس ثم أردفت ب خجل: بعد إذتك بلاش تفكرني...

سار ب يده بدءًا من خُصلاتها المبللة ليجذب آخرها ويُقبلها ثم إلى وجنتها حتى
عُنقها ليصل إلى التجويف ما بين الكتف والعُنق..ليدفن وجهه هناك ف
إرتجفت ك عصفور مُبلل بين يديه ليقول ب همسٍ ساحر

-بس أنا مبنساش أي حاجة تُخصك يا زهرة..مبقدرش أنسى أي حاجة...

وضعت يدها على منكبه العاري وهي تستشعر شفتيه تُقبل ذلك التجويف ب
رقة أذابت أوصالها ف مالت ب رأسها عليه

أحاط خصرها وهو يُعدل جلستها على تلك الطاولة دون أن يرفع وجهه بل
أخذ يستنشق عبيرها بقوة..ليسمع همسها الذي جعله يسبها

-بعدين هتخط الصلصة على النار وتخط التوابل والسمنة..وبعدين المكرونة
وبعد أما تخلص بتخط اللحمة المفرومة ومفيش مانع تخط بقدونس...

تأوهت وهي تستشعر أسنانه تقبض على لحمها قبل أن يبتعد ويقول ب غيظ

-دا أنا اللي هحطك ف مائة مغلية وأسلقك بدل المكرونة

-إتسعت عينها وقالت ب صدمة: الله!..مالك في إيه؟..مش هتكمل الأكلة...

إبتعد عنها لتضع يدها مكان عضته ليُتمتم ب إمتعاض وهو يُكمل إعداد

الطعام

-ليه ياربي وعدتني ب زوجة غبية مبتفهمش!!!...

بعد وقتٍ قصير..كان رائف قد إنهى إعداد الطعام ليضعه ب الخارج وبعدها

عاد يحمل تلك الصغيرو بين يديه و وضعها فوق الأريكة..وقبل أن يجلس

قالت إسراء ب خفوت

-إلبس حاجة يا رائف هتتعب

-جلس ثم قال بـ إشمئزاز: منا لبست ياختي

-عقدت حاجبها وتساءلت بـ بلاهة: لبست إيه؟!

-زفر بـ قنوط وهدر: فيك..فيك وكُلي يا زهرة وأنتِ ساكتة عشان أنا مخرجش

عن شعوري دلوقتي...

إتسعت عيناها بـ دهشة من ذلك الهجوم المفاجئ ولكنها حركت كتفها بـ قلة

حيلة وشرعت بـ تناول الطعام

لم تنتبه لثوبها الذي تهدل عنها قليلاً ف ظهر منه جسدها..منكبها وعظمتي

الترقوة..رفع رائف أنظاره إليها ليصعقه ذلك المشهد المغوي من وجهه

نظره..زفر بـ ضيق و تمتم

-أستغفر الله العظيم من كل ذنبٍ عظيم يارب

-تساءلت بـ براءة: في إيه يا حبيبي!...

كاد أن يرد ولكن وجد الطعام يُلطخ جوانب فمها ويتحداه ألا يقترب..وهو
ضعيف..ضعيف أمام تلك الحورية الصغيرة..ذلك العصفور الذي يخشى أن

يسحقه بين يديه ذات يوم

لذلك إرتفع ب جزعه ف أجفلت وتراجعت ب هلع..وضع يده خلف عنقها وقال ب

صوتٍ أجش

-صدقيني حاولت بس فشلت...

وإقترب منها..وإقترابه أكثر خطورة لرجل تحمل غياب زوجته..لتعلم بعد أن

مست شفثيه شفثيها أنه لن يكتفي ب تلك القُبلة الأخوية من وجهه نظره

رفعت ذلك الثوب الأخضر بين يديها ثم شرعت ب إرتداؤه..كانت به نموذج

البراءة والإغراء ب ذات الوقت..نظرت إلى نفسها ب إنهار حقيقي لم يكذب حين

قال أنه رآها به

تركت خُصلاتها حُرّة و وضعت مُستحضرات تجميل خفيفة فلم تكن مولعة
بها من قبل

إتجهت إلى الخارج لتجد رحمة تنتظرها..وما أن رأتها حتى إتسعت عيناها ب
صدمة..إبنتها تخطت الحد الطبيعي للجمال ف إبتسمت وقرأت المعوذتين
همست نهلة ب تردد

-أنتِ واثقة ف أحمد يا ماما؟

-ربتت على وجنتها وقالت: اللي يحافظ عليكِ وأنتوا مع بعض
لوحدكوا..يخليني أثق فيه وأنا بسلمله بنتي...

قبّلت جبينها ثم تركتها ترحل..لم تُخبرها أن أحمد هاتفها وإتفق معها وأخبرها
بما سيفعل..ورائف أيضًا كان يعلم بل شجع أحمد على ذلك..ف هي ستكون ب
أمانٍ أكثر وهي تحت رعايته

صعدت نهلة الدرجات وقلبها يكاد يهرب من بين أضلعها حتى وصلت إلى باب
سطح البناية..وقفت تأخذ نفسًا عميق ثم دلفت

حبست ذلك النفس الذي أخذته وهي ترى أحمد ب كامل أناقته..سترة سوداء
تُماثل لون بنطاله أما قميصه ف كان من اللون الأبيض ورابطة عُنق تُماثل
لون ثوبها

أما ما خطف أنظارها تلك الصومعة الزُجاجية خلفه..كانت مملوءة من
الداخل ب النباتات المزروعة والأزهار مُختلفة الألوان..تتدلى من سقف
الصومعة إضاءة خفيفة من اللون الأصفر ف بدت يرعات طائرة

أستفاقت على يد أحمد التي أمسكت ب خاصتها ثم إنحنى وقبّلها هامسًا

-تعالى ندخل...

جذبها خلفه قبل أن يقول دون النظر إليها خوفًا عليها من معالم وجهه التي
قد تُردّيها قتيلة

-مش قولتك شوفتك ف الفستان دا..نقيضين يا نهلة براءة بنوتة ب ضفاير
وإغواء ست مُكتملة الأنوثة...

إتسعت عيناها ب صدمة وعلت ضربات قلبها عن الحد الطبيعي لتضع يدها
الأخرى على فمها تكتم شهقة كادت أن تنفلت منها

فتح أحمد باب الصومعة لتجد وسادات ضخمة مُربعة الشكل مُتناثرة ب
شكل عشوائي مُنمق و ب المنتصف عدة شموع حمراء صغيرة تتوسطهم أخرى
كبيرة وحولهم الطعام الشهي

جذبها لتجلس وهي خلفه مُسيرة دون إرادة..أجلسها فوق أحد الوسادات
وجلس هو ب جانبها..همس وهو يُبعد خُصلة عن عينيها الزرقاوين

-يلا ناكل

-اممم...

أومأت ب تردد دون أن ترد ف هي تشعر وكأن صوتها غادرها أو إن تكلمت ف
سيتهاي سحر تلك الليل..لذلك رفعت الملعقة وشرعت ب تناول الطعام

كان أحمد يُراقبها ب حُبث يتلذذ ب خجلها وتناولها الطعام ب طريقة
خرقاء..ليبتم وأخفض رأسه حتى لا يزيد توترها

عندما رآها وهي تقف أمامه كاد أن يخر صريعاً..الثوب وكأنه لن يليق سوى
بها..خُصلاتها التي تتطاير ب فعل الهواء ف تحجب بعضاً من ملامحها كانت
تستفزه أن يقترب ويُبعدها عن وجهها الفتيّ

بعد عناء منها إنتهيا..نظر أحمد إليها وقال ب صوته العذب

-عجبك الأكل!

-أجابته ب خجل: كل حاجة مش الأكل بس

-تمهد ب راحة وقال ب مرح: كنت خايف والله..أصلك متعرفيش تعبت أد إيه

عما عملت كل دا

-إبتسمت وقالت ب توتر: لأ..باين..أد إيه تعبت...

أعادت خُصلة خلف أذنها ليرفع رأسه وينظر إلى السماء المظلمة ليسمعها

تقول ب خفوت

-المكان هنا جميل أوي..أنت اللي زرعت كل دا!

-ضحك وقال: لا مش لدرجادي..هي كانت مزروعة وأنا أجرت المكان النهاردة

ليا...

أومأت ب رأسها ثم رفعت هي الأخرى أنظارها إلى الأعلى..وقلبها يضري جنبات

صدرها بقوة..إنتفضت على كف يده التي أحاطت كفها الصغير

نظرت إلى كفيهما ثم إليه ب نظرات هلعة ليقترب منها ثم همس وهو يرفع يدها

إلى صدره

-أكيد بتسألي نفسك أنا عاوزك ف إيه!...

أومأت ب تردد وأنفاسها أصبحت تتردد إلى رثتها ب صعوبة ليُكمل ب نبرة عميقة
نفذت إلى أعماقها

-قولتلك عاوزك ف كلمة واحدة..هي كلمة قولتها زمان يا نهلة..زمان أوي ساعتها
حاجات كتير إتغيرت..كُنت نفسي متغير..لكن دلوقتي...

ضغط على يدها ليبتسم ثم أردف ب ذات النبرة

-دلوقتي بقى ليها معنى تاني..أنتِ مسئولة مني..حاسس إنك بنتي زي ملك
بالظبط..جايز وقت الكلمة دي كان غلط مش وقتها..لكن دلوقتي حاسس إنه
وقتها...

جذبها يُقبل جبينها ف لفحته أنفاسها الساخنة ، المتوترة..حاوط وجهها ثم
همس وهو ينظر إليها ب نظرات عاشقة أذابتها وجعلت خافقها يتوقف عن
الخفق ل لحظات

-بحبك...

الفصل التاسع عشر

من طبيعة الإنسان أن يظلم إذا لم يجد ما يمنعه من الظلم جدياً...

إن الإنسان ليس ظالماً بطبعه كما يتصور البعض ...

إنه في الواقع يحب العدل و لكنه لا يعرف مأتاه ...

فهو يظلم ولا يدري أنه ظالم فكل عمل يقوم به يحسبه عدلاً ...

و يصفق له الأتباع و الأعوان فيظن أنه ظل الله في الأرض ...

-قولت إيه!!...

همست بها نهلة ب عدم تصديق وهي تنظر إليه ب إنشدها..ليبتم ب إتساع ثم

عاد يقول وهو يُقبل أطراف أصابعها ب رقة غريبة عليها

-قولت..بحبك...

ثوان حتى إستوعبت ما قال لتضع يدها الحرة على عينيها تُخفيها عن نظراته

المتفحصة والتي تخترق حصونها الهشة..سمعتة يضحك ولكنها لم تجد

القدرة على إبعاد يدها

وضع أحمد يده على فاه ثم إتجه بها إلى يدها الموضوعه على عينيها وطرق

بخفة..لتبعد نهلة أصابعها لتسأله ب نبرة مبحوحة

-عاوز إيه!؟

-إرتفع حاجبيه ب دهشة وقال: مستني ردك يا نهول

-ردي على إيه!!...

ضغط على شفتيه حتى لا يتناول عليها ب ألفاظ غير لائقة..لذلك أخذ نفساً عميقاً ثم قال ب إبتسامة خلافة

-ف الحالات دي يعني بيكون رد البنت يا رافضة يا موافقة...

ولكن قبل أن ترد إختفت إبتسامته وظهر على وجهه ملامح شرسة شيطانية وهو يردف ب تحذير

-بس ف حالي مش هقبل ب الرفض..ها قولتي إيه!...

أردف سؤاله الأخير ب إبتسامة بريئة جعلتها تخشاه أكثر ف أجابته ب تلعثم وخوف

-ه..هو أنت..س..سبتلي مجال للرفض!

-قرص وجنتها ب خفة وقال: شطورة..بس محتاج أسمعها منك...

زمت شفتيها ب إمتعاض لتُشيع ب وجهها بعيداً عنه ثم غمغمت ب خفوت وخجل

-بحبك...

وضع يده أسفل ذقنها ليُديره إليها ثم قال ب خوفوت

-محتاج أشوف عينيكِ وأنتِ بتقولها

-لمعت عينها وقالت ب خجل أكبر: ب..بحبك...

رفع يدها يُقبل باطنها ثم همس ب نبرة رجولية خالصة

-وأنا كمان بحبك يا نهلة...

إبتسمت لعيناه التي تُطالعها ب حنو لتُمسك يده ب قوة ثم إقتربت منه

وعانقته..صُدم أولاً لحركتها المُباغته ولكن سُرعان ما إلتفت يده من تلقاء

نفسها حولها يضمها إلى صدره

كانت نائمة وهو يُراقبها.. خُصلاتها السوداء تُعيق عيناها عن ملامحها.. تحركت يده وأبعدت خُصلاتها ليظهر وجهها المرهق إليه.. إبتسم ب حنو ثم مال وإقتطف ثمرة شقية من شفيتها و توقف هناك لفترة من الزمن

إبتسامته تتسع وهو يتذكر الساعات الماضية.. لم تتوقف عن سبه بما تعلمه وما لا تعلمه حتى أنه أستمع إلى ألفاظ من وجهه نظرها بذيئة ولكنه لا يعلم لها معنى

إقترب من منكبها وقبّله عدة مرات ليسمع صوتها المزمجر

-مش ناوي تتلم بقي!

-ضحك وقال ب دهشة: أنت صاحبة!!...

نظرت إليه ب نصف عين ثم هدرت ب حدة

-هو أنا عرفت أنا.. حضرتك حد ينفع ينام جنبك!

-تلاعب ب خُصلاتها وقال ب براءة: ليه بس أنا عملت حاجة؟

-أجابته ب تهكم: هو أنت بتعمل حاجة!

-أهو شوفتي

-ضربت صدره وقالت ب خجل: إبعد إيدك أنت بتعمل إيه؟...

كانت يده تتحرك من خُصلاتها إلى وجنتها وعُقنها مرورًا ب منكبيها

وذراعيها..حتى وصل إلى خصرها لينتقل إلى ظهرها

قهقهه رائف ب عبث وأردف

-بتأكد إنك سليمة ولا فيه حته إتكسرت!

-ضمت شفتيها ب ضيق صارخة: أنت قلييل الأدب

-مط شفتيه ب شقاوة وقال: إخص عليكِ..أنا قليل الأدب!..أنا زعلان ولازم

تصالحيني...

دفعت صدره وهي تراه يميل إليها ليُقبلها ولكنها صرخت ب يأس

-أنت لازم تمشي قبل ما إيمان تيجي وتشوف الفضيحة دي

-إتسعت عيناه وقال ب عدم تصديق: فضيحة!!

-أومأت ب رأسها قائلة: أها فضيحة..ولعلمك أنا مش هسكت...

إرتف حاجبيه ب دهشة لينهض ويجلس أمامها..تراجعت مُجفلة لجلوسه وكأنه

يتأهب لشيء ما..عقدت حاجبها ب توجس وتساءلت

-إيه في إيه؟!!

-أشار ب يده وقال ب بساطة: هشوف مش هتسكتي إزاي...

فتحت شفيتها تنوي الرد ولكن الكلمات لم تُسعفها لتعود وتغلقهما ب

قنوط..إبتسم رائف ب خُبث ثم مال إليها وتساءل ب نبرة لا تقل خُبثًا عن

إبتسامته

-سكتِ يعني!...

لوت شدقها ب قنوط ولم ترد لتعقد يدها أمام صدرها بما يسمح لها ذراعها
المُجبر مُشيحة ب وجهها بعيدًا عنه

شهقت وإتسعت عينها ب دُعر وهي تراه يُشرف ب جسده كله عليها..كفيه
يُحيطان وجهها وعيناه تُحاصر خاصتها ب حصار لا فكاك منه

تلك النظرة..تلك النظرة ب عينيه تكرهها ب شدة..تشعر وكأنها فريسة ظفر بها
الليث بعد عناء ليُقرر المرح بها قبل إفتراسها..همست ب تردد وهي تكتم
أنفاسها

-را..رائف آآ..را!!

-همهم ب خمول وعينيان ناعستان: هممم!!!...

ضمت شفيتها ب حرص دون أن ترد عليه..عينيه التي تفترسها ويديه التي
تحتضن خصرها جعلت قلبها ك المراجل المُشتعلة..لتقول ب تلعثم

-آآ..أنت لازم..تمشي على فكرة بقي

-ضحك وقال ب مرح: حاااضر..الأميرة طلبت وأنا مينفعش منفذش...

ضيق عينيها ب توجس من خنوعه المفاجئ والذي يحمل ب جعبته الكثير..وقد كانت مُصيبة لما فكرت به..فها هو ينحني إليها ويودعها ب طريقته الخاصة..الخاصة جدًا

بعد فترة..بقت تُحدق إليه وهو يرتدي ثيابه بعدما أعد لها عشاءً خفيف ثم ساعدها على تناول الدواء ليقف أمامها يرتدي سترته تقدم رائف منها ثم قال وهو يُعدل من وضع خُصلاته -أنا كلمت إيمان وهي جاية أهو..أول أما تيجي همشي -طيب...

عدّل من وضع الوسادة ثم دفعها ب خفة لتمدد عليها..دثرها جيدًا ليُقبل جبينها وهمس

-نامي يلا..أنتِ تعبتي أوي النهاردة...

غمزها رائف ب وقاحة لتتضرج وجنتها ب خجل ثم أردفت ب حنق

-البركة فيك

-ضحك وقال: العفو...

أودع جبينها قُبلةً أُخرى ثم إعتدل ب جزعه العلوي ليبتعد عنها..نظر إليها قبل

أن يخرج ف وجدها تبسم إليه فرد إبتسامتها وخرج

وقف أمام الباب ثم قال وهو يُمسك يدي نهلة ب ضيق

-معلش يا نهلة مُضطر أسيبك دلوقتي..الدكتور مُحي إتصل وقال لازم أجي

-أبتسمت وقالت ب رقة: ولا يهملك يا حبيبي..روح ونكمل كلامنا بعدين...

إقترب يُقبل جبينها ب عُمق ثم أردف وهو يُحاوط وجنتها

-كلامنا المرة الجاية هيكون ف حضور الكل عشان نحط النقط على الحروف...

ثم تركها وهبط درجتين قبل أن توقفه ب قولها المتعجب

-مش فاهمة..نقط إيه!

-رفع منكبيه ب قلة حيلة ثم أردف ب بساطة: أصلي قررت أغلط وأتجوزك..سلام يا حبيبتي...

أكمل أحمد هبوطه..رفت نهلة ب جفنيها عدة مرات قبل أن تُشير إلى نفسها قائلة ب عدم تصديق

-هيتجوزني!!!...

صعدت أحمد سيارته ثم إنطلق بها إلى المشفى..بعدما وصل ترجل من السيارة وإتجه إلى غرفة مكتب مُحي..طرق ب خفة ثم دلف

لم يجد أحد ب المكتب ليعقد حاجبيه ب تساؤل..تقدم إلى المكتب ليجد ورقة
 مثبتة فوق سطح المكتب قرأ ما بها ب صوت عال
 -"تعالا على المخزن تحت!!"...

إزداد إنعقاد حاجبيه ليُخرج هاتفه ويُقرر الإتصال به..ثوان وأتاه صوت مُحي
 العميق

-شوفت الرسالة!

-أجابه أحمد ب تردد: أيوة

-أتاه صوت مُحي هذه المرة كان غريبًا: طب تعالا بسرعة ومتخليش حد
 يشوفك...

ثم أغلق الهاتف دون أن يدع لأحمد فُرصةً للرد

نظر أحمد إلى الهاتف وقد إزدادت تساؤلاته ولكنه تغلب على التفكير وتسلسل
 إلى المخزن دون أن يراه أحد

فتح باب المخزن ودلف ليجد مُحي يجلس على أحد المقاعد ولأول مرة ب حياته

يرى ذلك الغضب والملامح الشرسة عكس ملامحه الوقورة دائماً

توجه إليه ليُشير مُحي ب الجلوس قائلاً ب جمود

-إقعد يا أحمد...

جلس أحمد ثم قال وهو يتلفت حوله

-خير يا دكتور مُحي!!

-لأ مش خير أبداً...

نهض وأشار إليه ليتبعه..فتح مُحي باب آخر ليدلّفا منه

دقق أحمد النظر ليرى أحدهم مُقيد ب مقعد حديدي قديم وبجواره أحد

الحرس المسئولين عن الأمن ب المشفى..سُرعان ما إتسعت عيناه ب دهشة وهو

يُردد ب صوتٍ مذهول

-دكتور كريم!!...

إلتفت إلى مُحي ثم تساءل وهو يُشير إلى وجه كريم المكدوم

-إيه اللي بيحصل يا دكتور!

-صر مُحي على أسنانه وقال: دا الخاين اللي بينا..مغلطتش لما قولت إن في حد

بيخونا

-وضع أحمد يده على جبهته وقال ب عدم تصديق: يقوم يطلع كريم!

-أنا زيك إتفاجئت..دكتور كريم ميبنش عليه

-أغمض أحمد عيناه وقال: عاوز افهم كل حاجة...

إتجه مُحي إلى كريم ليجذب من مئزره الطبي وهدر ب صوتٍ جهوري أفع

الأول

-قوله على كل اللي حكيتة ليا من غير أما تنقص حرف...

أوماً كريم عدة مرات ثم بدأ بسرد ما إستخرجه مُحي منه عنوةً

-الموضوع بدأ من سنة بالظبط..لما جالي واحد اسمه رحيم ودا كل اللي

أعرفه..اسمه وشكله وبس..كان بيسأل أسئلة غريبة..يعني حوادث إغتصاب

أو بنات بتيجي ف حوادث ومنعرفش عن أهلها حاجة...

قرب عينه من منكبه ومسح خيط الدماء ثم أكمل ب توتر

-ف الأول مكنتش بتجاوب معاه..لكن بدأ يعرف حاجات عني..حاجات مش

قانونية..من ثلاث سنين كان فيه طفل إتعرض لحادثة وأنا كنت مُشرف عن

العملية..ولإهمالي المشروط وقع مني ف معدة الطفل ومات بعد كام يوم..دا اللي

إكتشفه الأهل ولما حاولوا يرفعوا قضية المُمرضات اللي معايا أجبرتهم يشهدوا

زور ف القضية كسبتها...

نظر إليه أحمد ب إشمئزاز ليهدر مُحي ب غضب

-كمل

-إبتلع كريم ريقه ب صعوبة وأكمل: بدأ رحيم دا يبتزني ب الموضوع دا وقال إنه معاه الأدلة اللي توديني السجن..خُفت ف بدأت أشتغل معاه...

لم يستطه أحمد الإستماع إلى الباقي لينهال عليه ب اللكمات وهو يسبه ب أقذع الشتائم وتهديده ب أنه سيُرسله إلى الجحيم وليس السجن ..أبعده الحارس الأمني ليُكمل أحمد ب إنهاك ونبرة باكية

-الحوادث اللي كانت فيها بنات حتى مع أهلهم كنت بتصرف ف الجثة والبنت دي بياخذها رحيم..حادثتين إغتصاب وصلوا لهننا والأثنين رحيم إستلمهم..وكنت بقول إنهم بيهربوا خوف من أهلهم

-وضع أحمد يده على رأسه وهمس: مش مصدق اللي بسمعه..كل دا بيحصل من ورا ظهرنا..وأنت كان عندك الذكاء إنك تخفي كل دا عنا!..أه أعرف إنهم بيخطفوا البنات بس موصلتش لبنات عاملة حادثة على الطريق وياخذوها

يعالجوها عشان تشتغل معاهم..ولا بنت لسه قايمة من مصيبة عشان
تصحى وتلاقي نفسها ف جهنم...

جلس أحمد على الارضية الأسمنتية يضع رأسه على رُكبيته وأكمل ب شرود
-مكنتش مُتخيل توصل بيهم لكدا..إحنا عايشين فين بالضبط!..معدتش فيه
أمان خلاص..الأهالي يبقوا جايين مقهورين على بنتهم وعرفوا إنها ماتت وهي
أصلاً بتشتغل ف الدعارة!..هو إيه اللي جرى للناس وإنعدام الضمير!...

نهض ب عُنف ثم أمسك كريم من تلايبه وهزه ب شراسة بيني يده وصرخ ب
غضب وعينين مُحترقتين

-وأنت يا دكتور ياللي حلفت تنقذ حياة الناس..بدّل أما تتحمل نتيجة غلطك
داريت عليه ب الزور وجه واحد خلاك تبيع ضميرك..أنا مش فاهم أنت جنس
ملكك إيه بالضبط!

-صرخ كريم: قبل ما تحاسبني حاسب نفسك..نسيت أنت كنت إيه برضو يا
دكتور!

-صر أحمد على أسنانه وقال: بس توبت ودفعت التمن يا بيه..توبت وأنا
عارف إني أصلاً لازم أدفع التمن..وأديني بدفعه لحد دلوقتي..بس أنت مش
هتعضن ف السجن بس..أنت هتتحرق ف جهنم يعني لا طولت دُنيا ولا آخرة...

تركه ب عُنف ليستدير إلى مُحي يسأله وهو يلهث

-هنعمل إيه!؟

-رد مُحي وعيناه مُسلطتان على كريم: هنبلع عنه وكلنا هيتحقق معانا عشان
نشوف مين تاني متورط معاهم..ورائف لازم يعرف ب كل حاجة...

أوما أحمد بموافقة لياتهم صوت كريم ب عبارة جمدهم

-رحيم قالي إنه عاوز بنت الدكتور مُحي.هو حاططتها ف دماغه..عشان كدا
كان بيحاول يخيلني أستدرج وأخطب نهلة منك...

وصل رائف إلى المكان المعتاد ودلف إلى الصالة السرية..بحث ب عينيه عن
نجلاء ف وجدها جالسة ب تصلب..عقد حاجبيه ب تعجب ولكنه إتجه إليه
-نجلاء!!!...

إنتفضت نجلاء على صوت رائف لترفع رأسها إليه سريعًا..لمح ب عينها رجاء و
خوف..ليتساءل

-مالك يا نجلاء!

-أجابته ب تلعثم: م..مفيش

-أشار ب رأسه وقال: طب يلا؟!...

أومات ب تردد ثم نهض وسارت بجواره

تحرك رائف عدة خطوات قبل أن يقف ثم حدق ب أحدهم..أشار إلى نجلاء
ب الوقوف وقال

-خليك هنا متتحركيش

-طيب...

إتجه رائف إلى رجلين يجلسان أمام بعضيهما وبأحضانهما تتمسح فتاتين ك

قطتين ب أجسادهم المتعرية..وهما يسيل لعابهما لما تفعل تلك الفتاتين..إلتوى

فم رائف ب تهكم ثم وضع كفيه على كتفهما وقال ب سخرية

-عضو مجلس الشعب و فضيلة الشيخ!..منورين المكان والله...

توقف كأس الخمر على شفاه الشيخ الملتحي ثم نظر إلى رائف ب دهشة قائلاً

ب توتر

-ر..رائف باشا!!

-إبتسم رائف وقال: أيون..رائف بيه يا فضيلة الشيخ..صاحب الفتاوي الرائعة

اللي بتجي على هوايا بصراحة...

ثم نظر إلى الآخر والذي يُنظاره ب صدمة ليقول ب تعجب مُصطنع

-بس إيه اللي لم الشامي على المغربي!..مش دا الشيخ اللي بيطلع يشكك ف

نزهتك ونازل ف برامج ال talk show شتيمة و حاجات غريبة!

-أجابه الشيخ ب إمتعاض: دي نقرة و دي نقرة

-إرتفع حاجبي رائف وقال: يا راجل!..هنبدأ فتاوي من نوع جديد..بس يا شيخ

إيه اللي بتعمله دا ومين دي!..تكونش بنت أختك!

-أنت عاوز إيه يا رائف باشا!..جاي عشان تحاسبني!..طب شوف نفسك الأول

إحنا متقابلناش ف جامع

-أردف رائف وهو يُناظر الشيخ ب تهكم: على الأقل مبانفقس..مبطلعش أقول

قال الله وقال الرسول بالصبح وبالليل خاربها خمرا ونسوان...

نظر إلى الآخر وقال ب نبرة ذات مغزى

-ويا ترى الهانم عارفه إن جوزها بيعيش مذكرات مراهقة ومغامرات!

-أنت عاوز إيه?...!

إعتدل رائف ب وقفته ثم وضع يده ب جيبي بنطاله ليقول ب إزدراء

-مش عاوز حاجة..أنا شوفتكوا وحببت أسلم مش أكثر..حقيقي إتبسّطت إني

شوفتكوا ف أكثر مكان محترم ف مصر..وإن شاء الله هتعجبكوا الإقامة اللي

هنا وما بعدها..والناس كلها هتعرف الأشكال الحقيقية اللي بيلعبوا ف

عقولهم..سهرة زي الزفت على دماغكوا...

ثم تركهم ورحل ليأخذ نجلاء التي سألته

-مين دول!!

-تهند وقال ب نبرة مُزدريّة: عضو مجلس الشعب كان هيشاركني من فترة ب

شركتي اللي ف غلاسكو..أما فضيلة الشيخ المُحترم كان طالع نازل فيا من ثلاث

سنين أو أكثر تهزيق واني شخص زاني والمفروض الأزهر والريس يخرجني من

البلد..أصل شخص ** ميستحقش يقعد ف البلد وأنشر الفساد بين الشباب

-عقدت حاجبها وقالت: وهما بيعملوا إيه؟!

-أجابها ب تهكم: بيحفظوا قرآن...

وصلا إلى الغُرفة ليجد نجلاء قد تجمدت مكانها..ليقول ب نبرة هادئة رزينة

-متخافيش يا نجلاء..زي كل مرو هنتكلم وهمشي...

إزدردت ريقها ب خوف ثم أومأت ب توتر

فتح رائف الباب ليدفع نجلاء ثم هو..دلف إلى الغُرفة ولكنه تسمر ما أن رأى

جهاد يجلس على أحد المقاعد..يضع ساق فوق أختها وينظر إليهما ب مكر ثم

أردف

-رائف باشا!..تعالا إتفضل..بيننا كلام كتير جدا...

وقفت ب الشُرفة تنتظره مُند أن هاتفها..أخذت تُراقب المارة عليها تجده

بينهم..تنهد ب قنوط وهي تتذكر مُهاتفته لها وكانت كلماته صارخة

- "نهلة إلبسي هدومك بسرعة وإستيني ف البلكونة.. أول أما اشاورلك تنزلي من غير كلام"

- ردت عليه ب تعجب: في إيه يا أحمد!!

- صرخ ب صوتٍ أفزعها: إسمعي اللي بقولك عليه..."

وهكذا أغلق دون أن يترك لها مُتسع من الوقت لكي تفهم منه.. كانت ترتدي كنزة صفراء من خامة القطيفة وبنطال رياضي ثقيل.. كان الإختيار الأمثل والسريع لها

إنتصبت ب وقفها وهي ترى سيارته تصطف أمام البناية.. هبط من السيارة وأشار لها ب الهبوط.. أومأت وهي تُشير إليه ثم دلفت إلى الداخل

إنتعلت حذاءها الرياضي الأسود ثم إرتدت حقيبتها وخرجت من الغرفة.. قابلت والدتها التي تحمل غيث وسألها

- برضو معرفتيش في إيه!

-حركت رأسها نافية وقالت: والله مش عارفة..حتى بابا قالي إسمعي كلام أحمد..أنا نازلة بقى عشان قالي متتأخريش...

قبّلت والدتها والصغير ثم رحلت

ب الأسفل كان أحمد يتكئ على سيارته وعروقه بارزة لشدة غضبه..أما عيناه لا تُبصران سوى مشهده وهو ينهال على الآخر ب اللكمات حتى كاد أن يزهق روحه

لم يستشعر ذلك الشخص المتربص به منذ مُدة..تقدم خلفه ب خفة ليُخرج من وراء ظهره قطعة خشبية غليظة ثم ضربه على رأسه من الخلف صرخ أحمد ب ألم ولكن سُرعان ما فقد وعيه..أزاحه الآخر على جانب الطريق وإتجه إلى البناية

ما أن خرجت نهلة من البناية حتى شعرت ب نفسها تطير ب الهواء وقبل أن تصرخ كان الآخر يُكمم فمها ب قطعة قُماشية مُشبعة ب المُخدر

لحظات وإترخي جسدها بين يديه ليضع يد أسفل ظهرها والأخرى أسفل
رُكبتها ثم حملها وإتجه بها إلى سيارة أحمد وإنطلق بها

تنقل رائف بناظريه بين نجلاء وبين جهاد الذي نهض وجذب الأخرى من
خصرها ثم قال ب نبرة سمجة

-بص يا رائف بيه أنا مش عاوزك تتفاجئ بس نوجه حكنتي كل حاجة...

نظر سريعاً إلى نجلاء لتُخفض نظرها ب خجل..حرك رأسه ب خيبة أمل ليُقهقه
جهاد قائلاً

-معلش أعذرهما..أنا ضغطت عليها برضو

-هدر رائف ب نبرة جافة: عاوز إيه!!...

إتجه جهاد إلى مقعده وعاد يجلس مرة أخرى..وب يده تحتضن خصر نجلاء

التي تنظر إليه ب إشمئزاز..ثم أردف ب هدوء

-عاوز نفس اللي أنت عاوزه...

عقد رائف حاجبيه ولكن جهاد أوضح هاتفًا وهو يمد يده ب عدة أوراق

-زي ما أنت عاوز تهد المكان دا وترجع البنات لأهاليهم..أنا برضو عاوز كدا...

أخذ رائف الأوراق ب عنف ليُكمل جهاد حديثه وهو يرى الأول يتفحص

الأوراق

-في عملية هيعملها رحيم بكرة..لأول مرة هيجيب بنات من ملجأ..الملجأ دا

أصلًا سمعته مش حلوة الموظفين الرجالة هناك بيعتدوا على البنات

وبيتحرشوا جنسيًا بيهم...

إلتوت عضلة ب فك رائف غضبًا وإشمئزًا لما يدور ب ذلك الوكر اللعين ليعود

صوت جهاد يصدح

-المكان والوقت لسه معرفهمش..لما أعرفهم هديك خبر

-صر رائف على أسنانه وأدرف: وإيه اللي يخليني أثق فيك!!

-أجابه ب بديهية: الصراحة مفيش..بس جرب حظك..وكمان المعلومات اللي
نجلاء وصلتهاك كفيلا إنها تخليك تصدقني...

ألقى رائف الأوراق ب إهمال على الطاولة ثم جلس مُقابلته وأدرف ب جمود
-وأنت مُستفيد إيه!

-إبتسم جهاد وقال: ملكش دعوة

-تشدق رائف ب تهكم: أكيد مبتعملش دا لله ف لله أكيد فيه مُقابل...

نظر جهاد إلى نجلاء لتشتد يده على خصرها ثم هتف وهو ينظر إلى عيني
رائف

-المُقابل أخذته من شوية..ف متتعيش نفسك

-جأر رائف ب صوته: أنت قتلت مراتي..ومتفكرش إني كدا هنسى

-تمهد جهاد وقال ب هدوء: أنا مقتلتش مراتك..لأني عارف إنها مماتتس أصلاً...

صمت رائف دون أن يظهر على وجه أي تعابير وكأنه إستحال إلى تمثال
رُخامي ليُكمل جهاد حديثه ب نبرة مُستفزة

-الحادثة مكنتش كبيرة..واللي خبطهم أنا خلصت عليه ب نفسي لأن أوامري
كانت مقتلهمش وهو كان ممكن يعترف عليا..هو فشل وكل اللي حصل بعد
كدا كانت تساهيل من عند ربنا...

وضع يده أسفل ذقنه ثم قال وهو ينظر إلى رائف الذي قبض على كفه ب
غضب

-مراتك إتقلت الساعة إتنين بالليل من المُستشفى بعربية خاصة واللي عمل
كدا أبوك وصاحبك..المهم بقى أنا جبت الكلام دا كله منين!!...

صمت كأنه يتسحح إهتمام رائف ولكنه أخطأ ف هو لم تتغير تعابير وجهه
إلا أنه قال ب نبرة مُظلمة

-كريم!..دكتور ف قسم الجراحة مع أبويا وصاحبي..هو اللي بيخونا واللي

بيوصل معلومات عنا

-صفق جهاد ب يده وقال: لأ براقوا..مش سهل أخدع رائف الأسيوطي..بس أنت

عرفت من أمتي!...

لم يرد عليه رائف بل عيني الذئب خاصته ترمق جهاد ب نظرة مُميتة تقذف

سهام قاتلة

ساد الصمت بينهم لم يقطعه سوى الرنين المتوالي لهاتفه..ليُخرجه وعينيه لم

تتزعزع عن خاصة جهاد..رفعه إلى أذنه دون أن يرى المتصل ولكنه إنتفض

واقفًا وهو يستمع إلى عبارة أحمد الصارخة

-نهلة إتخطفت يا رائف!!!...

الفصل العشرون والأخير

إليكِ يا من احتوتك العيون

إليكِ يا من أعيش لأجلها

إليكِ يا من طيفك يلاحقني

إليكِ يا من أرى صورتك

في كلّ مكان في كتبي، في أحلامي،

في صحوتي

إليك يا من يرتعش كياني من شدة حبي

لك الشوق إلى رؤياك فقط عند ذكر اسمك

إنتهت الممرضة من تضميد رأس أحمد المصاب ثم قالت

-حمد لله على سلامتكم يا دكتور أحمد.. إن شاء الله مش هيطلع ف الأشعة

حاجة...

أوما أحمد دون أن ينظر إليها ف عيناه لا تزال تشهد إختطافها..رفع رأسه

ليرى إندفاع رائف ك الثور ليُباغته ب لكمة أطرحته أرضاً

جذبه رائف من تلايبه دون أن يأبه ب إصابته ثم جار ب صوتٍ جهوري جذب

إنتباه الجميع

-هي دي الأمانة اللي أمتهالك!!..أختي إتخطفت وهي قدام عينك...

أتى مُحي على صوت رائف ليُبعده عنه ثم قال بـ تعب

-بس يا رائف..أحمد عمل اللي عليه..هو مكنش مخون..ومحدث يعرف إزاي
رحيم عرف وخطف نهلة...

إتكئ أحمد بـ ظهره إلى الفراش وقال بـ جمود

-هو معرفش..هو كان مخطط وظهوري مكنش ف الخطة عشان كدا اللي
شافني معرفش يتصرف غير إنه يضربني..غير كدا كان ممكن يقتلني

-صر رائف على أسنانه وقال: والمفروض نعمل إيه!..أسيب أختي بين إيدين
مُختل!...

وضع رائف يده على فمه بـ غضب وهو يتذكر كلمات جهاد ما أن عِلِم بـ
إختطاف شقيقته

- "أختك إتحطفت!..مكنتش متوقع بـ السرعة دي!!..."

غمغم بها جهاد وهو يضع يده أسفل ذقنه ثم أكمل بـ خُبث

-نسيت أقولك إن رحيم حاطط عينه على أختك ومش ناوي يرجعها"

لم يشعر ب نفسه إلا وهو ينهال عليه ب اللكمات ثم رحل ليأتي أحمد ويحصل

على نصيبه الشرعي

رفع أحمد أنظاره إلى رائف وقال ب نفس جموده

-لازم نروح لظابط

-مفيش داعي..أنا عرفت الظابط كل حاجة

-تساءل مُحي وعيناه تُرسلان رجاء خفي: وقالك إيه؟

-بكرة الفجر رحيم هيجيب بنات من ملجأ دا اللي لسه عارفه على باب

المستشفى...

إنتفض أحمد صارخًا وهو يزأرك الوحش

- وإحنا لسه هنستنى الفجر!..هنسيها كدا بين إيديه لحد الفجر والله أعلم
بيفكر ف إيه

-هدر رائف وهو يشد خُصلاته: لأ طبعًا..بس قولي أعمل إيه!..أنا معرفش
حاجة ولا ف إيدي حاجة أعملها

-أما أنا ف ب إيدي أعمل كتير..أنا كنت شغال معاهم وممكن أعرف..مش
هنستنى أسيهها كل الوقت دا...

دفع رائف ثم تحرك من مُحيط الغُرفة..لكم الأول الحائط ب غضب وتحرك
يتبع أحمد

إتكأت ب يديها على حوض إغتسال الوجه..وهي تنظر إلى إنعكاسها ب المرأة ب
شروود..مُنذ ساعات وهي رسميًا أصبحت زوجته..زواج صحيح..عقد قران لدى
مأذون..شهود و وليها والذي هو شقيقها

"عودة إلى وقتٍ سابق"

دفعها لتدلف إلى تلك البناية..صعدت درجات السلم وما أن وصلا إلى الطابق

المنشود..دق جهاد جرس المنزل ليفتح بعد ثوان شخصًا ما لا تعلم هويته

دفعها لتدلف ثم إلى غُرفة بها المأذون والشهود..وعلى الناحية الأخرى شقيقها

يجلس ناظرًا إليها بـ تجهم وعلامات الإشمئزاز تملأ وجهه..شهقت وركضت

إليه..حاولت إحتضانه ولكنه أوقفها بـ كف يده قائلاً وهو ينظر إلى ثيابها

-كل اللي بيني وبينك إن أجوزك الـ** وبالنسبالنا أنتِ ميتة...

شعرت وكأن أحدهم يسحب روحها..شحبت تمامًا وتجمدت مكانها..حاولت

الحديث وهي تستوعب حديث شقيقها

-ياسر آآ..أنا كنت مـ مخطوفة والله

-إخربي...

هدر بها وهو يصفعها ليندفع جهاد مُمسكًا إياه من تلايبه ثم هدر بـ غضب

-اللي ضربتها دي هتبقى مراتي..اللي منعني عنك إنك أخوها وأنت أنت اللي

هتسلمهالي

-نفض يد جهاد عنه وقال: خدها وغور من وشي ف مصيبة تاخذكوا يا

أوساخ...

كانت نجلاء تبكي ب صمت غير قادرة على الحديث أو الحركة..إتجه إليها جهاد

يجذبها من ذراعها كي تجلس وياسر ينظر إليها ب إزدراء ب نظرات ك السكين

التي تخترق قلبها

-بكرهك..بكرهك...

إستمع جهاد إلى همسها ولكنه لم يُبالي..أخيرًا ستُصبح ملكه شرعًا..ستكون له

أبدًا..لا يهم كيف السبيل ولكنه وصل

عندما ذهب إلى منزلها وأخبر عائلتها القصة كاملةً لم يُصدقها لا شقيقها ولا

والدتها وإعتبراها ميتة..ف هي لن تكون سوى فضحية تجلب العار

للجميع..ولكن لم يهتم ستصبح له وتحت كنفه..لذلك أجبر شقيقها علي
الحضور ليكون وليها ويُسلمها له

إنتهت مراسم عقد القران لينطلق ياسر سريعًا دون أن ينظر إليها..أخفت
وجهاها بين يديها وأجهشت بـ بُكاء مرير غيرُ آبه لمن ينظر إليها

وضع جهاد يده على ظهرها لتنتفض بعيدًا عنه هادرة بـ غضب وهستيرية

-ربنا ياخذك ويريحني منك..ربنا يدوقك من السم اللي سقيته ليا..حسبي الله
ونعم الوكيل فيك...

إلتوى فكه بـ إبتسامة مُتهكمة..أكان يتوقع أن تحبه!..أم من الممكن أن تكون
مُمتنة لما حدث الآن!..ولكن كل ذلك لا يهم..ف هي ستكون معه و وقتها
سيُعلمها كيف تحبه

"عودة إلى الوقت الحالي"

تساقطت عبراتها ب غزارة لما آل إليه حالها..أصبحت زوجته وتخلت عائلتها عنها..أتظن إنهم سيصدقونها وأنها ليست سوى ضحية!..لم يكن يسمح لها جهاد ب ذلك..دمر حياتها ومُستقبلها..سلب عائلتها وعذريتها..إقتلع حقها ب الحياة ب يديه

أزالت عبراتها ثم خرجت من المرحاض..نظرت إلى الساعة ف وجدتها تُشير إلى الواحدة بعد مُنتصف الليل..إتجهت إلى الفراش وجلست عليه ضامة ساقها إلى صدرها تنظر إلى الفراغ

دقائق مرت وسمعت الباب يُفتح..هرب نسيح من بين شفتها وهي تظن أنه آتى ليقتنص حقه الشرعي الآن..لذلك إستجمعت ما تبقى من شجاعتها وصرخت

-جاي عاوز إيه!..مش إتجوزتني وخلص!..إبعد عني بقى...

لم يرد عليها ولكن الظل الذي رأته ب ذلك الظلام لم يكن يدل على هيئته
الجسدية بل أضخم

شهقت ب فزع عندما أُنيرت العُرفة وهي تجد رحيم ينظر إليها نظرات شيطانية
ثم صوته ك الفحيح الذي صدر منه ف أرسل رجفة عنيفة من الرُعب إلى
جسدها

-مبروووك...

فتحت عينيها ب ثقاقل وهي تتأوه ب خمول..رفعت رأسها المائل قليلاً ثم نظرت
حولها..لتجد نفسها ب مكان مُظلم وله رائحة لم تتحملها أنفها
حاولت الحراك ولكنها وجدت نفسها مُقيدة على مقعد حديدي..أتى صوتاً من
خلفها بدا غليظاً

-متتحركيش كثير..أنتِ مربوطة

-صرخت نهلة وهي تتحرك بهستيرية: أنت مين!!...

تقدم ذلك الرجل به خطوات رتيبة ذات لحن مُرعب..ليجلس أمامها ف

إنكمشت على نفسها به خوف..تحدث به نبرته الغليظة مرةً أُخرى

-محدث هياذيك..الريس منبه علينا محدش يلمسك إلا لما يجي...

ما أن أنهى عبارته حتى فُتح باب ذلك المخزن القديم..نهض الرجل ليجده

رحيم ومعه رجالان يجران خلفهما فتاة تصرخ وتتلوى به ذعر

أمر رحيم رجاله وهو يتحرك به إتجاه نهلة التي أغمضت عينها خوفًا

-إربطوها كويس..وإربطوا بوقها عشان قرفتني صرخ

-حاضر يا ريس...

نطق بها الرجلان ليقوما به تقييد نجلاء التي تصرخ به هيسيرية

جلس رحيم أمام نهلة مُقربًا مقعده منها ثم قال به إبتسامة شيطانية

-متخافيش يا حلوة..أنا مبفكرش أأذيك..أنا عاوزك...

توقف قلبها عن الخفق وهي تستمع إلى حديثه..ضمت شفيتها بقوة و بدأت ب
النحيب..توجهت أصابع رحيم التي ما أن لمست وجهها حتى صرخت ب هلع
ليقول وهو يُقهقه

-إهدي بس يا قطة..شكلك إتخضتي من أسلوب رجالي..هما أغبية ف التعامل
مع الستات أعذرهم

-آآ..أنا..هنا ليه!

-عض رحيم على شفاه السفلى وقال: بصي عشان أكون صريح..أنت هنا
عشان حاجات كثير..أولهم إننا هنسافر مع بعض لمكان بعييد أوي..أنا وأنت
وبس...

نهض وملس على وجنتها لتبتعد هي سريعًا لينحني ويهمس ب فحيح

-خليك مؤدبة وإسمعي الكلام عشان متزعليش مني..لحد أما أرجعلك...

إقترب من أذنها وهمس بـ خُبث

-مع إني مش قادر أستنى عليكِ يا قطة..بس الغالي يستاهل...

إهتز جسدها مع النشيح والبُكاء المكتوم..إعتدل رحيم بـ جلسته وإتجه إلى

نجلاء التي لا تقل رُعبًا عن نهلة..لينحني إليها مُتشدقًا بـ مكر

-أما نشوف غلاوتك عند جوزك...

خرج منها صُراخ مكتوم وهي تُناظر رحيم بـ هلع

أخرج هاتفه ثم إتصل بـ جهاد الذي أجابه بعد لحظات

-عاوز إيه!!...!

لم يرد عليه رحيم بل نزع القُماشة التي تُكمم فم نجلاء ليهمس لها بـ غضب

-سمعي حبيب القلب صوتك

-خرج صوتها مذبوحًا ، مبحوحًا: ج..جهاد!!!...

هوى قلبه إلى أخمص قدميه..لأول مرة تهمس ب اسمه ولحظه السي بل

الأسوء على الإطلاق تهمس به وهي بين يدي عدوه الأول

صرخ جهاد ب غضب حارق ليهدر وهو يُحطم ما تطوله يداه

-أنت واخدها ليه!..عاوز منها إيه!

-مط رحيم شفتيه وقال: أنا بس حببت أبارك للعروسة

-جأر جهاد ب صوتٍ حاد: متعجلش ب موتك

-تحدث رحيم ب برود: عيب تقول كدا..يعني بتخوني وكمان بتهددا!..لا كدا مش

صح..إحمد ربنا إني مقتلتهاش...

أردف عبارته الأخيرة ب نبرةٍ مُظلمة ليُكمل ب نفس النبرة

-هتيجي معايا العملية..معادها إتغير..ونشوف بها هتسيهم يقبضوا عليك

وتضيع حياتك مع حبيبة القلب

-توعده جهاد ب نبرة سوداء: أقسم بالله لو حطيت إيدك ال** دي عليها لكون

مقطعك حتت وراميك لديابة الجبل تنهش لحمك

-قدامك ساعة..تيجي على المخزن عشان نروح ونخلص العملية..ب المرة تظمن

على حبيبة القلب...

أغلق رحيم الهاتف ثم نظر إلى نجلاء وقال

-إيدتله فرصة يشوفك قبل ما أقتلك وأقتله...

ثم أعاد وضع القُماشة وتركها تبكي

ب تلك الأثناء

كان رائف وأحمد يطوفان بلا هواده وقد تسلل اليأس إلى قلب الثاني بعدما

أخبرا الضابط والذي قال

-مش هنقدر نتحرك قبل العملية..كدا هياخدوا حذرهم والعملية تتلغي
وممكن تخسر أختك ف النص...

إتكئ ب يده على النافذة وقال

-هنعمل إيه!!...

لم يرد عليه رائف بل كان ذهنه شاردًا بما سيفعله..ليقطع شروده صوت

هاتفه مُعلنًا عن وصول رسالة نصية

أخرج هاتفه وقرأ ما بها ليضع كفه على معصم أحمد هادرًا ب حدة

-بُسرة على ملجأ***..المعاد إتغير...

توقف أحمد ب سيارته فجأة حتى أحدثت صريرًا ثم أعاد تشغيل المُحرك

ليتحرك في الإتجاه المُعاكس بسرعة جنونية

إتصل رائف ب الضابط سمير الذي أجابه بعد ثوان

-الميعاد إتغير..التسليم هيحصل كمان ساعة..أنا وأحمد طالعين هناك
حصلونا

-إنتفض سمير قائلاً ب صرامة: متعملش أي حاجة ممكن تودي الكُل ف داهية
يا رائف..أنا جاي حالاً...

ثم أغلق الهاتف وأمر الجميع ب التحرك الفوري

هبط من سيارته دون أن يأبه ب غلقها ثم ركض إلى داخل المخزن..فتحه وجأر
-نجلااا!!!

-أتاه صوت رحيم: تعالا يا جهاد...

دلف جهاد وعينا تبحت عنها ك المجنون حتى وجدها مُقيدة ب المقعد
الحديدي..إتجه إليها دون تفكير

كانت مُنحنية الرأس تبكي ب صمت ولكنها إنتفضت على يد تُحيط وجنتيها
وصوتٍ ملأته اللففة

-نجلاء!..نجلاء!!..أنتِ كويسة!..قرب منك؟!...

حركت رأسها نافية ليضمها إلى صدره زافرًا ب راحة وغضب..أتاه صوت رحيم
الخبيث

-مكنتش أعرف إنك بتحبها كدا..وعشان كدا...

نهض رحيم وإتجه إلى نجلاء..حلّ قيدها ف جذبها جهاد إلى أحضانه ليتشدد
بعدها الأول ب تهكم

-عشان أثبتلك حُسن نيتي..هي هتيجي معانا..تتاكد إن محدش يلمسها
ومتأذاش

-هدر جهاد ب صوتٍ حاد مُرعب: أقسم بالله هقتلك

-ضحك رحيم وقال ب تهكم: طب يلا عشان متأخرش..أكيد مفكرتش تخوني!..لأني ساعتها لا هرحمك ولا هرحمها..يلا...

كان رحيم مُتأكدًا أن جهاد لن يشي بهم حتى لا يُنزع كِلاهما ب السجن..كان يعلم أنه يُريد التخلص منه والهرب مع نجلاء..ولكنه لن يسمح له ب ذلك

ب الموعد المُحدد كان الجميع يقف أمام الملجأ..رائف وأحمد ومعهمم الضابط سمير..وعلى الناحية الأخرى جهاد ورحيم وكذلك مسئولى الدار

بعد دقائق بدأت عملية التسليم..ليُشير سمير ب قبضته ثم أمر ب الإقتحام

توترت الأجواء وبدأت إطلاق الأعيرة النارية..ليحاول رحيم الهرب ف ركض بعيدًا وتبعه جهاد

إتجه رائف وأحمد إلى نجلاء الجالسة ب السيارة وذلك الرجل المُوجه إلى رأسها سلاحًا

فتح رائف الباب من جهه الرجل ثم سحبه سريعًا..قبل أن يُطلق الرصاص
كان رائف يوجه اللكمات حتى فقد وعيه

وعلى الناحية الأخرى سحب أحمد نجلاء التي كانت تبكي وتصرخ ليقول بـ
تهدأة

-إهدي يا أنسة محدش هياذيكِ...

إتجه رائف إليهما ثم نزع سُترته و وضعها على منكبيها لتقول بـ تقطع

-أختك ف ف مخزن..على طريق..بعيد

-أدارها أحمد وقال بـ لهفة: أنتِ شوفتيها!..هي كويسة!؟

-أومات قائلة بـ نشيج: هو قال إنه بعد العملية دي هياخذها وهمهرب

-سألها رائف بـ جدية: تعرفي مكان المخزن دا!

-حركت رأسها نافية قائلة: لأ معرفش...

أغمض رائف عينيه ب إحياط أما أحمد ف ضرب السيارة ب غضب.. إنتفضت
هي وقالت ب تلعثم

-آآ..أسفة..ك..كنت عاوز..آ..أساعدك

-أردف رائف ب خفوت: لا يا نجلاء أنتِ عملي الي عليك..أهم حاجة إنك
طمنتيني...

وعلى الجانب الآخر ظل رحيم يركض ولكن تقدم سنه لم يسمح له ليتوقف
وقد ظن أنه إبتعد..لكن تفاجئ من تلك الرصاصة التي إخترت ساقه..ليصرخ
ب ألم وهو ينحني..سقط أرضًا والرصاصة الأخرى تخترق ساقه الثانية

كان يتلوى ألمًا ف رفع نظره إلى جهاد الذي ينظر إليه ب نظرات مُظلمة ثم
تشدق ب نبرة أكثر سوادًا وهو يوجه سلاحه إليه

-مش قولتلك هقتلك

-ضحك رحيم وقال: كنت مُتخيلك جبان مش هتقدر تعمل حاجة..بس
أبهرتني

-أردف جهاد ونظرته تزداد سوادًا وحقْدًا: مُستعد أروح جهنم بس أخلص
حقي وحق أبويا وأمي منك

-تشدق رحيم وهو يلهث: أنت أجبن من إنك تقتلني

-إبتسم جهاد ب شيطانية وقال: متراهنش أوي كدا..عشان جهاد الطفل اللي
إغتصبته بقى وحش قادر ينهش لحمك ويكسر عضمك..بس مفيش وقت وأنا
هرحمك من كل دا...

إتسعت عينا رحيم قبل أن ينهال عليه جهاد ب وابل من الرصاص ب جميع
أنحاء جسده حتى تلك التي قتلتها صغيرًا

ألقي المُسدس وإلتفت على صوت الضابط سمير

-سلم نفسك يا جهاد..مفيش مكان تهرب...

رفع يديه خلف رأسه وجثى على رُكبتيه..عيناه كانتا فارغتين..فاقدتين للحياة

ولكن إبتسامة ميتة رُسمت على شفثيه وهو يقول داخله

-حتى النهايات السعيدة لم تُكتب لأمثاله...

لم يهتم بـ يدي سمير التي تُفتشته أو تُقيده..بل صورة نجلاء هي ما تحوز على

ذهنه كله

كانت نجلاء تضم السترة إلى جسدها..جالسة بـ أحد سيارات الإسعاف تُتابع

ما يحدث..العديد والعديد من الناس يتم القبض عليهم و صعودهم إلى

سيارات الشرطة..الفتيات الاتي كن مُقدر لهن نفس مصيرها قد أنقذن وهم

الآن بين يدي الشرطة

إصطدمت عينها ب عيني جهاد الذي حدق بها ب إبتسامة..كان يقوده شُرطيين
 وب يده موضوعة الأصفاد..بينه وبينها لم يكن سوى خطوات صغيرة قبل أن
 يلتفت إلى رائف رادفًا

-أختك ف المخزن جنب مصنع قديم على طريق مهجور..طريق صحراوي...

عاد يلتفت إلى نجلاء التي تُنظاره ب كره وإشمئزاز ثم قال ب إبتسامة

-آسف على كل حاجة..بس مش آسف على حُبي ليك...

إستستلم ليدي الشُرطي التي تدفعه ولكنه توقف على صوتها الجامد

-لحظة!!...

إلتفت ينظر إليها ب لهفة إختفت ما أن أردفت بكل مشاعر الكره لديها

-طلقني الأول...

صُدم ولم يسعفه لسانه لكي يتحدث..هم أن يقول شيئاً ما ولكنه عاد يُغلق
فمه..لترتسم إبتسامة على شفثيه قبل أن يقول ب بساطة

-مقدرش..أنتِ مراتي يا نجلاء..أنتِ مراتي ومينفعش أطلقك..إستيني هخرجك
وأرجعك...

إتسعت عينها ب دهشة وهي تراه يُلوح لها ثم إلتفت وصعد السيارة..وما أن
مرت أمامهت حتى قرأت شفثيه التي همست
-بحبك...

لم تكن تظن أنها ستراه ب هذا السلام من قبل..عينيه كانتا فاقدتين للحياة
ولكنه بدى وكأنه وصل إلى نهاية المطاف..كان هادئ ومُسالِم وكأنه عاد إلى
ذلك الطفل المذبوح

وصل رائف وأحمد إلى ذلك المخزن ومعهما ضابطين ليقوما بـ القبض على
الرجلين ليتجه كلاهما إلى نهلة المُقيدة

-نهلة!!!...

رفعت رأسها على صوت أحمد يتبعه رائف الذي إحتضنها بقوة..بكت بـ
هستيرية بين يديه ليقول أحمد وهو يحلّ وثاقها

-خلاص يا نهلة..أنتِ بخير دلوقتي...

قبّل رائف جبينها ثم حملها بين يديه وخرج من ذلك المخزن لتسأله نهلة بـ
خفوت

-في بنت كانت معايا!..هي كويسة؟!

-اوما رائف رادفًا: الحمد لله..بخير متخافيش...

ثم توجهها إلى السيارة وصعدا ثم تحركت بهم مُخلفة غُبار يتصاعد إلى السماء

لينتهي كابوس كاد أن يزهق أنفاس الجميع

بعد مرور يوم

توجه رائف إلى القصر ب سيارته لهبط ويُساعد زوجته على الهبوط..نظر إلى

المبنى ب نظرات شاردة ولكن يد زهرة أفاقته لينظر إليها ف وجدها تبتمس ليرد

إبتسامتها ثم شدد على كفها ودلّفا

إستقبل الجميع زهرة ب حرارة ليقول مُحي ب مرح

-كلنا تعبنا عشان سي رائف وست زهرة

-نظرت إلى رائف وقالت ب خُبث: خاصة إيمان

-حك رائف ذقنه وغمغم ب غيظ: ست طيبة والله...

ضحك الجميع ليتجه رائف إلى رحمة التي جلست منزوية على نفسها..جثى
على رُكبتيه وأمسك كفها ثم أردف

-قاعدة لوحدك ليه يا ماما !!..

خرجت شهقة مذهولة من فم الجميع وأولهم رحمة التي بكت لينهض رائف
ويُقبل رأسها هامسًا

-آسف لكل الوجع اللي سببته ليك

-عانقته رحمة ب قوة وقالت ب نشيج: مش زعلانة منك يا حبيبي..والله مش
زعلانة..أنا فرحانة بكلمة ماما...

عانقها رائف ب قوة ثم نظر إلى زوجته التي تنظر إليه ب سعادة ليمد يده إليها
ف إقتربت ب خُطى عرجاء..ليضمها إليه هامسًا

-شكرًا يا ذات الرداء الأحمر..شكرًا يا من روضتِ ذئبك...

بعد أن قضوا وقتًا قصيرًا إتفق فيه رائف مع أحمد عن موعد خطبته هو و شقيقته ثم إستأذن الصعود إلى الغُرفة المُخصصة لهما..وقفا أمام الدرج

لتشهق زهرة وهي ترى نفسها بين يديه مُعلقة ب الهواء ثم تدمرت ب خجل

-على فكرة أنا هعرف أمشي

-وأنا مش عاوز ست زهرة تمشي..أنا عاوز أشيلك بين إيديا كدا...

توجه بها إلى غُرفة صغيرهم الذي إشتاقته ب جنون

ما أن أبصرها الصغير حتى صرخ ب سعادة..وضعبها رائف أما غيث الذي

أمطرتة ب وابل من القُبلات ثم أردفت وهي تبكي

-وحشتني أوي يا حبيب ماما..وحشتني أوي...

كان رائف جالسًا ينظر إليهما ب سعادة..عاد إلى قصر العائلة بعد سنوات ظن

أنه لن يخطو داخله مرةً أُخرى..مسح على رأس صغيره وقبله وكذلك هي

سألته زهرة وهي ترمي ب رأسها على صدره

-و نجلاء راحت فين!..أنت قولتلي إن أهلها سبوها

-تمهد رائف ب حزن وقال: هتيجي تعيش هنا يا زهرة..مقدرش أسيمها بعد كل

اللي عانتها دا

-عارفة..عارفة كويس إحساس إنك تتخطف من وسط أهلك وتترمي ف النار...

تشنجت عضلات فكه وهو يستمع إلى نبرتها الغريبة..ذكرته بما حدث وكيف

إلتقاها..وكانه يعلم أنها لن تُسامحه

شعرت ب جسده يتصلب لترفع رأسها إليه..صُدمت من ملامحه التي تحولت

إلى رُخام..وصُدمت أكثر وهو يسألها ب جمود به لمحة من الخوف

-أنتِ سامحتيني يا زهرة!..سامحتيني على اللي كنت هعمله فيك!...

تفاجئ بها تجذبه من رابطة عنقه وعينها تُطالع عينيه ب شراسة وغضب

-لو مستغني عن عُمرِك إسأل السؤال دا تاني...

رفّ بـ جفونه عدة مرات قبل أن يبتسم وهو يميل إليها هامسًا بـ عبث

-هو العُمر بعزقه يا باشا

-رفعت حاجبها وقالت: أيوة كدا...

مال إليها أكثر ليطلع شفّتيه على شفّتيها فـ إبتسمت بـ خجل ولكنها لم تُبعده

عنها..ضمهما رائف إلى صدره يطمئن بـ جودهما وأنه لم يفقد أحدهما

إبتعد عنها يضع جبينه على خاصتها ثم همس

-بحبك يا زهرة بُستاني...

بعد مرور عدة أشهر

خرجت من قاعة المحاضرات ب جامعة أخرى قد قيدها بها رائف..ذلك
 الفارس من زمن آخر..تكفل بها وها هي تعيش معه ب بيته..تدرس و تُعالج
 نفسيًا مما أصابها

ضمت الكُتب إلى صدرها وتحركت من مُحيط الجامعة..توقفت أمام السيارة
 التي يُرسلها إليها ذهابًا وإيابًا..صعدت ليتحرك السائق بهما

مدّ يده ب مظروف وقال

-إفضلي يا أنسة نجلاء

-أخذته وقالت ب إنزعاج: جواب تاني!!..أنا زهقت...

رفع السائق منكبيه ولم يرد..ظلت تنظر إلى المظروف الأبيض عدة دقائق
 قبل أن تُقرر قراءتها هذه المرة..دومًا كانت تضعها ب أحد الأدراج دون
 الإهتمام..ولكن هذه المرة غلبها فضولها لقراءتها وهي تعلم المُرسل تمامًا

- "مش هياس أبدًا من كتابة الرسائل..دي الحاجة الوحيدة اللي أقدر أكلمك
بها..إتحاكت خلاص وشكلي مطول..بس أنا في حد بيساعدني عشان يخفف
العقوبة .. أنا مريض نفسي..أيوة مريض نفسي..وعاوز أتعالج عشانك..."

أغلقت عينها ثوان تمنع ذلك التشويش عنهما ثم عادت تكمل

- "عارف إني مليش حق أطلب منك السماح..أصلًا مينفعش تسامحيني..بس
حقي إني أحبك يا نجلاء..أخبارك بتوصلي وعارف إنك عند رائف عشان
ملكيش مكان تروحيه..أسف على كل اللي عملته..أسف على حقك اللي
سرقته..أسف على كل لحظة خوف عيشتهالك..أسفي مش هيغير حاجة بس
دا اللي ب إيدي أعمله..نفسى أشوفك مرة تانية..مرة تخليني أقدر أكمل
هنا..بقولك تاني أنا مش أسف على حُبي ليك..ياريت أقدر أرجع الزمن وأرجع
طفل تاني عشان أستحقك..ياريت....."

جهاد....."

أغلقت المظروف وأجهشت بـ بُكاءٍ عنيفٍ لم تأبهه إلى السائق ولكنها أرادت
البُكاء مُنذ ذلك اليوم لم تبكي وكأن قُدرتها على البُكاء نفذت

كان يجلس أمام النافذة ك عادته مُذ أن تم إلقاءه بـ أحد السجون
المصرية..يأمل الخروج من هُنا ليبدأ حياةً جديدة معها..ولكن كيف السبيل
جرائمه لا تُحصى!

تهند بـ قنوط ثم فتح قبضته لينظر إلى خُصلاتها السوداء الذي إستحوذ عليها
مرةً أثناء نومها..قربها من أنفه يشتمها وكأنه يستشعرها من خلالها
رائف قرر مُساعدته بعدما عَلِمَ القصة كاملةً من نجلاء..نوعًا ما أخبره أنه
يُذكره بما قاساه..ولكن جهاد كان طفلًا وهذا ما لم يستوعبه

تذكر زيارته له بعد شهرًا واحدًا لتلك الحادثة..أخبره أن نجلاء ستظل بـ
رعايته وأنه لن يُخبر أحدًا عن زواجهما تنفيذًا لرغبتها..ثم أخبره بـ جمود

-أنا هيعنك مُحامي يحاول يخفف عقوبتك بما إنك ساعدتنا على القبض عليهم والتسليم متمش..غير إنك قتلت رحيم..ساعتها قول إني قولته يقف وموقفش فإضطريت أقتله...

بعدها خرج وتركه..عاد يقبض على خُصلاتها لينتفض على صوت أحد العساكر وهو يقول

-جواب ليك يا جهاد...

إتجه إليه سريعًا ليجذب المظروف ب لهفة وفضة..إتسعت عيناه وهو يرى كلماتها التي خطته

-"فعلاً ملكش الحق تُطلب مني أسامحك..لأنني مش قادرة أسامحك حالياً..أنا مش متصالحة مع نفسي ولا عارفة أتأقلم مع اللي إتخطيت فيه..أنا مش مصدقة نفسي إني بكتبك بس حبيت أعرفك إنك تقطع الأمل من حُبي..لأنني مُستحيل أحب واحد سرق أحلامي وحولها لكابوس..مقدرش أقول بكرهك

لأنني فقدت الإحساس أصلاً..ياريت تشيل من دماغك أي فكرة لإحتمال يكون فيه مُستقبل بينا..أنت محيت المُستقبل..سلام

نجلاء...."

لم يهتم لحديثها بل هي أرسلت إليه رسالة ولن يفقد الأمل..قبض على الورقة وقال

-مش هفقد الأمل ف حُبك أبدًا...

الختامه

رائف و زهرة مش الأبطال الفعلين للرواية..بس نجلاء وجهاد هما
الأبطال..ضحايا جديدة لمجتمع جاهل و فوضى خلت الجاني مظلوم والمجني
عليه الظالم..ضحايا لقوانين مفيش منها الرادع لمُرتكب الجريمة..لقوانين
تُعتبر مُكافأة للي بيغلط

ف النهاية..مكنتش حابة الرواية تبقى مأسوية كدا بس للأسف دا بقى
حالنا..أتمنى للجميع إن ربنا يحفظكم ويحفظ أولادكم من كل شر

إسراء علي

صفحة الكاتبة على الفيس بوك

روايات بقلم إسراء علي

مزيد من الروايات تابعونا

أسرار الروايات